الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري ، قسنطينة.
كلية : العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية .
قسم : التاريخ والآثار.
ومخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.
رقم التسجيل : ....
الرقم التسلسلي : ....

العنـــوان:

الحركة الإصلاحيـة في الأوراس

محمد الغسيري أنموذجا :1930- 1974

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعــــداد الطالب :
- النوي بن الصغير

تحت إشراف الدكتور:
- الصالح لميش

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبـــة	الصفـــة	الجامعـــة
أحمـــــد صــــاري	أستاذ التعليم العالي	رئيســــــا	جامعة الأمير عبد القادر
الصالـــــح لمـــيش	أستاذ محاضــــــر	مشرف ومقررا	جامعــة المسيلـــــة
كريمة الاخلاق بن حسين	أستاذ محاضــــــر	عضــــــــو	جامعــة قسنطينـــة
شــــــايب قــــدادرة	أستاذ محاضــــ،ر	عضــــــــو	جامعــة قسنطينـــة

السنة الجامعية : 1428 – 1429هـ
2008 – 2009 م

مقدمة البحث

إذا انطلقنا من الافتراض بالقول أن الفكر ليس فوق التاريخ أو خارج التاريخ،فان ذلك يدفعنا إلى معرفة أن حضور الفكر الإصلاحي المعاصر في الجزائر قد تأثر بالظروف التاريخية التي مرت بها هذه البلاد و بكل متطلبات هذه الظروف، ومن هنا فان قراءتنا لهذا الفكر الإصلاحي قراءة موضوعية لا يمكن إلا من خلال إعادة تكوين العلاقة بينه وبين الواقع الذي نشا فيه ، و أن أية محاولة لقراءته خارج ظروف و مستجدات هذا الواقع بملابساته تبقى محاولة غير مستوفاة الشروط والجوانب.

و عليه يبقى البحث في هذا المجال موضوعا شائكا يتطلب الكثير من المعطيات المعرفية والعلمية خاصة إذا كان ذلك متعلقا بمنطقة مثل الأوراس التي بقيت بعيدة نوعا ما عن متناول الباحثين و اهتماماتهم خاصة الأكاديميين منهم بقصد أو بغير قصد ، ولا نستطيع فهم الخطاب الإصلاحي في هذه المنطقة دون ربطه بالتفاعل الحاصل معه من طرف أبناء المجتمع الأوراسي بكل مستويات أدوارهم التاريخية الإقليمية و الوطنية.

ومن هذا الباب حاولت أن أقف عند كل واقع و حقيقة و فهم وتحديد دلالتها التاريخية بصياغة أولية لمجالها و الشروط التي أفرزت هذا المجال بالذات و هذا من خلال و جهتين :

الوجهة الأولى : و هي الحرص على تتبع مسار الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس مع المحافظة على علاقتها بالحركة الإصلاحية في الجزائر ككل ، و إبداء التطورات التدريجية الحاصلة في ظل السياسة الاستعمارية التي ظلت تستهدفها إلى أن انصهرت تدريجيا في واقع الأحداث مع اندلاع الثورة التحريرية الكبرى من جهة، وعملـها المضني في مقـاومة الجهـل و الأمية و إعداد المجتمع إعدادا صالحا من جهة أخرى ،و بذلك فهي تخوض الحرب على جبهتين.

الوجهة الثانية: و هي إبراز أعمال و نضال الشيخ الغسيري و فكره الإصلاحي مع ربط كل مرحلة منها بالمراحل التي قطعتها الحركة الإصلاحية، وهذا الامتداد التاريخي الذي يضفي إلى المشاركة في العمل المسلح من اجل التحرر من قيود المستعمر ووقف مسيرة الاحتلال الفرنسي وإن لم تنته فصول مهمته و نشاطه مع الاستقلال و لم يعرف الغسيري ركونا إلى الراحة بل ظل مجسدا لمبادئه في مرحلة بناء الدولة الوطنية الحديثة.

و بين كل هذه الأدوار المختلفة يجد الباحث نفسه أمام أعمال و مواقف و أراء مميزة يلمس فيها متعة من خلال تسلسل الأحداث و الانتقال من فترة لأخرى مع تعدد المهام و الحقائق خلال المسار الإصلاحي و النضالي الوطني لهذا الرجل.
و نعمد في هذا المسعى بإظهار حقيقة العمل الإصلاحي في المجتمع الأوراسي و إسناده إلى الأوراسيين انفسهم و على رأسهم الشيخ الغسيري ، والذين حملوا بدورهم هذا المشعل و اخذوا يضيؤون درب الأمة و يبذلون ما بوسعهم للارتقاء بها إلى مصاف الأمم المتقدمة ، كما نؤكد الاستمرارية التي طبعت نشاط هذه الفئة على الدرب والمسار الذي أسس له الشيخ عبد الحميد بن باديس .

إشكالية البحث:

تندرج إشكالية هذا البحث في إطار عرض و تحليل المراحل التاريخية الهامة التي قطعتها الجزائر و مرت بها في مسيرتها نحو التحرر و الاستقلال بمختلف مناطقها، و بذلك فهذه الدراسة هدفها البحث في إحدى هذه المحطات الهامة، الموصوفة بالحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس و تحديد المعالم الكبرى للمجهود التاريخي و الفكري الذي قدمه احد الأوراسيين و هو الشيخ الغسيري في الإطار الإصلاحي الهادف ، و الدور الذي أداه نحو أمته ووطنه كنموذج لأقرانه من أبناء المنطقة خاصة وان مترجمنا يعد مخضرما متميزا عاش في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر و قاومه بلسانه وقلمه على عادة العلماء ثم انخرط في صفوف الثورة التحريرية مجاهدا بنفسه كما افرغ طاقاته كاملة في بناء وتشييد الجزائر المستقلة إلى يوم وفاته.
و تقوم هذه الإشكالية على طرح سؤال جوهري تتفرع عنه أسئلة جانبية و يتمحور هذا السؤال فيما يلي :

- ما حقيقة وجود و انتشار الحركة الإصلاحية العربية و الإسلامية في الوسط الأوراسي الامازيغي اللسان ؟ و ما سر الإقبال على هذه الحركة من قبل البربر؟

هل هذا يعود حقا الى قناعة الأوراسيين مثل الغسيري، أم يعود إلى استبدال قوة جديدة بدل قوة النظام الكولونيالي الفرنسي ؟
و إلى جانب هذا السؤال الجوهري نعرض أسئلة أخرى تترجم جانبا من الإشكالية و التي نسوقها فيما يلي:

1- هل قدر للحركة الإصلاحية في الأوراس أن يكون دخولها للمنطقة متأخرا أم معاصرا للانتشار الواسع الذي عرفته في مختلف المناطق الجزائرية ، وما هو الدور الذي لعبه الأوراسيون بصفة عامة و الشيخ الغسيري بصفة خاصة في الحركة الإصلاحية سواء على مستوى الأوراس أو على المستوى الوطني الجزائري؟

2- ما هي مواقف الغسيري و الإصلاحيين الأوراسيين من بعض القضايا الهامة كأحداث 8 ماي 1945 وما علاقتهم بالحركة الوطنية الجزائرية؟

3- ما حقيقة الغسيري و قضية انقسام الجامعة الكشفية الإسلامية ؟

4- ما الدور الذي لعبه الغسيري في جبهة التحرير الوطني بسوريا و ما سر النفوذ الكبير له في المملكة العربية السعودية و منطقة الخليج؟

5- ما هو دور الغسيري بعد الاستقلال و هل بقي وفيا مستميتا لما ناضل من اجله من ثوابت و قيم ؟

وسنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال توزيع المادة العلمية بمضامينها على فصول و مباحث هذه المذكرة .

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني للبحث و التنقيب في هذا الموضوع :

1- اعتقادي أن منطقة الأوراس لم تنل نصيبها كاملا من الكتابات التاريخية و بقيت العديد من الحقائق التي عايشتها مجهولة، شانها شان مناطق أخرى من الجزائر، و ما تناولته أقلام الباحثين لم يرق بعد إلى مستوى الدور التاريخي الذي لعبته الأوراس على مر السنين و الفترات.

2- محاولة تسليط الضوء على مرحلة هامة من تاريخ الأوراس و هي فترة انتشار الفكر الإصلاحي في الجزائر و مدى تأثيره على سكان المنطقة، حيث بقيت هذه المرحلة الهامة مجهولة الهوية في كثير من جوانبها ، وهذا فيما تم الاطلاع عليه من المؤلفات الأكاديمية، لذلك حاولت أن أسد بعض هذا النقص من خلال هذا الإسهام المتواضع.

3- كشف النقاب عن كثير من جوانب شخصية الشيخ المصلح محمد الغسيري و الذي بقي مجهولا عن الكثير من الكتاب و الباحثين و عامة القراء، ووضع هذا الرجل في مستوى

الدور الذي أداه لوطنه و شعبه على مر مختلف المراحل التي قطعتها الجزائر من اجل الاستقلال.

4- الإفصاح عن المناقب المجهولة من حياة الشيخ محمد الغسيري الذي حمل في ترحاله و نزوله الفكرة الإصلاحية السامية سواء في الجزائر أو في بلاد المشرق و الحجاز، خاصة و أن الرجل عرف عنه أنه مصلح ثوري ، فنجده سياسيا مميزا و دبلوماسيا محنكا، كما نجده مفاوضا متمكنا و رجلا نافذا.

5- التعريف بحياة و آثار الشيخ الغسيري و إسهاماته الثقافية و التنظيمية سواء في المدارس الحرة الجزائرية أو في ميدان الكشافة الإسلامية أو في مواقفه الوطنية و بعد نظره الثاقب في بعث الأمة على النهضة و الرقي.

6- ما دفعني أيضا للبحث في هذا الموضوع هي تلك التساؤلات التي كانت تراودني منذ كنت في المدرسة الأساسية حول الكثير من المواضيع و علاقتها بالمنطقة التي ولدت و نشأت فيها و هي الأوراس ، و من بين هذه الأسئلة هل هناك دور للأوراسيين ضمن المجهود الوطني المبذول الذي قامت به جمعية العلماء و شيخها عبد الحميد بن باديس؟ و رغم الإجابات التي كنت أتلقاها من معلمي و أساتذتي إلا أن ذلك لم يشف غليلي إلى أن فتحت أمامي هذه الفرصة فعزمت على البحث في هذا الموضوع .

حدود الدراسة

نعتقد أن الإطار التاريخي لهذا البحث يمتد منطقيا من ميلاد الشيخ محمد الغسيري سنة 1915 إلى غاية وفاته سنة 1974 و هي المرحلة الحافلة بالأحداث و التغيرات الكبرى التي عرفتها الجزائر حيث أن التحولات التي أعقبت الحرب الكونية الأولى و التي عرفت فيها الجزائر تبلورا للأفكار التحررية و ظهور الحركة الوطنية الجزائرية من جهة ، ومن جهة أخرى فان هذه الفترة شهدت ميلاد الحركة الإصلاحية مع إنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 و ما أحدثته هذه الأخيرة من تحولات جوهرية في عقل الجزائري أثناء تلك المرحلة، كما تشمل الدراسة الحركة الإصلاحية للأوراس و علاقتها بالثورة التحريرية لتمتد إلى مختلف التحولات الديمقراطية و الاجتماعية و الاقتصادية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال و التي سنبرزها في تفاصيل هذه الرسالة نهاية بسنة 1974 التي استوفت فيها الجزائر جوانب كثيرة من بناء للدولة الجزائرية الحديثة.

مناهج البحث

اتبعت في دراسة موضوع هذا البحث بثنايا فصوله و عناصره مختلف مناهج البحث العلمي المعروفة في مجال الدراسات التاريخية و هي :

*- المنهج التاريخي الوصفي: و الذي وظفته في سرد الأحداث التاريخية ووصفها و تصنيفها حسب تسلسلها الزمني و هذا من خلال الوقوف على الحقائق ووصفها بحيثياتها حسب ما يتطلبه الموضوع.

*- المنهج التحليلي :الذي استخدمته في دراسة الوقائع التاريخية و مناقشتها و ربطها بالظروف المحيطة بها بغرض الوصول إلى استنتاجات و أحكام خاصة فيما يتعلق بالقضايا الشائكة التي تتطلب مناقشة مختلف الفرضيات و الاستنتاجات و صولا إلى الرأي الغالب للاستصدار الحكم.

*- المنهج المقارن: و الذي وظفته بالخصوص في مقارنة المعطيات و الإحصائيات و الوقائع سواء بين فترة زمنية وأخرى أو التي تتعلق بفترة زمنية واحدة و لكن تسودها اختلافات حول الحكم عليها.

صعوبات البحث

في إطار الإعداد لأي بحث سواء كان في مجال التاريخ أو المجالات الأخرى عادة ما تظهر صعوبات و عراقيل تقف أو تحول بين الباحث و الحقيقة. سواء كانت متوقعة أو تظهر في خضم العمل.

و قد توقعت قبل بداية هذا البحث مجموعة من الصعوبات التي قد تصادفني في إطار إعداد هذه الرسالة و برز بعضها فعلا أثناء انجاز هذا العمل. و التي نذكر منها :

- قلة الكتابات و الأبحاث التاريخية و خاصة الأكاديمية منها و المتعلقة أساسا بمنطقة الأوراس.مما يتطلب جهدا كبيرا يستغرق مدة من الزمن للوصول إلى بعض الحقائق ليتسنى لنا توظيفها في إطارها التاريخي السليم.
- تشتت المادة الخبرية في مختلف دور الأرشيف و المكتبات سواء منها العامة والخاصة مما يجعل عملية التنقيب عنها أمرا صعبا بالإضافة إلى تطرق هذه الرسالة إلى جوانب كثيرة و مرحلة طويلة مما يبعث على ضرورة الإلمام الكامل بهذه الجوانب.

- طبيعة هذه الدراسة و التي تجمع بين دراسة لظاهرة تاريخية و هي الإصلاح لمنطقة الأوراس و كل ما يتعلق بها و بين دراسة تتناول ترجمة لحياة شخصية تاريخية وطنية و تتبع مسارها عبر المراحل المتتالية طوال المدة الزمنية 1915- 1974.
- قلة الآثار التي خلفها الغسيري مما يصعب علينا الإلمام بسيرته الذاتية المعروفة و المستترة منها.

غير أن هذه العقبات المشار إليها لا تخرج عن الصعوبات التي تواجه كل دارس أو باحث عن الحقيقة في مثل هذه المواضيع ، لكن بفضل الله و العزيمة و المثابرة استطعنا أن نتغلب على جزء منها و ما تنقصنا فيه من خبرة عوضها علينا الأستاذ المشرف الذي جعل الدرب ينفتح أمامنا، مغدقا علينا بتوجيهاته و إرشاداته فان كنا قد وفقنا فمن عند الله أولا وبفضل هذا الأستاذ المرشد ثانيا وان أخفقنا فحسبنا أننا بذلنا المستطاع من الاجتهاد لبيان مختلف الحقائق و الوقائع المتعلقة بالموضوع قيد الدراسة.

وصف لأهم مصادر البحث و مراجعه

لقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع و التي تختلف من حيث أهميتها حسب علاقتها المباشرة أو الجزئية بالموضوع و سأقتصر على وصف البعض منها:

المصادر

أ- مؤلفات و أثار الغسيري:

1- مقالات بعنوان عدت من الشرق : و التي نشرها في جريدة البصائر في 19 حلقة تتضمن رحلته المشهورة مع الكشافة الإسلامية الجزائرية 1953 إلى مصر و التي اظهر فيها كثيرا من الأمور التي تعكس رؤيته لبعض الوقائع.

2- كتاب صورة من حياة و نضال الزعيم الإسلامي و المصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس و هو أهم المؤلفات الثقافية التي خلفها الشيخ الغسيري و الذي ابرز فيه جانبا معتبرا من تاريخ الجزائر و ربط ذلك بالزعيم و المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس الأمر الذي سمح لنا بان نكشف عن مكانة ابن باديس و الحركة الإصلاحية ككل لدى الغسيري بالدرجة الأولى و الاصلاحين الأوراسيين بصفة عامة .

3- تقرير الغسيري حول سير عملية الإصلاح في الأوراس الذي رفعه إلى جمعية العلماء و رئيسها ابن باديس بقسنطينة سنة 1939 و الذي كشف لنا عن كثير من جوانب الإصلاح في هذه المنطقة، هذا الأثر القيم الذي نعتقد انه يعالج جانبا هاما من بحثنا خاصة فيما يتعلق بالفصلين الثاني و الرابع.

4- مجموعة من الوثائق و الرسائل و التقارير التي عثرنا عليها في الأرشيف الولائي بقسنطينة و التي تتعلق بأحداث ووقائع هامة من هذه الرسالة و تبرز مختلف المهام و الأنشطة التي تولاها أو قام بها الغسيري طوال مسيرته النضالية.

5- حياة كفاح للشيخ احمد توفيق المدني و الذي يعتبر مذكرات هامة لبناء وقائع الفصل السادس من بحثنا باعتبار ان توفيق المدني احد رفاق الغسيري في النضال و احد معاصريه

المراجع : من بين العدد المعتبر من المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر منها:

1-كتاب: تاريخ الأوراس من إنتاج جمعية أول نوفمبر بباتنة و الذي أفادنا كثيرا في ضبط بعض الأحداث من خلال مؤلفيه الذين اجتهدوا للحصول على حقائق مميزة.

2- كتاب: الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي لعبد الحميد زوزو و هو عبارة عن رسالة دكتوراه و قد اشرف عليها عميد المؤرخين الفرنسيين شارل روبير اجرون و التي نعتها أبو القاسم سعد الله بالموسوعة الأوراسية.

3-المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر لمحمد الحسن فضلاء وهو كتاب يتطرق إلى جميع مدارس التربية و التعليم بالجزائر و مختلف الأنشطة التي شهدتها.

4- كتاب الكشافة الإسلامية الجزائرية لأبي عمران الشيخ و محمد جيجلي و قد الم هذا الكتاب بمختلف جوانب مسيرة الكشافة الإسلامية الجزائرية و التطورات التي عرفتها مما عزز و اثري الفصل الرابع من هذه الرسالة.

خطة البحث:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة و سبعة فصول و خاتمة و مجموعة من الملاحق بالإضافة إلى بيبليوغرافيا البحث و فهرس للأعلام و الأماكن و أخيرا فهرس للموضوعات

الفصل الأول: الأوضاع العامة للأوراس فيما بين الحربين العالميتين:

و بنت فيه مختلف الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية، السياسية و الثقافية التي عاشتها منطقة الأوراس منذ بداية القرن العشرين كما ركزت على مرحلة الثلاثينيات من فترة ما بين الحربين الكونيتين باعتبارها جمعت الظروف التي ولدت فيها الحركة الإصلاحية الجزائرية و برزت بالخصوص في منطقة الاوراس. مقسما هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول : الأوضاع الاقتصادية.

المبحث الثاني : الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية و الثقافية.

الفصل الثاني: الغسيري الحياة والآثار:

و تطرقت في هذا الفصل إلى حياة الشيخ محمد الغسيري بدءا بمولده سنة 1915 بعرش أولاد منصور بغسيرة و إنتهاءا بوفاته 1974 مرورا بحياته الشخصية و نشأته و انخراطه في صفوف الحركة الإصلاحية و قد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث و هي :

المبحث الأول: الغسيري المولد و النشأة.

المبحث الثاني: الغسيري المعلم والمصلح.

ثالثا : وفاته و أثاره.

الفصل الثالث: الحركة الإصلاحية في الأوراس :

و في هذا الفصل عالجت حقيقة وجود الحركة الإصلاحية في الأوراس و مختلف أنشطة و أعمال الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء منذ تأسيسها سنة 1936 إلى غايـــة اندلاع الثـــورة و موقف الأوراسيين من هذه الحركة مقسما هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول : الإرهاصات الأولى و بوادر الحركة الإصلاحية في الأوراس.

المبحث الثاني : النشاط الإصلاحي للشعبة الأوراسية.

المبحث الثالث : في أفق الصراع مع الإدارة الاستعمارية.

الفصل الرابع: دور الغسيري في الحركة الإصلاحية:

و تعرضنا في هذا الفصل لأهم الأدوار التي مر بها الغسيري في مسيرته الإصلاحية كمعلم في مدارس العلماء ثم كمفتش عام لهذه المدارس ثم دوره في حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية وصولا إلى مونه رئيس لجامعتها. وقسمت هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: دوره التعليمي في مدارس العلماء.

المبحث الثاني: دوره في حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية.

الفصل الخامس: الحركة الإصلاحية في الأوراس عشية اندلاع الثورة التحريرية 1954 :

و قد عرجت فيه على أهم المواقف التي أبداها الاصلاحيون الأوراسيون من الثورة التحريرية و التحاقهم بها و قدمت أمثلة عن بعض الاصلاحين في الأوراس الذين التحقوا بالثورة و شاركوا في تفجيرها. مبرزا ذلك في مبحثين:

المبحث الأول:وقع الثورة في صفوف الحركة الإصلاحية في الأوراس.

المبحث الثاني: التحاق الإصلاحيون الأوراسيون بالثورة التحريرية.

الفصل السادس: الغسيري بين العمل السياسي و الثوري:

بينت في هذا الفصل كيفية التحاق الشيخ الغسيري بالثورة التحريرية و أهم نشاطاته. و نضالا ته خلال هذه الثورة مبينا نشاطه في تمثيل جبهة التحرير الوطني في سوريا و قد بينت ذلك في مبحثين هما:

المبحث الأول: العمل السياسي

المبحث الثاني: العمل الثوري و إسهامات الغسيري.

الفصل السابع: دور الغسيري في مرحلة البناء و التشييد:

و تعرضت في هذا الفصل إلى استمرار النشاط الوطني للغسيري بعد الاستقلال كسفير للجزائر في المملكة العربية السعودية و الكويت و اجتهاداته في هذه المهمة الجديدة. و المرحلة الهامة لبناء الدول الجزائرية المستقلة مقسما الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: دوره الدبلوماسي

المبحث الثاني: مكانته في القيادة السياسية

وفي الأخير ختمت البحث بخاتمة للموضوع عرضت فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

مدخل :

يقترن هذا البحث بمنطقة الأوراس التي اختلفت حولها الكتابات سواء من حيث تحديد مجالهـــــا الجغرافي أو من حيث الموقع الزمني لظهور تسميتها ، التي طبعتها فرضيات عديــــدة ،وقبل الخوض في أغوار هذه الدراسة المتواضعة ، خليق بنا تقديم تعريف مختصر عن منطقة الأوراس وعن أصول تسميتها التي تعود الى المراحل البعيدة في الاطار التاريخي ، وعن حدودها وتقسيماتها الجغرافية عبر الفترات التاريخية المتعاقبة .

فبالرغم من الإشارة إلى المنطقة في بعض الكتابات القديمة حين ورد ذكرها عند بطليموس في القرن الثاني للميلاد بــــــــاسم "AUDUS " أوديس ، حيث ذكر أن هذا الجبل يقع جنوب" لامبيز " إلا أن المؤرخين يــــــعتبرون القرن 06 م السادس ميلادي التاريخ المفترض لظهور هذه التسمية عندما وردت عند المــــــؤرخ البزنطي بروكوب "procope "باسم مونس أوراسيوس Mons Aurasius[(1)]. لكن الجدل ظـــل قائما بين المؤرخين أيضا حول المعنى الدقيق للفظة الأوراس. فهناك فرضية قائمة منذ 1867 لصاحبـها لوتومو و نالت تأييد ماسكوري[(2)] و الذي خص المنطقة بدراسة هامة في منتصف الثاني مــــن القرن 19 هذه الفرضية التي تقول إن الأوراس تعني بلاد الأرز في بقول جورج ماسي إن الكلمـة تستلهم دلالتها من اللون الأشقر أو الأصهب [(3)].

و يبدو أن هذه الأخيرة اقرب إلى المعاني المتداولة حاليا في نظر عبد الحميد زوزو الذي أجــرى دراسة واسعة حول المنطقة و أصبح من المتخصصين فيها فهو يقارن بين لفظتي أوراس و أريس من حيث النطق و الموقع الجغرافي فأريس التي تعني الأسد الذي يزار أو الذي

---

(1) Tirese Riviere :L’habitation chez les ouled abderhmmene chaouai de l’aures.in africa journal de INT des langue et CIV.VolX paris ,1938 ;P249.
(2) E-Masquoray : Documents historiques Requeillis dans l’aures-Revue africainne N21,1877 ; P98.
(3) عبد الحميد زوزو : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي- التطورات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية (1937-1939) ، ترجمة الحاج مسعود ،ج2 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ،2005 ، ص 6.

يوجد هنــــــاك و أوراس تحملان معنى واحد هو الحيوانات المتوحشة و الغير الأليفة كما يوردها مرادفة للكلمـــــة البربرية "أوراغ" التي تعني اللون الأصفر أو الأشـــقر و رجع أن

تكون أوراس تعني موطـــــن الأسود والسباع المتوحشة ذات اللون الأشقر الممزوج بالصفرة. أما المجال الجغرافي فالأوراس عند الإغريق تشمل جبل أوراس الذي يقع جنوب لامبيز في حين أطلق المؤرخون العرب اسم بلاد أوراس على رقعة جغرافية أوسع ففي منطقة شاسعة سيتوق لقطعها سبعة أيام و تمتد من طوبنـــة إلى بغاي و ما ورائهاعند المؤرخ الجغرافي البكري في وصف افريقيا أما الإدريسي فجعل السفر عبرها يستغرق 12 يوما في حين تحددها تيراز ريفيار بأنها سلسلة الجبال العالية في الجزائـــر و الموجودة شرق الهوة الكبيرة لبسكرة و غرب سلسلة الجبال التونسية و جنوب سهول قسنطينــــة.

أما حديث و في خريطة التقسيم السياسي العسكري و الإداري للجزائر التي اشرف عليها الجنرال دوماس .1852 نجد أنها قسمت الأوراس بوضوح إلى الأوراس الشرقي التي تشير إلى خط مـــن الجبال تمتد من العجوج إلى مسكانة و بغاي، و ستقتصر عموما صفحات هذا العمل المتواضع على مركز الأوراس المعروف حاليا و الممتد بين الحدود الشرقية و الغربية لولاية باتنة.و تقتضي دراسة الحركة الإصلاحية بالأوراس و شخصية المصلح محمد الغسيري و مسيرتـــــه النضالية في الحقب المتتالية التطرق إلى الحالة العامة للأوراس في مطلع القرن العشرين.

وبعد هذا العرض الموجز نشرع في عرض تفاصيل عن الأوراس وعن الأوراسي وخصائصه والتطورات التي عرفتها هذه المنطقة في هذه الفترة المليئة بالأحداث سواء على المستوى السياسي أو الاقتصــــــادي أو الثقافي والاجتماعي.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للأوراس فيما بين الحربين العالميتين .

المبحث الأول : الأوضاع الاقتصادية .

المبحث الثاني : الأوضاع الاجتماعية .

المبحث الثالث : الأوضاع السياسية والثقافية .

خاتمة الفصل

مقدمة الفصل

ارتأينا أن يكون الفصل الأول من هذا البحث يتطرق بالخصوص لأهم التطورات و الأوضاع التي عاشتها منطقة الأوراس مطلع القرن العشرين و نبين الوقائع التي عرفت فيها هذه المنطقة ما يسمى بالحركة الإصلاحية التي باشرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تأسيسها مباشرة سنة 1931.

و نبين ذلك في المباحث الآتية

المبحث الأول: و تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية لمنطقة الأوراس باعتبارها الأهم في الدراسة لكونها المؤثر الأول و الأساسي في الأوضاع الاجتماعية و الثقافية حيث سنستعرض في المبحث الأوضاع الاقتصادية للأهالي بنوع من التركيز على المجال الزراعي و هو النشاط السائد على الإطلاق آنذاك و التطورات التي عرفتها ملكية الأراضي و الماشية بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى كالصناعة و التجارة و الحرف اليدوية.

المبحث الثاني: و أوضح فيه الأوضاع الاجتماعية للأوراسيين في هذه الفترة من خلال إبراز أهم التحولات الاجتماعية و طبقات المجتمع و العناصر التي يتركب منها و الجهود الاستعمارية في تحويله حسب المنظور الكولونيالي.

المبحث الثالث: و أعالج فيه مدى انخراط المجتمع الأوراسي في العمل السياسي و الثقافي و الصراع القائم بين الثقافة الأوروبية الاستعمارية و تمسك الأهالي بأصولهم العرقية بالإضافة إلى محاولة السياسة الفرنسية أحداث تغيرات على هذا المجتمع في ثقافته و دينه.

الأوضاع العامة للأوراس مابين الحربين العالميتين (1919 - 1939)

بعد اجتياح الأوراس من قبل الحملة الفرنسية التي قادها الجنرال بودو بين سنتي 1844 و 1845 ، أعتبرت منطقة الأوراس خاضعة للحاكم العسكري بباتنة ، وقد واجهت القيادة العسكرية صعوبات جمة من طرف الأهالي ، بسبب المقاومة التي تظهر في كل جهة باستمرار ، رغم الاضطهادات ،والعقوبات الجماعية، واحراق المزارع والقرى ،ونهب الأموال والقتل الجماعي وغيرها، وبقي تأمين الوجود الاستعماري في المنطقة قائما على الحملات العسكرية المحدودة وكسب ولاء بعض الزعماء والشيوخ المحليين ذوي النفوذ للتعاون مع الإدارة الاستعمارية مقابل بعض الامتيازات ،وأستمرت هذه الأوضاع مع الأوراس حتى أنه ما إن تخمد ثورة شعبية او مقاومة حتى تندلع أخرى إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى , والتي تزامنت معها ثورة الأوراس 1916 ويمكن ان نقدم صورة عن الأوضاع التي أعقبت هذه المرحلة من خلال عرض مختلف تطورات كل الميادين .

الأوضاع الاقتصادية:

ظلت الأوضاع الاقتصادية للجزائر العثمانية عامة و الأوراس خاصة حسنة تفي بمعظـــم حاجيات المجتمع الجزائري رغم أن قطاع الصناعة لم يرق إلى مستوى الصناعة الأوروبية إلا أن الزراعة التي كانت تعتبر العمود الفقري للحياة الاقتصادية، فاقل مال يقال عنها أنها حققت الاكتفاء الذاتي و ضمنت الأمن الغذائي للسكان و هو الشيء الذي لاحظه وسجله العديد من الزوار والرحالة للجزائر في تلك الفترة أي مابين 1800و 1830 ، على غرارما عبر عنه احد المسافرين الفرنسيين و يدعــــى "طوماس" على أن سهول فحص مدينة الجزائر كان إنتاجها وفيرا و متنوعا، مما دفع الفلاحيـــن إلى توجيه فائض الإنتاج للتصدير الخارجي(1)'. وان كان هذا الوصف يخص فحص الجزائر ، الا أن صورة الأوراس التي رسمتها هذه التقارير لا تكاد تنفصل

(1) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000 ، ص 401.

عن هذا الوصف ، أما في عهد الاحتلال الفرنسي فقد بقيت منطقة الأوراس والى غاية الحرب الكونية الأولى 1914 تعيش الأوضاع نفسها التي عرفتها باقي مناطق من الجزائر، اللهم تأسيس بعض شركات الادخار و القرض الاستعمارية التي كان يفترض أن تجد مصلحة و موقع الأهالي في خدمة هذه الشركات الحديثة التي جاء بها المستعمر (1).

غير أن الملاحظ لهذه الشركات وخدماتها الجليلة أنها ظلت بعيدة عن استفادة السكان الأصليين منها وتقديم يد المساعدة اليهم ، والذي يوكد ما ذهبنا اليه هو الاطلاع على هذه الأحوال التي جاءت في تقارير الضباط العسكريين المشرفين على المكاتب العربية في المنطقة فهذه التقارير فـــي مضمونها لا تسكت عن استفادة الأهالي فحسب من هذه المؤسسات المقامة حديثا ، بل راحت تلقي اللوم و العتاب عليهم، و الذين لا ترى فيهـــم غير أنهم يميلون إلى الخمول و الكسل(2). فالحق أن هذا الحكم ليس جديدا بل ليس قاصرا على منطقة الأوراس فالنظرية الاستعمارية عندما تعجز عن شيء أو تنتقد عليه ترد سببه إلى كسل و خمول العربي مثلما تفعله في كل مرة ،ويتجلى هذا الحكم في تقرير حصيلة السداسي الأول من سنة 1868م حول منطقة الأوراس « ما تـــــزال وضعية قطاع الفلاحة على ما كانت عليه منذ سنوات و لم يسجل فيها أي تطور ملموس»(3).

والمتمعن في هذا النص يجد أن السياسة الكولونيالية منذ نهاية القرن التاسع عشر كانت تستبــــــق التبريرات تلو الأخرى لتغطي استغلالها لأراضي الأهالي وخيراتها، خاصة و انه من المـــعروف لدينا أن الأسرة الجزائرية تعتمد أساسا على مورد الزراعة في المقام الأول و انه بدخول الاحتلال اختلت هذه القاعدة ، لأن البورجوازية الفرنسية التي حلت حديثا في الأوراس راحت تستعمل أساليب جديدة في وسائلها وطرق تطبيقها ، وكلها طرائق جديدة على الأهالي ، فكانت النتيجة اختلال الوضع الى الحد الكارثي بالنسبة للمجتمع الأهلي المســـلم (4).

---

(1)عبد الحميد زوزو:الأوراس ابان فترة الاستعمارالفرنسي، المرجع السابق، ص 67.
(2) المرجع نفسه، ص 68
(3) المرجع السابق، ص73
(4)عبد المالك خلف التميمي: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، ط2، 1990، ص 63.

و إذا ما تعمقنا اكثر في واقع الأوراس في هذه الفترة وبالرجوع إلى التقارير المختلفة كالتقرير الـذي أنجزه محافظ باتنة حول واقع أهالي المنطقة وفقا لطلب الحكومة الفرنسية بتاريخ 5جويلية 1934 و الذي حرره في 18 أكتوبر 1934، فقد خلص فيه إلى القول « لا يزال الأهالي في هذه المــنطقة يحيون وفق نمط المعيشة الذي كان عليه آباؤهم و أجدادهم من قبل، يولد الطفل راعيا ثم يفـــــلح الأرض بطريقة تقليدية و يبني داره بنفسه على نمط هندسة بدائية....»[1] فهذا الواقع في حقيقـــــة الأمر يعكس ويصور مستوى الحرمان والحياة الهامشية التي وجد فيها الأوراسيون أنفسهم غير أن المنظور الاستعماري و الحكم الفوقي الصادر من شخص يضع نفسه في مصـــــــاف ناشري الحضارة ليبرر فشله بإلقاء اللوم على الأهالي ووصفهم بالتخلف و الركود وخاصة حينـــما يسترسل في قوله « نادرا ما كان الأهالي يحيدون عن حياة الروتين المعهودة – حسب النظريـــــة الكولونية - ليلتفوا إلى ما يصنعه جارهم المستوطن الأوروبي في حياته اليومية فلا يقتبسون نماذج العيش و لا يتأثرون بالمؤسسات الرائعة ــ حسب الوصف الاستعمـاري ــ التي أنشــأتهـــــــــا الإدارة » [2].

و الحق أن الدراسات أجمعت أن من تأثر بالنمط الغربي من الأهالي كان عددا محدودا فـــــــي الأوراس و غيرها من مناطق البلاد و هذا القول الذي خلص إليه المحافظ لا يعكس في حقيقـــــة الأمرسوى تفسير ونظرة من جانب واحد و هو المنظور الاستعماري الذي ينسب إلى كونه نـــاشرا للحضارة - الدور الذي لايتحلى به في الواقع – حتى و إن كانت حضارته قائمة على استغـــلال الأخر لخدمة مصلحته لا غير، و مهما كانت الوسيلة التي تبرر هذه الغاية فهو يجد في ذلك صورة رائعة تصنعها الإدارة الفرنسية.

و رغم أننا سبقنا هذه النظرية الموجزة للوضع الاقتصادي العام في الأوراس و الذي خلصنا فيـــه إلى القول أن الحالة الصعبة التي ظلت مستمرة مع الأوراسيين [3]، اللهم بعض التغــيرات

(1) تقرير محافظ باتنة 18 أكتوبر 1934، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(2) المصدر نفسه
(3) عبد الحميد زوزو : الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي ،المرجع السابق، ص 111.

التـــــــي أحدثتها إصلاحات 1919لكل من ـ جونار* أو كلمنصو ـ حسب تعبير بعض المؤرخين من تغييـــر ضيق لدى بعض الشرائح الاجتماعية كقدماء المحاربين و المعطوبين [1] الذين استفادوا بطريقـــة مباشرة من هذه الإصلاحات فان الوضع العام ظل على ما كان عليه قبل الحرب.

أما إذا أردنا أن نؤرخ لبعض المحاولات والتي كان الفرنسيون يعتقدونها جهودا جبارة لتحريـــك عجلة التنمية في الجزائر فان الفترة الممتدة بين 1902- 1914 عرفت مثل هذه المحاولات التـــي يمكن اعتبارها أكثر جدية مما كانت عليه منطقة الأوراس منذ الاحتلال أين أنشأت في تلك الفتـــرة معظم مراكز الاستيطان ، و لكن يبقى وصف التقارير الفرنسية لأوضاع الأهالي الأوراسييـــــن بالمتدهورة مستمرا و طرح محرروها الكثير من التساؤلات حول الأسباب العميقة التي وضعـــت الأوراسيين في أوضاع رديئة مقارنة بالا وروبين في المنطقة، ففي الوقت الذي ذهب فيه بعض هؤلاء إلى القول بـــأن السبب يكمن في النظام الاستعماري الذي حرم الجزائريين من وسائل تحسين أوضاعهم وقدمــــها بسخاء للمستوطنين ، اكتفى بعضهم بالنظرة الاستعمارية حين أرجع مسؤولية تردي أوضاع الأهالي إلى كسلهم و عدم اكتراثهم بما يجري لدى جيرانهم المستوطنين[2]، و إن كنـــــت أوردت الرأيان اللذان لهما جانبا من الصحة في تفسير هذا الوضع الاقتصادي للأوراسي فاني أجــــد أن الرأي الأول أهم واقرب إلى منطق تفسير الواقع الذي شهدته المنطقة، فالمصادرة الواسعة التـــــي مست أراضي وممتلكات الأوراسيين سنة 1872** و قانون فـــارني ***1873 و انـــتزاع أراضــــي القـــــبائـل

*- شارل جونار (1875 – 1927) تولى حكم الجزائر ثلاث مرات و يبدوا أن سياسة هذا الوالي كانت اخف وطأة من سياسة الولاة المستعمرين الآخرين إذ استمال طبقة العلماء و استطاع أن يؤلف منهم سنده و ينصبهم على كراس الإفتاء لصالح الحركة الاستعمارية كما انه بارك إصلاحات 1919 ، انظر سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية، ص 331

(1) أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية،ج3، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط2، 1994، ص 331

(2) عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي،مرجع سابق، ص 127.

**- نظرا لموقف الأوراسيين من ثورة الاخوان الرحمانيين 1871 ومساعدتهم لها بالرجال والمال .

***- قانون فارني 1873/7/26تطبيق القوانين الفرنيسة على التعامل في بيع الأرض وابعاد القضاء الاسلامي عن معاملات العقار ، والحق به قانون 1887 الذي يسمح ببيع الأراضي المشاعة للمعمرين .

الثائرة بعد ثورة الأوراس 1879، كل ذلك يقدم تفسير تدهور أوضاعهم الاقتصادية التي لا تكـــاد تحتمل أكثر مما أوكل إليها و دفع بعضهم إلى الهجرة لتحسين مستوى حياتهم[(1)].أن ما اجمع عليه هو الوضع الاقتصادي المتردي لسكان المنطقة لكن في هذا السياق يبقى السـؤال مطروحا أيضا ، فكيف لحركة إصلاحية منبعثة أن تجد صدى لها في الأوراس ؟ الذي كان كغيره مـــن المناطق يعاني الفقر و الحاجة، هل هذا الانبعاث كان صدفة مع الإصلاحات الجديدة فـــــــــي المستعمرة، أم هو جوابا من الأوراسيين للتمسك أكثر من ذي قبل بمقوم الأمة الجزائرية و المتمثل في اللغة العربية و الدين و الثقافة الإسلاميين، و الذي سوف يعمل رعيل من الأوراسيين لبعثه فـي هذه الأوساط المتعطشة للثقافة العربية الإسلامية أصلا، وسأجيب على هذا الجانب من خــلال استعراض أعمق للأوضاع العامة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى حتى نعرف حقيقة هذا الانبعاث و هذا بعرض تحولات كل قطاع على حدى.

حالة الزراعة و الرعي الأهلية:

تعد الزراعة من النشاطات الرئيسية للأوراسيين واقترنت هذه الحرفة بحياتهم و اقتصادياتهم لذلك كانت محل اهتمامنا ،و قـــــد رصدنا ما اجمع عليه الباحثون وهو أن بداية المحاولات الأولى الرامية إلى نشر بعض أســـــــاليب الزراعة الحديثة آنذاك وسط السكان المحليين و تعليمهم مبادئ الزراعة العصرية كان في غضـون 1921، وهذا برأينا يندرج في محاولات احتواء و إنقاذ التدهور الكبير الذي عرفته المستعمرات في أتـون الحرب العالمية الأولى، و بعث نوع من الأمل لشعوبها حتى تمكنهم من الاندماج في الحياة الجديـدة رغم أن الجهود الفرنسية في هذا السياق قد بدأت تظهر منذ1870، و لم يشرع في تنفيذ هـــــــذه التدبير في منطقة الأوراس بصورة معتبرة إلا ابتدءا من سنة1930، فقد أقيمت مزرعة في منطقــة هنشير تبلغ مساحتها 189 هكتار موجهة لتدريب عدد من الممتهنين للفلاحة و العمل فـــــــــي المستثمرات الزراعية الهامة [(2)]، فبصورة أخرى كان ذلك في إطار إعداد اليد

(1)عبد الحميد زوزو: الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 – 1939) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 26.

(2) عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فنرة الاستعمار الفرنسي ، مرجع سابق ، ص 137.

العاملة المؤهـــــلة للعمل في المستثمرات الفلاحية للمستوطنين من جهة أو محاولة جعلهم نموذجا يقتدي به فـــــلاحو المنطقة لاستغلال أراضيهم من جهة أخرى، و مهما يكن فقد كان لزاما انتظار سنة 1936علـــــى اعتبار انه عام التدابير الجادة الميدانية في نظر الكثير من الباحثين و الهادفة إلى تحسين المـــردود الفلاحي ككل و النهوض بالاقتصاد الفرنسي بصفة عامة و عرضها كمحاولات مسجلة لتخليص الفلاحين من الأساليب التقليدية البالية – في نظر الاستعمار - وتدريبهم على الأساليب العــصرية الأوروبية و إقناعهم بأمثلة ملموسة، و قد مست هذه التدابير عدة جوانب و التي تتمثل: في إيــواء بعض العائلات الريفية المحرومة من الأرض في أملاك الدواوير و أملاك الدولة المصـــــادرة و تحسين ظروف السكن الريفي و إنشاء مزارع في مساحات الإيواء المبرمجة، و تمويل كل ذلك بقروض متوسطة و طويلة المدى(1). كما يضاف إلى هذه الجهود تحول شركات الاحتياط الأهلية في السنة نفسهابفضل قانون 15 أوت 1936 المتعلق بديوان القمح و القرار الصادر في 15 نوفمبر 1938 إلى شركات للتعاون الزراعي بتوسيع نشاطها، لتحسين وسائل الإنتاج و تقديم القروض بعدما كانت مهمتها تقتصر على تخفيف ظروف المجاعة(2).

لقد كانت التدابير المشار إليها و المتمثلة في الاستفادة من القروض بنوعيها المتوسطة و البعيدة شيء جديد لإقحام مؤسساته من قبل الأهالي الذين يفتقرون إلى ثقافة الاقتراض و التسديد، و التي تعتبر أمرا يبعث على التخوف بالنسبة لحياة روتينية آلفوها من قبل، هذا من جهة ، و من جهة أخرى سيزيد ذلك من عبئ الأهالي الذين ستقترن اقتصادياتهم المتواضعة بهذه القروض و التي يصعب عليهم كثيرا تسديدها في مثل هذه الظروف ، لكن السؤال الممكن طرحه في هذا الموقف هل استفاد فلاحو الأوراس من هذه التنظيمات الفرنسية الجديدة بالصورة التي ظلوا يطمحون إليها ؟ أم وضعتهم في خانة تبعدهم عن الاستفادة منها و فرضت عليهم و ضعا خاصا بهم ؟.

بالرجوع و الاعتمـاد على الوثـائق المتوفرة لدينا للفتـرة الممـتدة بين 1934-1939م ، و التي

---

(1)عبد الحميد زوزو : الأوراس ابان فترة الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 141 .

(2) المرجع نفسه ،ص 78 .

كانت تصدر من الجهات البلدية المختلطة و التي ترفع إلى الشؤون الأهلية بقسنطينة ، ومن خلال إجراء مقارنة على عينة منها والتي رفعها كل من رؤساء البلديات المختلطة (بلزمة ، الأوراس ، عين التوتة) بتاريخ 16 أفريل 1937 و التي ضمنوها دراسة معمقة حول أوضاع سكان هذه المناطق ومقارنتها بالتقارير المماثلة لسنة 1939 يمكن أن نأخذ الصورة الواقعية لها و التحسن الملحوظ الذي عرفته رغم الانتقادات الكبيرة التي يمكن أن توجه لها.

لقد أجاب رؤساء البلديات المختلطة (بلزمة ، عين التوتة، الأوراس) عن تساؤلات مديرية الشؤون الأهلية في شكل تقارير شملت كمية الإنتاج الزراعي و المســـــاحات الزراعية وعدد الفلاحين من الأهالي و المعمرين و الملكيات الأهلية ، و أثمان المنتجات الزراعية في الأسواق و عائداتها السنوية و الثروة الحيوانية بمختلف مشاربها و مختلف الأنشطة الصناعية الحرفية وا لتجارية و الوظائف العمومية، و يمكن أن نبين جانب منها في هذه الجداول:

ـ جدول يمثل كمية إنتاج أهم المحاصيل الزراعية لسنة 1936 في كل من البلديات المختلطة : بلزمة ، عين التوتة، الأوراس:

نوع المنتوج	كمية الإنتاج ـ بلزمةـ	كمية الإنتاج ـ عين التوتةـ	كمية الإنتاج ــ الأوراس
القمح الصلب	43525 ق	20000 ق	55000 ق
القمح اللين	2500 ق	/	/
الشعير	158310 ق	50000 ق	40000
الزيتون	07 هكتار	خضر و فواكه 3000 ق	/
التين	400 ق		6000 ق
البطاطا	1275 ق		2000 ق

المصدر: تقارير رؤساء البلديات المختلطة بلزمة الأوراس عين التوتة، الأرشيف الولائي قسنطينة.

ـ جدول يمثل الثروة الحيوانية بالبلديات السابقة سنة 1936:

نوع القطيع	كمية الإنتاج بلزمة	كمية الإنتاج عين التوتة	كمية الإنتاج الأوراس
الأغنام	57702 رأس	50000 رأس	90000 رأس
الأبقار	4425 رأس	/	/
الخيل	2689 رأس	15000 رأس	/
الاحمرة	5383 رأس	/	3000 رأس

المصدر نفسه

من خلال القراءة المتمعنة لهذه الجداول يتبين لنا أن الإنتاج بصفة عامة كان متدهورا ،فإذا أخذنا كمية الإنتاج للقمح بنوعيه في بلدية بلزمة سنة 1936 و المقدر ب 46025 قنطار و عدد السكان في نفس السنة 51410 نسمة نجد أن نصيب الفرد الواحد هو 89 كلغ من القمح الذي يعد أساس الوجبات الغذائية لسكان المنطقة . فلا يمكن ل : 89 كلغ أن تكون الغذاء الكافي للفرد خلال سنة كاملة ، كما أن معدل ملكية الفرد للأغنام التي تعتبر المورد الأساسي للعيش والثروة في نفس البلدية و المقدر عددها ب 57702 رأس لا يمثل سوى 1.12 رأس، وإذا أخذنا بالاعتبار الأساس الثاني في الغذاء و هو الشعير الذي بلغت كمية إنتاجه 158310 قنطار فهو يمثل فقط 3.07 قنطار للفرد الواحد علما أن جزء هام من الإنتاج يستعمل كأعلاف للحيوانات و جزء يبقى كبذور ناهيك عن التوزيع غير العادل فيمكن أن نجد أكثر من 50 % منه بيد عدد قليل من المستوطنين .

لقد رسمت هذه التقارير صورة واضحة عن مقدار الثروة و كمية الغذاء و الإنتاج الزراعي للأهالي، و هي بذلك تعكس حالة كبيرة من الفقر و تدني كمية الإنتاج إلى أدنى مستوياته خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار التذبذب الكـــبير الذي يصيبه من سنـــة لأخرى و الذي مرده اعتماد الزراعة الأهلية على الأمطار، فهذه الأرقام قد تكون في سنة شهدت ازدهارا نوعيا و ربما نلـــمس صورة واضحة مما خلص إليه نفس التقرير في بلدية بلزمة بالقول « إن بلدية

بلزمة المختلطة بلدية فقيرة، وان كثير من العائلات التي كانت تعيش في الماضي حياة رغدة تعيش اليوم في ضائقة محرجة لا تكاد تنفرج » [(1)].

الواقع أن أهالي الأوراس لم يستسلموا لهذه الظروف بل ظلوا يبحثون عن مخرج منها بالاعتماد على إدخال قدر قليل من الأساليب الجديدة و محاولة افتكاك بعض الحقوق من المؤسسة الاستعمارية التي كانت تهمل العنصر الأهلي بقصد أو بغير قصد عن تحسين أحواله الشخصية[(2)] و يظهر هذا بمقارنتنا لتقارير 1936 بما جاء في حصيلة 1939 أين نلمس من خلالها نوعا من التغيير على موقف الإدارة الفرنسية في المنطقة ،و قد يعود هذا إلى محاولة تخفيف الضغط على شعوب المستعمرات لتجنب صعود النزعة الوطنية ،هذا من جانب، ومن جانب أخر حاولت الإدارة الاستعمارية إعطاء صورة مطمئنة للمجتمع الأهلي لتتمكن من تجنيدهم في الحروب ، خاصة بعد توسع التوتر الأوروبي و ظهور بوادر حرب كونية قادمة.

و في إطار هذا المسعى أشارت حصيلة 1939الى برمجة غرس مكثف للأشجار المثمرة خاصة الزيتون ، و طبقت هذه الصورة في جبل شاشار، حين عزمت الإدارة الفرنسية في المنطقة نفسها إلى إيواء بعض الأهالي و إمدادهم بحوالي 30 هكتار لكل عائلة، و سجل في نفس السنة ظهور صناديق محلية و جهوية لفائدة الأهالي على حد تعبير التقارير الفرنسية التي ترى ان ذلك فتح أمام الأهالي أفاق عريضة للاستفادة من القروض و فتح الفروع التعاونية التي أنشأت في معظم البلديات الأوراسية ابتدءا من سنة 1937 [(3)].

و لكن ذلك يبقى من منظور فرنسي يحاول أن يرسم صورة جميلة لحياة البؤس و الفقر التي كان يعيشها الأهالي و يرفع ذلك إلى درجة الجهود الجبارة للإدارة الفرنسية في تنمية المناطق الأوراسية، رغم الإرادة المفتقدة لدى الأوراسين في نظرها، و الحق أن هذه المحاولات التي

(1)- تقرير رئيس بلدية بلزمة المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(2)- يحي بوعزيز: موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،ج2 ،دار الهدى عين مليلة ، 2004، ص 75 .
(3)- تقارير رؤساء البلديات الأوراسية المختلطة 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة .

تحدثت عنها التقارير و العديد من الباحثين جاءت مقترنة بتحقيق بعض النتائج و تم بناء مخازن للحبوب و اقتناء كميات معتبرة من القمح و سجل ارتفاع مخزون القمح في البلدية المخـــتلطة عين التوتة مثلا من(500ق) سنة 1938 إلى (9000 ق) سنة 1939 لكن هذا تفسره بعض الشهـــادات من المعاصرين بان الأمركله كان مرده أساسا الظروف المناخية الجـيدة لهذا العام أين شهد تســاقط كميات كبيرة من الأمطار ، و عرفت فيه المنطــقة إنتـــــاجا لم تشـــهده من قبل و إن تصادف ذلك مع هذه المحاولات[1].

و خلاصة القول أن الأوضاع الاقتصادية عموما عرفت نوعا من التحسن سواء لســـبب كمية التساقط المتميزة باعتبارها المورد الوحيد لري المساحات المزروعة أو بسبب الاجراءات والتدابير الفرنسية المتخذة في هذا المجال ، و إن كان ذلك لم يرق إلى مستوى طموح الأوراسيين، فقد خلص الكثير من العائـــلات من الاحتكارات التي طالما مارسها الكولون و الإدارة الفرنسية المحلية عليهم عن قصد أو غير قصد ، و أصبحت رغبتهم في رفع القيود الاستعمارية أكثر من ذي قبل باستغلال أي فرصة تنـــفتح أمامهم، كما يتأكد لنا أن العناصر الأصلية للأوراس و رغم ادعاء منظري الاستعمار بأن الأوراسي غير قابل للتطور و التكوين ، إلا أننا نجده وبوسائله المحدودة يفند هذه المقولة و يصبح أكثر من ذي قبل قابلا للاستفادة من الابتكارات الحضارية الأوروبية الجديدة التي أنشأتها البورجوازية الفرنسية مثل صناديق الاقتراض و صناديق التعاون و غيرها.

النشاط الصناعي و الحرفي:

ينعكس المظهر العام للمدنية الأوروبية الحديثة في الميدان الصناعي و اقترن تطور أوروبا و قوتها العالمية بتطور الثورة الصناعية، التي عرفتها في المنتصف الثاني من القرن 18م. الشـــيء الذي جعلها ترفع شعار نشر هذه المدنية كسبب للحركة الاستعمارية الحديثة، لذلك جاء التصور لدى الكثيرين بأن الدول الأوروبية أينما حلت سيحل معها النشاط الصناعي

(1) –شهادات مجموعة من شيوخ المنطقة المعاصرين للفترة ،أخذت بتاريخ 2007/7/16 ، بباتنة.

و هو الأمل الذي كان يحذونا أن نلمـــسه في منطقة الأوراس، إلا أن واقع قطاع الصناعة في هذه المنــطـــقــة و في الـــفترة التي تعرضنا إليها ما بين (1915- 1939) ظل قطــاعا مخزيا أو منعدما وهو الشيء الذي أجمعت التقارير و الباحثون عليه ، و يبرز ما جاء في تقرير رئيس بلدية بلزمة المختلطة سنة 1936 ذالك بوضوح في قوله «لا يوجد أي نشـــاط صناعي في البلدية المختلطة بلزمة، فحتى بعض المنـــاجم التي كانت مستغلة من قبل قد توقـفت منذ ســـنوات عديدة، فالأهلي لا يجد ما يعمل إلا أجيرا يوميا أحـــيانا في الزراعة لدى الكولون الأوروبيين أو في أشغال الجسور والطرقات و بعض الأشغال العمومية»[1].

هذا الوصف الدقيق لحالة الصناعة بهذه البلدية نجده متطابقا مع تقارير كل بلديات الأوراس و سيظل ذلك يتكرر على صفحات التقارير سواء عام 1939 أو السنوات المتبقية من عمر الاستعمار و هو الشيء الذي يسمح لنا بالقول :إن مظاهر الثورة الصناعية في أوروبا، و السباق نحو التسلح و النشاط الصناعي الكبير الذي كان قائما في فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية لم ينعكس على منطقة الأوراس البتة ، وان قطاع الصناعة في المنطقة ظل منعدما.

و فيما يخص النشاط الحرفي فينبغي الإشارة أولا إلى انه كان في نظر من يمارسونه من الأهالي نشاطا موسميا أو حرفة يفرضها الواقع المزري، فيخصص له فائض الوقت في فترات ما بين موسم فلاحي أو رعوي و أخر فهو إذا نشاط تكميلي، و لكن فوائده لا تنكر خاصة في المناطق الجبلية أي المناطق التي يكون فيها النشاط الفلاحي محدودا جدا[2]، فتقارير 1936 حددت أنواع الأنشطة الحرفية و المتمثلة في البنائيـــن ومصلحي الأحذية و صناعة الفخـــار، و الحلي وبائعي الحطب و الفحم الذي يستعمل للوقود، بل قدرت عائدات هذه الأنشـطة الحرفية بمئة ألف فرنك (100000) في بلدية عين التوتة و (280000)فرنك في بلدية الأوراس المختلطة أي ما يمثل 13.7% من مصـــادر الدخل خارج القطـــــاع الفـــلاحي و تبرز هذه

(1)- تقرير رئيس بلدية بلزمة المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(2) عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي ، مرجع سابق ،ص 142.

الوضعية الدور الذي لعبته الأنشـــطة الحرفية في اقتصـــاديات الأهالي و التي حفظت لهم مكانة اجتماعية و عززت من دورها في تحســــين أوضاعهم قليــلا[1].

التـــجارة:

يقترن النشاط التجاري أساسا بالقدرة الشرائية و اتساع السوق الاستهلاكية و توفر مواد التـــبادل التجاري وهي أشياء تفتقر إليها منطقة الأوراس في هذه المرحلة، فلم تكن طبقة التجار المـــتواجدة بالخصوص في مراكز الاستيطان و في التجمعات السكانية الهامة أحسن حال من الطبقات الاجتمـــاعية الأخرى فقد كانوا عموما يمارسون نشاطا تجاريا بسيطا في عدد قليل من المواد الغذائية بصفة خاصة ، وتزويد الأهالي الفلاحين بالسكر و البن و الصابون

و الكبريت و زيت البترول و التبغ و القماش، و تجمع المصادر أن رأس المال التجاري المتداول يتراوح بين 1000و 4000 فرنك، أما تجـارة الحبوب فقد احتكرها المستوطنون الأوروبيون في مطاحنهم الموزعة على تراب الإقليم ،ولاشك أن هذا الوضع هو ما سمح باستمرار النظام القديم للمبادلات التجارية و هو نظام المقايضة ،أين يتبادل سكان الأوراس إنتاجهم من الحبوب و بعض الفواكه كالتين و التمور مع سـكان الصحراء أو منتجـــات مناطق أخرى فيما بينهم[2].

رغم ما تظهره هذه الأوضاع الاقتصادية الصعبة من بؤس و فقر أهل المنطقة إلا أن ذلك يعتبر في نظر الباحثين تحسن نوعي بعث أوضاعا جديدة كانت طبيعتها ثقافية و لم يســـتسلم هؤلاء الأهالي لبؤسهم و فقرهم بل جعلوا من معاناتهم بمجرد التحسن الطفيف في اقتصـــادياتهم معنى أخر و هو ضرورة بعث المقومات الشخصية و الإسلامية للتخلص من هذه القيود المفروضة عليهم ، و لم يجـــعلوا من هذا الفقر سببا كافيا لتعطيل قدرات أبنائهم في الزوايا و الكتـــاتيب أو

(1) تقارير رؤساء البلديات الأوراسية المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(2) عبد الحميد زوزو: الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق ، ص 271.

ما يصطلح عليه بالتعليــم الأهلي ، و في تقديرنا للموقف فان هذه السنوات الممتدة بين 1935-1939،قد عرفت حقيقة تحسنا اقتصاديا طفـيفا بالمنطــقة مما عزز فرصة أبنائها لخوض غمار التعليم و الاستـــمرارية و هو ما نتج عنه الدخول في مرحلة جديدة و هي الإصلاح الثقافي و الاجتماعي.

الأوضاع الاجتماعية

بعد عرضنا للأوضاع الاقتصـــادية من زراعة و صنــاعة و حرف وما تطبـعت به هذه الأنشطة فإننا نجدها تنعكس على الوضع الاجتماعي للمجتمع الأوراسي، و إذا عدنا إلى الدارسين المختصـين في تاريخ الأوراس إبـــان هذه الفترة و الذين اجمـــعوا على رأي واحد و هو انه رغم انقضاء قرن من الوجود الفرنسي فان العناصر الأهلية ظلت متمسكة بنمط عيش و زراعة و رثوه عن أجدادهم القـدماء، غير أن مع فترة بدايــة العقد الرابع من القرن العشـــرين، فإننا نجد إدارة الاستعمار تلتفت إلى هذه المنطقة في محاولة منها لإدخال الأساليب الجديدة في المجالات المختلفة التي تجعل من منطقة الأوراس منطقة تصريف المنتجات الأوروبية و الفرنسية في المقام الأول وتحفظ للأوراسيين مستوى محترم من الحياة [(1)].

إن تحقيق هذه الرغبة الجامحة عند الدخلاء على الأوراس لا يتحقق بسهولة فالوضع القائم لا يشـــجع على إيجاد هذه الســوق، فكان على الإدارة الفرنسية الاستعمارية أن تعمل على إيجاد طــبقة متوسطة جديدة تستطيع أن تتفهم ضرورة وفائدة الأساليب و السلع الجديدة التي تسهل الحياة اليومية للأوراسي و لما لا ترفه هذه المجموعة في مأكلها، ملبسها و مسكنها. وهذا طبعا حسب الرأي الفرنسي و الثقافة الأوروبية الجديدة[(2)].

والحـق انه بالرجوع إلى الواقــع الأوراســي إبان هذه الفـترة فإننــا نجد هذا الفصــيل من الأوراسيين الذي كان في مخيلة المنظرين الاستعماريين بقي منحصرا في عدد محدود من العائلات و الأفراد الذين كانت لهم ميولات و أهواء نحو نمط معيشة الأوروبيين و الذين كانوا

(1)-عبد الحميد زوزو: الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق ،ص 273.

(2)-عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق ، ص 26.

مقربين منهم فحاولوا تقليدهم في أساليب المعيشة و العمل مما سمح بتعدد طبقات المجتمع والتي باتت الفرو قات الاجتماعية كبيرة بينها[1].

السكان و طبقات المجتمع:

تظهر صورة المجتمع الأوراسي بصفة عامة في هذه الفترة مركبة من أغلبية أهلية ذات لسان أمازيغي (شاوي) و أقلية أوروبية و بعض القبائل العربية التي تعود إلى حقب متباينة سمحت بتشكيل البلديات المختلطة، و قد قدرت إحصائيات التقارير الفرنسية عدد السكان المسلمين في البلديات المختلطة الخنس في الأوراس سنة 1939 ب 272025 نسمة أكثر من نصف هؤلاء قرويون ريفيون أي ما يمثل نسبة 51% و البالغ عددهم 138463 نسمة[2] و نصف تقارير 15 أفريل 1937 أوضاع هؤلاء السكان بدقة، و ممكن آن نأخذ البلديات المختلطة الثلاث بلزمة، الأوراس و عين التوتة باعتبارها مركزية في المنطقة كنموذجا من خلال هذه الجداول.

جدول يبين تطور سكان البلديات الثلاث 1926-1936

المدينة / السنة	عدد السكان عين التوتة	عدد السكان بلزمة	عدد السكان الأوراس
1926	35235	43873	52270
1931	37996	47381	57421
1936	40757	51410	59886

تقارير البلديات المختلطة الأوراسية 1937

(1)-Charl Robert Ageron : Histoire de L'Algérie Contemporaine., Presses universitaires de France 1980 ; p59 .

(2) تقارير رؤساء البلديات الأوراسية 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة .

جدول تقسيم طبقات المجتمع في البلديات الثلاث:

مستوى الدخل	الطبقة الاجتماعية	بلزمة	عين التوتة	الاوراس
		العدد ع	العدد ع	العدد ع
6000 ق	الأثرياء	27	280	1200
6000-5000	الأغنياء	100	420	1800
4000-2000	متوسط الحال	1467	735	8300
2000-1000	الفقراء	5383	1309	2000
اقل من 1000	المعدمين	2000	4674	1300
	المجموع	8423	7418	14600

تقارير البلديات المختلطة للأوراس 1937

ـ جدول يمثل الزيادة السكانية الطبيعية لبعض بلديات الأوراس

البلدية	عدد المواليد	عدد الوفيات	متوسط الزيادة السكانية	نسبة الزيادة السكانية
الأوراس	1914	1410	504	08
عين التوتة	1905	1174	731	14
بلزمة	1345	795	550	13

المصدر: تقارير رؤساء البلديات المختلطة 1937

ـ جدول يمثل نسب توزيع الوفيات حسب فئات الأعمار

معدل الوفيات البلدية	من يوم إلى 1سنة	من 1سنة إلى 10سنوات	من 10الى 20سنة	أكرمن 20سنة
بلزمة	16.7	30.3	6.9	45.9
الأوراس	15	35	05	45
عين التوتة	18.8	37.7	6.2	37.1

المصدر: تقارير رؤساء البلديات المختلطة 1937

الواقع أن الأرقام الواردة في الجدول الثاني تبين بوضوح أن الأفاق امتلأت بالفـقراء ومن كانوا يوصفون بالفقراء جدا ويصـــنفون ضمن فئة التائهين أو العمال الموسمــيين والرعاة والمســاكين و البؤساء سواء كانوا قادرين على العمل أم لا ، كما تبين طبقة أخرى تصنف تحت فئة طبقة الفقراء وتشمل جميع الخماسين والعمال الزراعيين الذين لا يتجوز دخلهم السنوي 2000 فرنك ، والملاحظ أن الأماكن التي يتمركز فيها الأوربيــين بكثرة هي التي شــهدت انتشــار أعداد كــبيرة من الفقراء والمعوزين والمحتاجين والبؤساء أما الطبقة المتوسطة أو الميــسورة الحال فهي تتشكل من الفلاحين الذين يتراوح دخلهم بين 2000 و 4000 فرنك كما لاشتمل أيضا فئة التجار والحرفيين المتواجدين في مراكز الاستيطان .

إن الانتماء إلى فئة المترفين فمعناه أن يحوز المرء على مساحات واسعة من الأراضي وقطعان كبيرة من الغنم ويتراوح الدخل السنوي لهذه الفئة بين 5000و6000 فرنك ، وهذه البورجـــوازية المتوسطة ما هي في الواقع إلا امتداد للعائلات المنتمية فيما سبق إلى فئة النبلاء والعسكر، كما يمكن القول أن البورجوازية الأوراسية مختلطة المشارب بين أنصاف الحظر وإنصاف القرويــين الــتي تنتمي في أصولها إلى العائلات القديمة المعروفة والتي كانت تعد كبيرة أمثال (آل عبد الصمد ، بن شــنوف ، حفيــظي ، مقران ، بن حسين) فنجد مثلا آل عبد الصمد قد حافـظوا على مرتبة النبــالة ومكانتهم المعتبرة في المجتمع والتي استمرت مع الاستعمار وان كانت أقل شأنا مما حظيت به من امتيازات قبل الاحتلال .

لقد أتاح ذلك لأفراد العائلة إمكانية الحصـــول على الأموال واستصلاح ممتلكاتهم من الأراضي واســتغلال مشاركتهم في مخـــتلف المجــالس العمومية أو اللجان الفلاحية والجـــلوس إلى جانب المستوطنين ، لكن هذه البورجوازية الأوراسية لا تتعدى 2% في منطقة الأوراس. (1)

أما إذا قمنا بتــحليل أرقام الجدولين الثالث والرابع فإننا نلاحظ من خلالها مباشرة الزيادة الطبيعية المتدنية للســكان في منطقة الأوراس والتي تقدر عموما ب11بالألف (2) وذلك يعود أســاسا إلى عامــلين الأول وهو انخفاض نسبة الموالـــيد وهذه حالة طبيعية بالنسبة لمجتمع يعاني من جميع الجوانب ، أما العامل الثاني فهو الارتفاع الكبير في نسبة الوفيات وهذا ما تذكره التقارير خاصة في الفئة الأقل من سنة وهو ما يعكس نقص الرعاية الصحية و ظروف الولادة القاسـية أما الفئة الأكثر تعرضا للوفيات فهي التي تتراوح أعمارها بين سنة و 10 سنوات و التي يحصـــــد فيها الموت ما نسبته 35% و قد أرجعت التقارير ذلك إلى نوعين من المرض (3) انتشرا في المنطقة و مـــــــسا بالخصوص هذه الفئة، إن الأرقام المذهلة للوفيات التي تسجلها هذه التقارير تعكس بصورة واضحة الركود الاجتماعي لسكان الأوراس في العهد الاستعماري، من جهة تزايد عدد الأوروبيين مما يعكس الجهود الفرنسية لخلق نوع من التوازن الديمغرافي بين العنصر الأوروبي و الأهـــالي المحليين.

الحياة اليومية و مستوى المعيشة :

ترسم الوثائق و التقارير التي تحصلنا عليها تماما مستوى المعيشة لسكان المنطقة ما بين 1900- 1939 فالمواد المستهلكة لا تتعدى تقريبا الإنتاج المحلي أما الوجبات اليومية فتقتصر على وجبتي فقط، الأولى و هي وجبة الغداء و تكون مابين الســاعة التاسعة صباحا و منتصف النهار ، وتتمثل في (الكسرة) أو خبز الشعير وهذه الوجبة تكون تقريبا بمعدل) 500 غ)

(1)- عبد الحميد زوزو : الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق ، ص 279.
(2)- تقارير رؤساء البلديات المختلطة في الأوراس 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(3)- المصدر نفسه .

للفرد ،و وجبة العشاء و تكون ما بين الساعة السادسة و التاسعة مساءا و هي عبارة عن كسكس من طحين القمح و الشعير و المحضر بالحليب و ذلك بمعدل 700 غ للفرد حسب المستوى الاجتماعي للعائلة على غرار المعوزة منها التي تعتمد حسب التقارير إلى طحين النبات المحلي تارغودة(1).

لكن السؤال المطروح إلى أي مدى اثر هذا المستوى الاجتماعي على مستوى الطبخ عند العائلات الأوراسية ؟

يمكننا من خلال الوليمة التي أقامها المرابط سي حمو عبد الصمد على شرف ضيوفه الفرنسيين سنة 1894 أن نقدر مستوى الطبخ و الاستهلاك عن العائلات الثرية، فقد روى احد الحاضرين في تلك الوليمة قائلا « قدموا لنا حساء الشربة ثم لحم الدجاج بالبطــاطس مصنوع بأكلة تدعى الطحين الأحمر يتم إعدادها بالحمص و الزبيب و السكر وقطع اللحم و العسل و السقيق أو حبات الصنوبر كما قدموا بدل الخبز أرغفة تدعى المسمن، بالإضافة إلى مختلــف أنواع الحلويات التي تختتم بها المأدبة »(2) ربما نجد هذه المأدبة على كرم الضيافة و نوع الضيوف و قيمة الغرض منها فهي غير عادية لكن تعكس فن الطبخ المتطور لدى المرأة الأوراسية، و لا شك أن الفرق يظل قائمــا حسب العائلة التي تنتمي إليها المرأة،وما توفر لديها من غذاء، إلا أن المأدبة العاديـــة ظلـــــت تقتصر على الضروريات فالتقارير الفرنسية توضح أن اللحم يستــهلك مرة في الأســبوع لدى العائلات الغنية و عادة ما يكون من الأســـواق الأسبوعية بينما تحصل عليه العائلات المتوسطة و الميسورة مرة في الشهر و يكاد يقتصر تناول اللحم عند العائلات الفقيرة و المعوزة من مناسبات الأعياد الدينية(3). هذا من حيث المأكل أما الملبس فتـنفق العائلات بعد موسم الحصاد مصاريف يســيرة نظرا لدخلها المتواضع لا تتجاوز 150 فرنك لاقتناء بعض الأقمشة و خياطة ملابس النساء ، فمثل هذه الظروف فرضت على الإنسان

-(1)- تقارير رؤساء البلديات المختلطة في الأوراس 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة.

(2)- عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق ، ص 395 .

(3) - تقارير رؤساء البلديات المختلطة في الأوراس 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة .

الأوراسي القابع تحت سلطة الاحتلال أن يدبر أموره بنفسه بالاعتماد على موارده ووسائله الخاصة، الشيء الذي يأخذ جزءا كبيرا من حياته اليومية.

طبيعة المسكن :

أما بالنسبة لطبيعة مسكن الاوراسي فالتقارير التي بين أيدينا من الوثائق و التقارير الفرنسية تسمح لنا بتقدير وضعية السكن، الشيء الذي يثبته ما تبقى من مظاهر هذه المساكن في المنطقة، فالموجودة في المناطق العمرانية التي يقيم فيها المعمرون و المقربون من الفرنسيين و الطبقة الارستقراطية و المتوسطة عادة ما تكون من الاسمنت أو من الحجارة المغطاة بالقرميد مطلية بطلاء الجير الأبيض من الداخل، أو ذات طراز حديث يتخـــللها فناء واسع وتضم غرف و مطـــبخ و حمام وتتوفر على جميع مظاهر الحياة العصرية من كهرباء وماء و قنوات الصـــرف الصحي، أما النوع الثـــاني وهو المظهر العام فتخص أهل الريف وهي مساكن من الطوب الترابي أو الحجارة ذات سقف من النبات المحلي « الديس » ويعزز جدرانها أحيانا بخـــليط من التربة والقــش[1]، كما أن الأكواخ المغطاة بالديس و التي تستند إلى جدران مهترئة لا تكاد تنفصل عن مرابط الحيوانات ، تتجمع أشباه الغرف في جميع الأحيان حول الفناء « الحوش » و تختلف مساحته حسب مستوى غنى و فقر العائلة، و يقيم فيها سكان من الطبقتين الفقيرة و المعوزة [2].

لا شك أن سكان الأوراس قد لاحظوا الفرق الصارخ بين مستوى حياتهم و حياة جيرانهم من المستوطنين الوافدين، وان هذا التشريد سيكون عاملا كافيا يبعث الوعي لدى السكان بحالتهم البائسة تحت ســلطة الاحتلال الفرنسي، و يطور الوعي بالواقع الــمرير ليتحول إلى عنــصر من عناصر الصحوة و التخلص من الخنوع الذي طال أمده مهما كانت الوسيلة التي تبرر غايتهم في التطلع إلى المستقبل بعزيمة اكبر.

---

(1)- تقارير رؤساء البلديات المختلطة الأوراسية1936 ، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(2)- ملاحظة ميدانية لبعض المساكن المتبقية في المنطقة الأوراسية .

الأوضاع السياسية و الثقافية

إن دراسة الأوضاع السياسية العامة لمنطقة الأوراس في الفترة ما بين 1900-1940 لا يمكن أن تتضح معالمها إلا بدراسة الأوضاع السـياسية باعتبارها تعكس الأوضاع الإدارية و السـياسة الاستعمارية بصورة جلية وتظهر مختلف جوانبها .

و للحديث عن هذه الأوضاع لا بد أن نتطرق إلى التنظيمات السـياسية و الإدارية التي سمـحت السلطات الاستـعمارية بظهورها، فالواقع انه منذ خـضوع الجزائر للاستعمار الفرنسـي يوم 05 جويلية 1830 و الذي تأكد رسميا بصدور مرسوم الملك الفرنـسي لويس فيليـب بإلحاق الجـزائر بفرنسا في 22 يوليو 1834 بدأت الإدارة الفرنـسية في إرساء قواعدها بالمـناطق المخضعة فيما استكملت عملية الاحتلال بالمناطق الأخرى، و رغم أن فرنسا مرت بعدة أنواع من أنظمة الحكم إلا أن الجزائريين لم يعرفوا منها إلا نوعين و هما الحكم العسكري و الحكم المدني الشكلي.

وإذا ما عدنا بالحديث عن الأوضاع السياسية بمنطقة الأوراس في مطلع القرن العشرين فإننا سنأخذ بلا شك تلك التطورات التي عرفتها عمالة قسنطينة التي ظهرت إلى الوجود بمجيء النظام الفرنسي المدني سنة 1871وتقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات وتشكيل نوعين من البلديات هما :

ـ المجالس البلدية ذات الصلاحيات الكاملة : التي كان العنصر الكولونيالي يشكل نسبة معـتبرة من سكانها و تخضع لقانون البلديات في فرنسا في حين كان للأهالي حق انتخاب رؤساءها في المرحلة الأولى من إنشائها و لكن بعد صدور قانون 5 جويلية 1884 أبعد الأهالي من حق المشاركة في انتخاب رئيس البلدية.

ـ البلديات المختلطة: وهو نوع مستحدث ليس له مثيل في فرنسا أو مستعمراتها او في العالم كله، فبالرغم من أن العنصر الأهلي كان يشكل أكثر من 90% من سكانها إلا أن السلطة العليا فيها مصدرها الحكم الإداري الذي يعين من قبل الحاكم العام أو عامل العمالة [(1)]، و في الوقت

(1)ـ عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي الحديث والمعاصر ـ محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا ـ دار الهدى عين مليلة ، 2005 ، ص 58 .

الذي ينتخب العنصر الأوروبي ممثليه و يخضع للقوانين المدنية الفرنسية يبقي الأهالي يخضعون للقوانين الاستثنائية.

لقد سمح هذا النظام بظهور البلديات المختلطة بمنطقة الأوراس التي كانت تخضع لمــجلس عمالة قسنطينة المتألف من 31 عنصر و الذي بلغ فيه عدد الممثلين للعرب 06 أعضاء و قد كانوا يعينون في البداية لكن منذ 24 ديسمبر 1908 أصبحوا ينتخبون ، و بمقتــضى قوانين 6/4 فيفري 1919 أصبح لكل الناخبين الجزائريين المسلمين الحق في انتخاب ممثليهم بمجالس العمالة [1]

و بالإضافة إلى مجلس البلدية و مجلس العمالة فقد شاع في منطقة الأوراس في هذه الفترة نوعا آخر من المجالس التمثيلية و هو مجلس الجماعة أو "الدوار" و الذي تأســس في عهد نابلــيون الثالث بمقتضى قانون " سيناتوس كونسيلت " 1863 ويشمل رؤساء العشائر الذين كانوا يعرفون بالأمناء أو "الكبار" و يرأسه القائد و ينتخب لمدة 6 أعوام و مع أن هذه المجالس كانت أهلية إلا أنها كانت تحت السيطرة الكاملة للحكام الفرنسيين [2]

في هذه المجالس المحلية كان النــشاط السياسي قائما بالأوراس حيث التنــافس الكبير بين الكتل السياسية في انتخابات الممثلين سواء في مجلس العمالة أو مجالس البـلديات المختلطة أو انتخابات كبار الجماعة في كل دورا أو الجمعيات الفلاحية، كما برزت شخصيات سياســية كبيرة لها وزنا معتبرا في العمليات السياسية ليس على المستوى المحلي فقط و إنما على المســتوى الوطني من أمثال محمد الصالح بن جلول و الدكتور سعدان و ابن خليل ... وغيرهم و نسجل هنا النفوذ الكبير في المنطقة الذي كان يحضى به كل من الدكتور ابن جلول بعد أن ظهر على الساحة السياسية بالجزائر منذ 1931 و الدكتور سعدان [3] سواء بالمشاركة في اتحادية المنتخبين المسلمين

(1)-عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة قسنطينة سنة 1983 ، ص 64 .

(2)-Charles Robert Agéron : les Algériens Musulmans et la France 1871-1919 Tome 1ere PU.F, paris ,1968 ;P 364.

(3)-محمد الطاهر عزوي وآخرون : حياة الشيخ المجاهد محمود الواعي 1919-1998 ، إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة، دار الهدى عين مليلة .،الجزائر ،2002، ص 29.

الجزائريين التي تأسست سنة 1927 أو بعد الاختلاف مع فرحات عباس حول قضية التجنيس و التنازل عن المقومات الشخصية الإسلامية و العربية.

و بقي هذا النفوذ السياسي لابن جلول في الأوراس و أصبح كبيرا مع تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946، أما الكتلة الثانية التي كان لها نفوذ إلى جانب البيان فهو نجم شمال إفريقيا 1926 ووريثه حزب الشعب الجزائري الذي تأسس في مارس 1937 بباريس و نقل نشاطه إلى الجزائر و قد لقي رواجا معتبرا بالأوراس رغم مشاركته القليلة في الانتخابات و انضم إليه أحد العناصر البارزة بالمنطقة و هو مصطفى بن بولعيد سنة 1945 (1)

أما بالنسبة للإدارة الاستعمارية فإنها عملت بدورها على التغلغل في الأوساط الأوراسية خاصة في الفترة ما بين (1900- 1930 م) حيث تمكن الحزب الاشتراكي من اختراق المنطقة بسبب التعاطف الذي لقيته أفكاره من طرف إتباع احدي الزوايا في منطقة منعة (2) و بالرغم ما تلجا إليه الإدارة الاستعمارية من تزوير و إقصاء للعنصر الأهلي إلا أن الأوراسيين عبروا في كل فرصة عن نضجهم السياسي ووقفوا إلى جانب المترشحين المتميزين للدفاع عن حقوقهم ، و شاركوا في نشر الأفكار السياسية الداعية إلى إفتكاك حقهم في الحياة و تحسين ظروفها ، و التطلع شيئا فشيئا إلى الحرية.

أما بالنسبة للأوضاع الثقافية فيمكن اعتبار الجماعات الدينية أهم مظهر ثقافي للأوراسيين في هذه الفترة كما يدفعنا للقول أن هذه الأوضاع الثقافية لم تكن أحسن حالا مما كانت عليه الأوضاع العامة للأوراس. فهذه الجماعات التي كانت تنتسب في معظمها إلى الطريقة الصوفية الرحمانية و التي عرفت بدورها تغيرات منذ عام 1886 باعتباره تاريخا فاصلا بين عهدين

---

(1)-عبد الله الركيبي وآخرون :معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954،انتاج جمعية أول نوفمبرباتنة،مطبعة قرفي ،باتنة، 1989 ، ص 92.

(2)- Fanny colonna : instituteurs algériens 1883 -1939 , office des publications universitaires –Alger , 1975 ; p 23.

مميزين في تاريخ الزوايا بالمنطقة و بالجزائر عموما أثناء الفترة الاستعمارية . حيث تم تدجين الزوايا * بعد أن تلاشى العديد منها أو توقف نشاطها[1] فقد عملت السلطة الفرنسية منذ احتلال الأوراس أن تحل المدرسة العربية الفرنسية محل مدرسة الأهالي أو الزوايا فأصدرت سنة 1883م قرار تحريم ممارسة التعليم إلا بترخيص مسبق من طرف السلطات العليا و هو إجراء تكميلي للقرار الذي اتخذه الماريشال « راندون » سنة 1850م[2]،فأنشأت مدارس في بسكرة و باتنة و تم إخضاعها للإشراف المباشر للمكاتب العربية،و رغم الرقابة الصارمة على الزوايا المتبقية إلا أنها استعادت نشاطها بل اكسبها ولائها للإدارة الفرنسية في كثير من الأحيان ثروات طائلة ** و مرتبة اجتماعية مرموقة و دخلت هذه الزوايا مرحلة الاندثار المؤكد بعد أن حالفت الوضع القائم و لم تعد مرتبطة بالطريقة الرحمانية الكبرى، ولكن بأسماء العائلات [3]،هذا من جانب ولكن من جانب أخر كانت المدن و القرى في سنة 1939 م تتوفر على عدد معتبر من المؤسسات المتخصصة في تدريس القرآن الكريم و التربية الدينية الإسلامية خمس زوايا كبيرة في بسكرة و اثنتان في خنشلة إلى جانب ستة عشر مدرسة قرآنية و لم تكن توجد في ذلك العهد أي زاوية معتبرة في باتنة و لكن كان فيها أربعة عشرة مدرسة قرآنية منها خمسة زوايا في لامبيز[4]. هذا باستثناء زاوية القرقور بمنطقة بارنيل (وادي الماء) و باستور (سريانة) التي اندثرت و عادت من جديد و انخرطت في تيار الإصلاح حيث كانت

---

* هذا ما دفع بالكاتبة ماسفوردي في كتابها عن النساء الشاويات بالقول " إن النساء الشاويات لم يكن يمارسن شعائر الدين الإسلامي على معرفة مما جعلهن فريسة سهلة للمشعوذين أنظر مقال ماسفوردي في Revue africaine العدد 21 سنة 1877

(1)– مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالة أم انفصالية ج 2 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص 367

(2)– مصطفى الأشرف الجزائر الأمة و المجتمع ترجمة حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 ص 113

** لقد كانت ممتلكات المركز الديني في طولقة في عهد سي عمر بن عثمان سنة 1906 تتمثل في 1308 نخلة في طولقة و 655 في البرج و 327 نخلة في فرفار

(3) –محمد بن بريكة : موسوعة الطرق الصوفية، ج3 ،دار الحكمة الجزائر،2007، ص 150 .

(4)-عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص 168.

المراسلات بين شيخها (ســـي الصالح مولـــى القرقـــور) و (الشيـــخ ابن باديـــس)[1]. كما يمكن أن نبين الدور الذي اسند إلى هذه الزوايا و المتمثل في التأثير على الطلبة كي لا ينـــجروا

وراء تيار الإصلاحيين المســـلمين لابن باديـــس، أو يتأثروا بأي شكل للنـــشاط الوطني ، و السؤال المطروح: هل نجحت فرنسا في استبـدال الزوايا و المدارس الدينية الوطـــنية بالمدارس الغربية الفرنسية؟

في هذا الصدد اغلب التقارير الفرنسية تشير إلى الفشل الكبير في تحقيق ذلك، و خير برهان ما جاء في تقرير سنة 1866م لأحد مدراء هذه المدارس بباتنة : « لقد توصلت إلى تقديم سبعة عشرة عنصرا بعد أن بذلت جهودا كبيرة للتغلب على مخاوف أوليائهم، و إننا لم نجد لدى الأهالي ما كنا نتوقعه من تحمس لإرسال التلاميذ لمواصلة الدراسة في المدرسة الغربية الفرنسية »[2] .

بعدما انقضت سنوات كثيرة لم تحدث في الناس رغبة حقيقية في إرسال أطفالهم إلى المدارس الفرنسية بالصورة التي تريدها السلطات الاستعمارية و لم تهدا معارضتهم الكبيرة للتعليم الفرنسي، رغم كل المغريات كالأعمال الخيرية للآباء البيض، ففي شهر أوت من عام 1839 تم إســـعاف المرضى و علاجهم مثلا، في حين كان عدد التلاميذ يـــتزايد في المدارس القرآنية و المؤسسات الدينية[3] خاصــــة بعد ثورة الأوراس سنـــة 1916 التي وســـتعت الهوة بين الأهـــالي و الإدارة الاستعمارية الفرنسية وقد مهدت هذه الأوضاع إلى بداية حقيقية لانتشار الفكر الإصلاحي في منطقة الأوراس ، و يتجلى هذا بميلاد مؤســـسات الحركة الإصلاحية كمدرســـة التربية والتعـليم وبعض النوادي التي يكون لها شان كبير في المنطقة.

---

(1)-رسالة من الشيخ بن باديس الي سي الصالح مولى القرقور في 12 ذي الحجة 1350هـ. أرشيف زاوية القرقور.
(2)-عبد الحميد زوزو: الأوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 161.
(3) -FANNY COLONNA: OP. CIT P 198

خاتمة الفصل:

من خلال الدراسة توصلت إلى مجموعة من النتائج نحصرها فيما يلي :

1-النشاط الاقتصادي للمجتمع الأوراسي كان يقوم أساسا على الزراعة و الرعي و بدخول الاستعمار إلى المنطقة وإستلائه على الأراضي الزراعية اختلت هذه القاعدة. مما صعب كثيرا من الأمور على الأوراسيين، وبدأو يتطلعون بالدرجة الأولى إلى تحسن المستوى الاقتصادي و الاجتماعي لهم.

2 – الأوراسيون لم يستسلموا للأمر الواقع المزري الذي وضعهم فيه الاستعمار بل راحوا يستغلون كل فرصة تنفتح أمامهم من اجل تغيير هذا الواقع بوسائلهم الخاصة تارة والاندماج في المؤسسات و الهياكل الجديدة التي يقيمها من فترة لأخرى الاستعمار تارة أخرى.

3- رغم الأوضاع المزرية سواء منها الاقتصادية و الاجتماعية، إلا أن الأوراسيين طرقوا كل الأبواب في حياتهم، على غرار السياسة و الثقافة و فاوضوا الاستعمار بمشاركاتهم السياسية و بناء مؤسساتهم الثقافية للحفاظ على هويتهم المميزة، وافتكوا بعض الحقوق.

4- تيقن الأوراسيون منذ بداية الاحتلال بان عنصر القوة الذي يساعدهم عل الاستمرار في المقاومة و الوقوف في وجه الأجنبي المحتل يكمن بالدرجة الأولى في الحفاظ على مقوماتهم الشخصية و توطيد العلاقة مع أصولهم العربية الإسلامية، لذلك حافظوا على مؤسساتهم الثقافية و الدينية من الزوايا والكتاتيب، رغم الجهود الاستعمارية في القضاء عليها و إقامة مؤسسات موازية في خدمة مصالح المستعمر .

5- اختلفت التوجهات الثقافية للأوراسيين، فمنهم من حافظ على الانتماء إلى الزوايا القديمة -الرحمانية- و منهم من التحق بالمدرسة الفرنسية وتكون ليتخرج منها بمستوى عالي من الثقافة أمثال بن جلول، إلا أن كلا الطرفين جمعهما الإحساس القومي و اخذ كل يدافع عن الأوراس و أبنائها بطريقته الخاصة.

الفصل الثاني

حيـــــــاة وآثــــــــار الغســــــيري.

المبحث الأول : الغسيري المولد والنشأة .

المبحث الثاني :الغسيري المعلم والمصلح .

المبحث الثالث : وفاته وآثاره .

خاتمة الفصل .

مقدمة الفصل

خصصت هذا الفصل للحديث عن حياة وأثار الشيخ محمد الغسيري و قد قسمته إلى ثلاثة مباحث

تناولت في المبحث الأول: مولده و نشأته و حاولت أن ابرز دور كل من العائلة و البيئة في توجيه الشيخ الغسيري توجيها وطنيا و إسلاميا و التحاقه بالكتاب و الزوايا الذي توج بحفظ القران الكريم و حملة لإجازة الالتحاق بالمدرسة الباديسية.

أما المبحث الثاني: فيتناول التحاق الغسيري بدروس الشيخ المربي عبد الحميد بن باديس الذي تخرج على يده معلما يؤسس و يدرس في مدارس التربية و التعليم و دوره كمصلح اجتماعي.

و المبحث الثالث و خصصته للآثار التي تركها الشيخ الغسيري سواء منها ما يتناول قضايا عصره أو ما يخص عامة الأمة على مر العصور.

الغسيري : المولد و النشأة

في أتون الحرب الكونية الأولى أفاقت غسيرة و بالأحرى عرش « أولاد منصور » على مجيء مولود سيكون له حظ وافر من العلم و الحكمة و النضال و المكانة انه محمد بن أحمد بن محمد يكن المنصوري الغسيري الذي ولد سنة 1915 * ، وينسب محمد الغسيري إلى غسيرة شهرة لكونها تجمع العديد من المداشر و الدواوير **. والتي تعد حلقة مهمة في سلسلة القرى الواقعة على السفوح الجنوبية لجبال الأوراس مشكلة ما يسمى بدوار غسيرة بقبائله العشرة *** على حافتي الوادي الأبيض[1].

أما نسبه فهو ينحدر من قبيلة أولاد منصور وهي احدى بطون قبيلة الغواسير الأمازيغية في المنطقة. و تتكون قبيلة « أهل غسيرة » من فرعين هما فرع أولاد علاوة و فرع أولاد الحاج أوزيني[2] و المعروف حاليا بأولاد وزاني و تنحصر بين بني بوسليمان من الشمال و قبيلة مشونش من الجنوب .

*-ولد الغسيري سنة 1915 و لم يتم تسجيله في دفاتر الحالة المدنية إلا سنة 1919 لذلك نجد هذا التاريخ تذكره بعض الكتابات على أساس انه تاريخ مولده.

**-غسيرة منطقة انتقالية بين بلاد التل والصحراء فهي بوابة نحو الجنوب تجمع بين المنطقة الجبلية و الصحراوية، تتربع على تلالها حقول القمح و الشعير أما الوادي فتكسوه أشجار النخيل و أن كان تمره ناقص من حيث النوعية واقل حلاوة بسبب قربه من المنطقة الباردة نسبيا كما تنتج غسيرة التين بمختلف أنواعه و ألوانه وكذلك العنب و المشمش و مختلف الخضر و التوابل، أما توزيع الأراضي في بداية الاحتلال الفرنسي فقد تربع عرش غسيرة على 20000 هكتار كما قدر مجموع سكانها في الخمسينات من القرن 19 بحوالي 3500نسمة أما إحصائيات 1926 فقد أشارت إلى 3615 نسمة.

***-يجمع عرش الغواسير 10 قبائل (لخذارة، أولاد بوعكاز، أولاد ادير، اولاد عابد، أولاد ورياش، أولاد سليمان، أولاد ميمون، أولاد منصور، أولاد يحيى، أولاد عبد المؤمن) أما عبد الحميد زوزو فيقسمهم إلى 12 قبيلة

(1)-محمد الصالح رمضان : الشيخ محمد الغسيري في سطور، مجلة الثقافة ،العدد45 جمادى الثانية رجب 1398هـ / يونيو. يوليو 1978 ، ص 29.

(2)-عبد الحميد زوزو : الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي ، ص 12.

وفتح الغسيري عينيه في مجتمع تحاصره الطبيعة من جانب و الاستعمار من جانب أخر [1]، يعيش في صراع دائم بين عمق جذوره و امتداد أصوله في هذه البيئة الجبلية، و ما تفرضه من قوانين الحياة وبين أملاءات المستعمر و مساعيه لاختراقها، و هذه الوضعية كفيلة بان تكشف لنا عن مجمل الخيارات الضيقة أمام المرء في حياته.

لقد عاش الطفل محمد الغسيري ، عيشة متواضعة سواء من الناحية المادية و المكانية أو من حيث المكانة الاجتماعيةعلى غرار السواد الأعظم من أقرانه في منطقة الأوراس، مرتشفا من حياة البداوة و قسوة الطبيعة الجبلية، وعند بلوغه السن السابعة من عمره أرسلته والدته إلى الكتاب ليتلقى مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ ما تيسر من القران الكريم على عادة عموم أبناء الجزائريين [2].

و في الكتاب جلس محمد الغسيري يتلقى تعليمه الأول من طلبة غسيرة و تسجل لنا الوثائق التي بين أيدينا أن أول معلم لمحمد الغسيري كان الشيخ "خلاف ورياشي "إلى جانب الشيوخ بولطيف احمد بن مخلوف و الشيخ حمودة عودة... و غيرهم ، لقد جد و اجتهد الغسيري في حفظ القران الكريم و التحق سنة 1927 بزاوية الشيخ احمد بن الصادق التي كانت قائمة في قبيلة أولاد ميمون بغوفي [3] أين أتم حفظ الذكر الحكيم و ختمه على لغة أهل المغرب سنة 1929.

و الجدير بالملاحظة أن الطفل الغسيري اظهر منذ نعومة أظافره تحصيلا سريعا و ذكاءا ملحوظا فقد استطاع أن يحفظ القرآن في سن مبكرة أي عند بلوغه ربيعه الثالث عشر (13 سنة)، و هذه السن بالنسبة لطفل من الأهالي و في منطقة مثل الأوراس ، يعتبر نابغة لكون أن المجتمع الأهلي إبان هذه الفترة كان قليل التردد على العلم و التحصيل بصفة منتظمة.

بعد المرحلة الأولى من تعليمه – أي مرحلة الكتاب بغسيرة – شد محمد الغسيري الرحال طالبا العلم و المعرفة فكانت وجهته الأولى مدينة بسكرة[4]. عاصمة الزيبان أين انظم إلى زاوية

---

(1) عثماني مسعود : أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد ، دار الهدى الجزائر،ط1 ،2008 ، ص18.
(2) محمد الصالح رمضان :الشيخ الغسيري في سطور ، مرجع سابق، ص30.
(3) عمربن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993 ،ص71
(4) محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي(1854- 1954) ، انتاج جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب 1989 ،ص277.

سيدي الجودي و شيخها محمد الصغير جودي، هذه الزاوية التي كانت تحضى بمكانة مميزة عند سكان منطقة الأوراس و أهل بسكرة .

والحق جدير بالإشارة إلى كون مترجمنا ، قد عاش ظروفا صحية صعبة ، والتي تتمثل في مرض أصابه في عينيه* ، مما جعله يتأخر في الالتحاق بمدرسة الإخاء ببسكرة إلى سنة 1931 وهو يحوز على مستوى مؤهل للدخول إلى هذه المدرســة والمتمثل في ختــمه للذكر الحــكيم كما جرت العادة بالنسبة لأبناء أهل منطقته (1).

وبمدرسة الإخاء حاول محمد الغسيري استدراك ما فاته من وقت كما سبقت الإشارة إليه ، وانكب على الدراسة والتحصيل عله يبلغ من العلم والمعرفة التي كان شغوفا بها درجة ، غير أن في هذه الفترة بالذات ، كانت مدينة بسكرة التي قصدها الغسيري، تعج بالأطروحات السياسية والمشاحنات الانتخابية والتي امتدت إلى المدرسة وأدت إلى إغلاقها (2) .

لم تكن هذه الظروف والمظاهر لتساعد الغسيري وأن يسايرها وهو المولع بالعلم والبعيد عن ركب السياسة ومكائدها ، وأمام حيرة طالب العلم جاء الفرج هذه المرة على يد أحد أســاتذته الذين جلس إليهم في مدرسة الإخاء وهو الشيخ محمد خير الدين** الذي بعثه إلى عاصمة العمالة ومجمع الشيوخ والعلماء قسنطينة ، وحمله رسالة إلى الأستاذ المربي الشيخ عبد الحمــيد بن باديس يوصيه فيها بمحمد الغسيري خيرا (3).

حمل الشاب محمد الغسيري الرسالة وحل بمدينة قسنطينة التي كانت بمثابة قبلة العلم والمعرفة حتى قبل ميلاد جمعـية العلماء المســلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 ، وهي مدينة جبــهة

---

*- انتقل الغسيري إلى هذه الزاوية للدراسة من جهة و التداوي من عينيه من جهة أخرى وقد ورد في رسالته لصديقه الأمير صالحي قوله «وأنت تعلم أن حالة عيني لا تسمح لي بالقراءة كثيرا خاصة مع قليل من الضوء..»

(1) رسالة الغسيري إلى صديقه الأمير صالحي، الأرشيف الولائي قسنطينة.

(2) مسعود فلوسي: موجز حياة وأعمال الأستاذ الشيخ محمد الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

** محمد خير الدين من مواليد منطقة فرفار ببسكرة حفظ القرآن بالمنطقة ومنها سافر إلى تونس لإكمال دراسته ومع مطلع العشرينات رجع إلى الجزائر وانظم إلى حركة الإصلاح التي بدأها العقبي في بسكرة كما ساهم في تأسيس جمعية العلماء وأنتخب مراقبا عاما عليها ، كما اهتم بتسيير شؤون أملاكه الواسعة ، كانت له علاقة وطيدة مع الدكتور سعدان وأصبح خير الدين النائب الثاني للجمعية في عهد الإبراهيمي وبعد سفر هذا الأخير إلى المشرق أصبح المحرك الحقيقي لها بعد العربي التبسي.

(3) مسعود فلوسي: المرجع نفسه، ص5.

الدفاع عن الحقوق الطبيعية للمجتمع الأهلي بوجود محمد الصالح بن جلول * و فرحات عباس و رجالات آخرون [(1)].

و بالجامع الأخضر بقسنطينة لازم الشاب الغسيري سنة 1933 دروس معمله الشيخ بن باديس رفقة عدد من أقرانه من شباب غسيرة يغترف من العلم الديني و الدنيوي، فدرس عليه علوم الشريعة و اللغة العربية مقتبسا من أدبه آخذا من علمه.

لقد لاحظ الشيخ بن باديس على الغسيري نباهة وفطانة ملحوظة ، وما يؤكد ما ذهبنا إليه هو أن الشيخ بن باديس كلف هذا الشاب في العديد من المرات لينوب عنه ومفوضا إياه لإلقاء دروسه في مسجد سيدي بومعزة **بقسنطينة [(2)]، وكم كانت فائدة إلقاء الدروس من قبل مترجمنا في مسجد سيدي بومعزة كبيرة أين تفتق ذهنه وفكره ونبغ عقله ، وأصبح شغوفا أكثر من ذي قبل بالعلم متطلعا إلى المراتب العليا.

امتد المشوار الدراسي للغسيري على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس أربع سنوات (من 1933الى 1937) ، توج في نهايته بحصوله على مرتبة الإجازة الكبرى تشهد لصاحبها بضلوعه في علوم الدين واللغة وتؤهل حاملها للتدريس في مدارس جمعية العلماء .

والجدير بالذكر أن الدرجة التي بلغها الغسيري من تحصيل وسيرة حسنة وسلوك قويم ، تؤهله للحصول على مقعد في جامع الزيتونة على عادة خريجي مدارس العلماء ، غير أن الجمعية رأت فيه الشخص الذي يمتلك مؤهلات تسيير مدرسة تابعة لإدارتها ، فأرجعته إلى موطنه الأصلي الأوراس وبالتحديد مدينة باتنة ، وأوكلت له مهمة فتح فرع لمدرستها يحمل نفس اسم المدرسة

---

*- بن جلول :ولد في منطقة الأوراس ستة 1894 وتلقى تعليمه الثانوي بقسنطينة والجامعي في جامعة الجزائر حيث نال الدكتوراه في الطب عام 1924 ، كان عضوا في جماعة النخبة ولما قمعت حركة الأمير خالد مال إلى برنامج الحزب الإصلاحي للأمير ، ثم ظهر على المسرح السياسي النشيط عام 1931 وأصبح خلال الثلاثينات زعيم الليبراليين ، وقد كون حزبا خاصا يعرف باسم «التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري » في جويلية 1938 ، أنظر أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ص301 .

(1) تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،(دت)، ص 64 .

** جامع سيدي بومعزة : يقع في نهج الشيخ عبد الحميد بن باديس رقم 26 قسنطينة كان بين سنتي 1922-1927 مركز للمكتب الابتدائي العربي وكان محلا للتعليم والصلاة ثم صار فرعا تابعا للجامع الأخضر . أنظر ع / بوصفصاف :الفكر العربي الحديث والمعاصر - محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا - ص 383.

(2) محمود الواعي وآخرون: تاريخ الأوراس، مرجع سابق ، ص277.

الأم وهي مدرسة التربية والتعليم بباتنة سنة 1937 [1]. رفقة بعض أقرانه من المنطقة أمثال الشيخ عمر دردور الذي سيكون على رأس شعبة العلماء في هذه الربوع .

الغسيري المعلم والمصلح :

تعد مهمة التعليم والاصلاح من المهام الصعبة في الفترة الاستعمارية المناوئة لهذا الجانب ، غير أن الغسيري بعد اتمام دراسته عاد الى مسقط رأسه ليمارس هذه المهمة الشاقة والنبيلة في الوقت نفسه ، وهو بهذا يكرس الاعتراف بالجميل الذي يعد من شيم الكرماء ، والعودة إلى الأصل فضيلة، وهي حكمة عربية تطلق لتهذيب الأخلاق والتمسك بالأصول ، ذلك ما عمل على غرسه الشيخ المربي عبد الحميد بن باديس في تلامذته ، وهي السمة التي تحلوا بها في مسيرتهم الإصلاحية الشاقة ، لقد حرص الشيخ على أن يوفد تلامذته كل إلى أهله ومنطقته حتى يكون خير سفير له بينهم ، يعلم أبناء جلدته مما حصله من علم ويبعث بينهم ما كانوا يجهلونه من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الصحيحة وينشر بينهم محاسن الأخلاق والتربية ، ويزرع أفكاره الإصلاحية الجديدة [2] ، هذه الفضيلة التي ارتسمت في عودة المعلم والمصلح محمد الغسيري الى منطقة الأوراس سنة 1937 ، حيث اتخذ من مدينة باتنة التي تعد أهم مركز حضاري بالأوراس مقرا له لكونها تحفظ وتيسر له شروط افتتاح مدرسة للتربية والتعليم وهذا في نفس العام.

و في هذه المدرسة استهل نشاطه الحثيث على عادة شيوخ و معلمي جمعية العلماء المسلمين فكان أول معلم بها كما كانت أول مدرسة له في وظيفته الجديدة كمعلم والتي افتتحها بما يقرب المئة تلميذ رفقة رفيقه عمر دردور، يجمع بين الإدارة والتعليم و يدرس العديد من المواد كالنحو و الصرف ، الإملاء و الإنشاء ، فقه العبادات و السيرة النبوية ،الخلفاء الراشدون [3] و غيرها من المواد اللغوية و الشرعية ، كما حرص على تثمين جهوده في تربية النشا و تلقينه مبادئ الكشافة الإسلامية فأسس فوجا كشفيا من تلامذتها على سنة مدارس الإصلاح و هذا ليكون خير سند للمدرسة في تلقين مبادئ التربية و الأخلاق الحميدة .

(1) محمد الحسن فضلاء :المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر، ج1 (القطاع القسنطيني) دار الأمة الجزائر ،1999 ،ص 94.
(2) عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان :امام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، دار الأمة الجزائر، ط1 (دت)، ص154 .
(3) محمد الحسن فضلاء :المرجع السابق، ص 94 .

لم يكن المقام ليستقر بالغسيري في الأوراس مدة طويلة و التي قضى منها ثلاثة أشهر من فصل الصيف من سنة 1937 [1] حتى وجد نفسه أمام الصعاب التي اعترت مسيرته حيث أوقف رفيقه الشيخ عمر دردور و أودع السجن و سيق إلى مسامعه بالمكائد التي تنسج ضده و كل رجالات الإصلاح في المنطقة هذا من جهة و من جهة أخرى كان فراقه للشيخ ابن باديس و مدينته قسنطينة يحز في نفسه و يبعثه على العودة إليها باستمرار .

انه شيء طبيعي بالنسبة لمبتدأ في مهمة صعبة و شاقة كالتي تولاها الغسيري و أمام رغبته الجموحة في طلب العلم أن يعود مرة أخرى إلى المدرسة التي تعلق بها و هي جمعية العلماء و أستاذها ابن باديس ، التي عينته بدورها ضمن طاقمها التربوي في مدرسة التربية و التعليم * بقسنطينة في مقرها الجديد [2] و بقي هناك يدرس و يجمع ما جادت عليه حلقات العلم ، أين سيكون له قدرا آخر فيما بعد ، يفتح أمامه الطريق ليرتقي في المراتب و يتولى المهام التي لم يألفها غيره من قبل فكانت مدينة العلم منبره الأول الذي سطع منه نجمه ليواصل ما كان قد شرع في بنائه و ترسيخه من أفكار بناءة، و منها على سبيل المثال ما قاله ابن باديس سنة 1936 رافضا سياسة الإدماج " إن الجزائر ليست فرنسا و لا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت ، و لكنها أمة بعيدة كل البعد عن فرسا في لغتها و دينـــــــــها و في تاريخهـــــا ".

لقد حرص الشيخ الغسيري على تمتين علاقته بالعلم و العلماء مما جعله يرتبط بفتاة كانت من بين تلميذات مدرسة التربية و التعليم و التي تنتمي إلى إحدى العائلات العريقة في مدينة العلم قسنطينة تنحدرمن ذوي الأصول التي تعود إلى منطقة غسيرة، فأقيم حفل زفافه بقسنطينة يـــــوم 26نوفمبر1944[3] و هذا يعكس علاقة الغسيري و مدى تعلقه بعاصمة العلم و التي تتعـــــدى

(1) محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ص 93 .

*- مدرسة التربية و التعليم هي ام المدارس الحرة في الجزائر كانت لها جمعية تعرف بنفس الاسم و رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس تحصلت على الاعتماد سنة 1932 مقرها كائن في نهج الأربعين شريفا افتتحت المدرسة في هذا المقر الجديد في 26 شوال 1355 ه / 09 جانفي 1937 أنظر محمد الحسن فضلاء : المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر ص 60

(2) محمد الحسن فضلاء : المرجع نفسه،ص 94 .

(3) مسعود فلوسي: موجز حياة و أعمال الأستاذ الشيخ محمد الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة ،ص6.

علاقته بمسقط رأسه ،و قد تلقى الزوجان تهاني الكثير من الأصدقاء و الشيوخ على غرار القصيدة التي ألقاها صديقه الشيخ الطيب الدراجي و التي قال فيها :

هنيئا إليكم صديقـــــــي هنيئا إليكم بهذا الســـــرور
فنعم الزواج زواج أديب و فذ فريد من أرقى الأســـر
و نعم الزواج زواج أديبة تلقت دروسا لها في الصغر
أهنئكم ياغسيري و أرجو لكم أن يكون الصلاح الخير
أدام الإله أخي كل سعـــــد لديكم و كل الهناء و الحبــور
و أسعدكم بأباة حمـــــاة يصدون عنا الردى و الشرور [(1)]

و في قسنطينة كانت حياة الغسيري مليئة بالنشاط و الحيوية و يظهر هذا في ما تركه لنا من وثائق تثبت دوره الاجتماعي البارز في كونه محل ثقة للتدخل عند أصحاب الحل و العقد في عاصمة العمالة ، ففي الجهاز القضائي مثلا كان يقدم نصائح لأبناء منطقته و من عرفوه و يلقنهم الطريقة المثلى أمام العدالة الاستعمارية و تقديم الحجج لإثبات حقوقهم و مما تثبته الوثائق أنه قدم نصائح قيمة وحجج للسيد (ابن لعلى البشير بن مروش) من عرش أولاد الصالح حوز عين التين فيما يخص الحكم المستأنف ضده والصادر بتاريخ 13 جانفي 1931 والذي حكم عليه من خلاله بدفع غرامة قدرها 1900 فرنك نقدا وهذا في قضية نزاعه مع الفرنسي (غيرو فرونسوا) الساكن بعين الملوك حوز شاطودان .[(2)].

و لم يقتصر دور الغسيري على هذا فقط بل نجده يتعدى الدور الوسائطي إلى تقديم المساعدات المادية و النصائح و قضاء العديد من الحاجيات لأقرانه الوافدين من الاوراس مسقط رأسه أو الذين كانوا معه في قسنطينة، خاصة أثناء تنقلاته الكثيرة سواء كان ذلك داخل الوطن أو خارجه [(3)]*.

(1) قصيدة للشيخ الطيب الدراجي مهداة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(2) تعليقات للغسيري على نص الحكم الصادر في حق ابن لعلى البشير، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(3) عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 204.
*- و قد عثرنا ضمن أرشيف الغسيري على الكثير من الرسائل الواردة إليه سواء من أصدقائه أو من أبناء منطقته يطلبون منه قضاء العديد من الحاجيات بمختلف أنواعها و التي يطلب فيها إحضار 5 كلغ من البارود وهي الرسالة التي وردت اليه من صديق له يدعى الصالح وهذا بعد عودته من تونس بتاريخ 21 أكتوبر 1943

و صفوة القول يظهر أن مترجمنا على قدر كبير من المكانة الاجتماعية فهو محل ثقة وذا صدر رحب في مساعدة بني جلدته أيام الاحتلال ،كما يبدو لي أن هذه السلوكات الخيرية التي تطبع بها قد تعود إلى محاولة تطبيق نصائح و دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس، التي كانت تقوم على الدعوة الى مساعدة المسلمين و الحث على عمل الخير و البر و الإحسان.

و لا نبالغ إذا قلنا أن هذا السلوك السامي قد تطبع به تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس من أمثال الغسيري محل الدراسة و الفضيل الورتلاني و الميلي و آخرون.

كما عرف عن الغسيري انه كان من حزب المعادين للطرقية الفاسدة و الضالة و يظهر هذا في انه كان يمنع و يحرم على تلامذته تعليق التمائم في رقابهم ، و هذا يدخل في إطار محاربته للبدع و الخرافات و الشرك بالله، و قد عثرنا ضمن أرشيفه الشخصي على الكثير من هذه التمائم[(1)] التي كان ينتزعها من تلامذته و يحثهم على نبذها.

و الحق أن هذا العمل الإصلاحي و السلوك الحميد ظل يلازم الغسيري طيلة مشواره ، و لم يغير تقلبه في المناصب و المراتب من الأمر شيئا، بل زاده من التواضع اللامحدود و الكرم اللامتناهي، متحليا بكل خصال العلماء و شيوخ الإسلام ، و يطلعنا جزء من أرشيفه الشخصي على النصائح التي كان يسديها للمعلمين و هو على رأس هيئة التفتيش في تقرير لأحد المدرسين «... و ليكن الأخ على ثقة من أن جميع الآلام التي بحت لكم بها هي نفس الآلام التي أثقلت كاهلنا ،و انا إذا تناسيناها فإنما نستجمع قوانا للدفاع ضدها ومقاومتها بأنجع الطرق و أجداها...»[(2)].

فالنصيحة التي أسداها الشيخ الغسيري لهذا المعلم تنم عن المكانة الرفيعة التي كان يكنها للمعلمين و يعالج مشاكلهم بأسلوب مهذب و هو الشيء نفسه و السمة البارزة التي نجدها يتحلى بها و هو على رأس الكشافة من خلال الرسالة التي وجهها إلى رئيس فوج وادي الزناتي و التي جاء فيها «... أوجه إليكم هاته الرسالة الوجيزة لربط العلائق و بث الوداد راجيا منكم كما هو معلوم في

---

(1) خطبة الغسيري بمناسبة المولد النبوي الشريف 1943، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(2) تقرير المفتش الغسيري لأحد المعلمين ،الأرشيف الولائي قسنطينة.

الكشافة بذل جهودكم لتعينونا على إصلاح بعض الأمور...»[1] فهو أسلوب ينم عن الروح العالية و تعبير صادر عن شخص متواضع بعيدا عن التكلف و الادعاء، و تجمع الشهادات على الأخلاق الحميدة التي جمعها الغسيري في شخصه، مما اكسبه القدرة الكبيرة على النفاذ إلى أوساط المجتمع و تأثيره البارز عليه أينما حل ، ومنها شهادة رفيقه في الشام المناضل عبد الحميد مهري الذي قال فيه «... اشهد أن هذا الرجل بسلوكه و بالنضالات التي تحلى بها غزى قلوب أهل الشام فاحتل مكانة كبيرة في قلوبهم كان هذا الر جل محل تقدير و اعتبار من جميع الأوساط الحكومية والشعبية و الحزبية و الثقافية و غيرها ...»[2]

و إن كان الشيخ الغسيري قد تحلى بهذه الأخلاق الحميدة و بإجماع من عايشوه فلا غرابة أن يكون ذلك في تلامذة المربي الكبير بن باديس الذي يعود له الفضل في صقل مواهبه و تنشأته نشأة صالحة مما عرف عن مصاف العلماء الذين كانوا خير خلف لخير سلف.

وفـــاته:

بعد أن قضى الغسيري حياته في خدمة بني جلدته ووطنه الجزائر قدم فيها الغالي و النفيس سواء على المستوى الداخلي أو في المشرق العربي لم يكن يدري أن يأخذه القدر من مسقط رأس الأوراس ثم يعود إليه بعد 36 سنة من رحيله، ففي صيف 1974 وأثناء إجازته السنوية عاد في زيارة لمسقط رأسه غسيرة ، حيث اتصل بمجمل أهله و أقاربه و معارفه، و عند عودته إلى الجزائر العاصمة فاجأه القدر و رحل إلى جوار ربه يوم 24 جويلية 1947 [3] و تناقلت أنباء وفاته ووري التراب بمقبرة العالية بالعاصمة، مرقد الأمير عبد القادر، و الرئيس الراحل هواري بومدين و كثيرين من رجالات الجزائر، حيث ودعه موكب مهيب مثل الجهات الرسمية و الجهات الشعبية و لم يبقى ما خلف الآن من البنين و البنات إلا بنتان.

وقد ظل الغسيري حيا بين أبناء الجزائر من خلال جهوده و أعماله التي قدمها خدمة لهذا الوطن و التي بقيت شاهدة عن تفانيه الكبير و إخلاصه اللامنتهي.

(1) رسالة من رئيس الفوج الكشفي لوادي الزناتي إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(2) جريدة البصائر (الحديثة) لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السلسلة الرابعة، 30 أوت 2006,ص12.
(3) محمد الصالح رمضان:الشيخ محمدالغسيري في سطور، مرجع سابق ،ص 29.

أثـــاره الفكرية والأدبية:

من خلال أثاره النادرة امتاز الغسيري بقدرات بيانية عالية و موهبة ظاهرة في الكتابة و التأليف، إلا أن انشغاله الكبير بالتدريس و التفتيش و الإدارة في ميدان التربية و التعليم ثم نشاطه القيادي في إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية و انخراطه بعد ذلك في العمل الثوري السياسي و الدبلوماسي. كل هذه الوظائف و المهام الثقيلة شغلته عن الكتابة و التأليف لذلك جاء ما كتبته قليلا رغم أهميته البالغة.

و قد تنوعت أثار الغسيري المكتوبة من مقالات صحفية نشرتها بالخصوص جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء و كتاب اعتمدته مدارس الجمعية في مناهجها و كتاب أخر ألفه سنة1952.

أما المقالات الصحفية فهي عبارة عن مقالات كان الشيخ الغسيري قد دونها أثناء رحلته على رأس وفد الكشافة الجزائرية سنة 1953 إلى مصر بدعوة من الكشافة المصرية بمناسبة الذكرى الثانية للثورة المصرية 1952 وبعض المقالات الفكرية المنشورة في جرائد ومجلات متفرقة هذا بالإضافة إلى بعض الخطب المناسباتية التي كان الشيخ يلقيها على مسامع الناس، وتشهد له هذه الآثار على فكره الناضج وخياله الواسع البالغ.ومما وفقنا للحصول والاطلاع عليه.

.آثاره الثقافية :

أ/ مقالات بعنوان : عدت من الشرق

جمع محمد الغسيري في هذه الرحلة ملاحظاته و انطباعاته و كتبها في مقالات حملها مشاعره ومواقفه بعد عودته من بلاد المشرق، و نشرها في جريدة البصائر تحت عنوان رئيسي عام هو "عدت من الشرق "في تسعة عشرة حلقة متبوعا بثمانية عناوين فرعية، و كانت بداية هذا النشر في 21 جويلية 1953 و تميزت بأسلوب تقريري سردي و صفي حي .

و تحت عنوان" في طرابلس الغرب "كانت بداية رحلة الغسيري التي شملت عدة بلدان عربية انطلاقا من الجزائر ومرورا بتونس، حيث حل الوفد بليبيا وصولا إلى (زاورة) وذكر بالاستقبال البهيج الذي حضي به الوفد في طرابلس هذه المدينة التي لم تنل منها الحرب العالمية الثانية على حد تعبيره ،في حين كانت آثار الحرب و الخراب كبيرة على سرت ، درنه،

و بنغازي و في الأخير قال « فسلام على ليبيا و سلام على شبابها الناهض و سلام على ولاتها ما عدلوا في الحكم و ثأروا لأنفسهم من العبودية و الجهل »[1] فكانت تحية لليبيا و مواطنيها أما تحية الحكام فقد جاءت متأخرة مشروطة بالعدل و الإخلاص للوطن * .

" في كنانة الله مصر" و هو العنوان الذي دخل به مرحلة الرحلة في مصر حيث أشاد بمعاهد العلم و مدينة القاهرة و معالم هذه المدينة و قدم صورة حية للقاهرة العامرة بمساجدها، ثم انتقل إلى الحديث عن الجزائريين في مصر و صورتهم الإيجابية بها.

أما المرحلة الأهم فكانت مرحلة السعودية و التي وضع لها عنوان هو في البلاد العربية السعودية حيث أجاد في تصوير الأماكن المقدسة و ما توحي به من ظلال دينية و ما تؤثر به في النفوس التقية كما شمل و صفا جغرافيا ** عرج فيه على فلسطين، ثم انتقل إلى حفاوة الاستقبال الكبير للوفد سواء في الأماكن المقدسة أو في القصر الملكي ،و ختمه بثناء على الملك عبد العزيز آل سعود.

ب/كتاب : صورة من حياة و نضال الزعيم الإسلامي و المصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس: و هو عبارة عن كتاب بالآلة الراقنة عليه تصحيحات بقلم الشيخ الغسيري و تحصل عليه الباحث مسعود فلوسي الذي أخرجه و علق عليه بدوره، و الحق ان الغسيري في هذا الكتاب اختار الإشادة بدور مكانة معلمه و أستاذه الشيخ عبد الحميد ين باديس و قد استهله بدراسة تاريخية ملفتة تناول فيها الأصول العرقية و التاريخية لعائلة بن باديس التي أرجعها إلى أصول بربرية من قبيلة صنهاجة الشهيرة في تاريخ الجزائر بالماضي العتيد و المكانة السياسية لهذه العائلة و لا يخفى علينا أن صنهاجة الشيخ بن باديس هي التي وطدت الفاطميين وساعدتهم بالمال و الرجال لإقامة ملكهم في مصر و المعروف بالدولة الفاطمية التي ملأت الدنيا مكانة و أخبارا وتشيدهم لمدينة القاهرة قبلة العالم العربي اليوم و التي رسخت مكانة مصر في التاريخ ،و بأسلوب تاريخي رفيع مهد الغسيري في كتابه بمقدمات حول الدولة الصناهجية في المغرب الأوسط و المراحل التي مرت بها من قوة و ضعف الذي يرجع سببه إلى ضعف الأمير يحي بن

(1) البصائر: السلسلة 2، سنة 06 ،عدد 252، 26 ربيع الثاني 1373هـ (1 جانفي 1954).
* انظر اتجاهات الرحالة الجزائريين في رحلة العربية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995
** أنظر الشكل و الصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة دار الأمة الجزائر 1995

المعز و هجومات النورمان و يختصر الكتاب مراحل تاريخية هامة من تاريخ الجزائر الحيوية حسب ترتيبها الزمني وهي أربعة أبواب رئيسية :

1/ **العلاقات الفرنسية الجزائرية:** و ابرز فيها الكاتب فترتها الطويلة و التي أعادها إلى معاهدة 1270 فهي علاقات تاريخية لكن أهم ما ميزها في نظره أنها كانت مضطربة و هذا بسبب المشاريع الفرنسية التي كانت تهدف في كل مرة لإسقاط الجزائر تحت سيطرتها كمشروع تاليران لإنشاء مستعمرات في شمال إفريقيا ، و أن احتلال الجزائر كان ضمن المشاريع الفرنسية المتفق عليها في المؤتمرات الأوروبية مسبقا كمؤتمر فيينا و اكس لاشبيل .

2 / الاحتلال الفرنسي للجزائر : و الذي يعد في نظره ضمن المساعي الاستعمارية منذعهد القدم (الرومان ، الوندال ، البزنطيين و الفرنسيين) فالأطماع الاستعمارية الأوروبية في الجزائر مستمرة و لم يغيرها الزمن لكنه ألقى باللوم على موقف حاكم الجزائر الداي حسين الذي سمح للفرنسيين باحتلال الجزائر و لم يظهر أي مقاومة تذكرهو و أتباعه ،و مهما طالت فترة الاستعمار كان الجزائريون يتكاتفون في كل مرة لدحره .

3/ المقاومات الشعبية : نوه الشيخ الغسيري في هذا الباب بقادة المقاومات الشعبية ووصفهم بالأبطال لكن عدم تكافئ ميزان القوة لدى الطرفين حكم لصالح الفرنسيين و مكنهم من فرض سيطرتهم على الجزائر .

4/ السياسة الفرنسية في الجزائر : و التي تميزت بالاستيلاء و الاعتداء على الممتلكات و مصادرة الأملاك و الأراضي كقرار دي بورمون 1880 و قانون فارني 1873 الذي انتزع ملكية الأراضي من الجزائريين كما شملت هذه السياسة العدوانية الاعتداء على المقدسات الإسلامية و الانتقام من المقومات الشخصية العربية و الإسلامية للجزائر مما خلق معاناة كبيرة جعلت الشعب الجزائري يلتمس الشفاء في رجال من أبنائه على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس .[1]

و بالتالي فالكتاب يبدأ بالحديث عن ابن باديس وينتهي بالحديث عنه من جديد .

---

(1)محمد الغسيري : صورة من حياة ونضال الزعيم الاسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مطبعة قرفي الجزائر، 2008 ،ص 58 .

لقد خصص أكثر من نصف الكتاب للشيخ عبد الحميد تحت عنوان رئيسي " عبد الحميد بن باديس في الميدان" حيث لخص حياة ابن باديس من النسب المنحدر من آل المعز بن باديس الصنهاجي فمولده و نشأته و تعلمه و سفره إلى المشرق و عودته إلى قسنطينة و بداية تعليمه فيها و الشيوخ المعاصرين له ،و حلل منهجه العلمي الذي يعتمده في التفسير للكتاب و السنة من نصوص و تأويل و نقل مما يتلائم مع العقل، و غربلة كتب العقيدة مما أدخلته الفلسفة اليونانية من قواعد على الفترة العربية على حد قوله فيصفه " كان الأستاذ الرئيس حربا دائما على الضعف و الخور و الذلة و الصغار و عبادة الوثن ،إنسانا كان أم مخلوقا طبيعيا رهيبا في نظر العامة " كما بين الأسس التي كان عليها في هذا المنهج ثم وضع صورة من النضال الفكري لعبد الحميد و تلامذته و انتقاله من النضال الفكري إلى النضال الاجتماعي فوضع عنوان" عبد الحميد بن باديس المناضل الاجتماعي في الميدان" حيث يظهره كمصلح يحارب الكسل و الاحتيال مهتما بكل فئات المجتمع كهول و شباب و أطفال يبنى المساجد و المدارس و يدرس و يحاضر للنساء و العمال و كافة الشعب فيصفه بالمربي المثالي و يظهر جوانب أخرى من شخصية الإمام فيتطرق إلى عبد الحميد بن باديس الصحفي و يسرد مختلف الجرائد و المجلات التي أسسها و كتب عليها .

و الكتاب الأصلي ينتهي عند هذا الحد فهو يتوقف عند حدود حوالي سنة 1927 أي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و بذلك لم نتمكن من الاطلاع على تحليل المؤلف لفترة هامة جدا من حياة ابن باديس إلى غاية 1940 .(1)

آثاره الفكرية :

و إلى جانب إسهاماته في جريدة البصائر فقد عثرنا على دراسة للشيخ الغسيري كان قد نشرها على أعمدة جريدة المنار المعروفة و المحترمة لدى قراء الضاد في بلاد الجزائر .

و قد تناول فيها موضوع جديد بالنسبة لما عهدناه على الغسيري و هذه المرة كمفكر يحث الناس على الأخذ بأسباب التقدم و القوة للحاق بركب الأمم المتقدمة و هذا المقال تحت عنوان : ب- **نهضة الأمم** و يمكن لنا تحديد الأفكار الأساسية التي أراد الغسيري للقارئ في المحاور الآتية

(1)محمد الغسيري : المصدر السابق ، ص ص59 - 63 .

ج-مقال نهضة الأمم بجريدة المنار العدد 45 السنة3 بتاريخ 1953/07/10

فقد استهل مقاله بعقد مقارنة بين الأمراض و العلل التي تصيب الفرد كما تصيب الأمم هذه الأخيرة التي يترتب على حالها ما يترتب على حال الفرد المريض فقال " لقد بان و اتضح أن الأمم تصاب بأمراض الأفراد يتصدع فيها هيكلها و ينخرم منها عزها و تنهدم بها جدران مقوماتها و اكبر هذه وأعظمها الجمود الفكري ..." و يخلف ذلك نتائج على الأمم " يفسد جوهرة العقل في الأفراد ... و تتدهور الأخلاق و تنقلب الأشياء فتصبح الفضيلة رذيلة ...فتنحدر الأمة إلى أن تكون على شفا حفرة من النار ..." فبعد ان بين أسباب الانحطاط وأثارها يوضح أسباب الرقي و النهضة والتقدم بدءا بنفض غبار التخلف و الجهل إلى نيل الاستقلال و هذا يمر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: هي مرحلة الوعي القومي التي يشرع فيها الناس بالنظر في شان مجتمعهم بصفة عملية و هنا يدركون بالعقل ما كانوا فيه من الدنيا المخزية و انهمكوا في غم وسكر و سبات عميق، و يعين الناس بعقولهم واقع الأضداد و هو ما يضيء طريقهم و يشحن عزتهم بالقومية و الشعور بالمسؤولية.

المرحلة الثانية: و هي مرحلة الصراع بين من يطلب حياته وحقوقه الطبيعية و بين من كانت في يده يعتقد انه ربها و الوارث لها فيسوء التفاهم و يتعكر الجو و هي في نظره أعظم و انفع مرحلة للضعيف ،حيث توسع شعوره بالحق الذي يتعذر وجوده في أعظم المنافع للضعيف و في جو أخر و تنتشر روح المطالبة بالحقوق الطبيعية و المكانة اللائقة بالحياة فتظهر عوارض على الطرف الثاني وهو المستعمرو الغزاة فيقول « فتضعف حالتهم فتصبح أشبه شيء بحالة الخائن الذي طلع عليه النهار و هو في محل الخيانة فقد اطلع عليه أهل الغنيمة فلا يكفيهم الاحتجاج و لا تسعهم البراهين على أحقية الضعفاء لمقوماتهم و حاجياتهم فيعودون إلى قاموس الظلم و الاعتداء و الفتك و الزجر راجين من وراء ذلك سماحة الذائبين المطالبين» (1)

أما المرحلة الأخيرة في نظر الشيخ الغسيري فيصفها بأنها مريرة في أعراضها إلا أنها تولد انقلابا في قوة المتصارعين و فيه ينصهر الضعفاء و يذهب ما عليهم من زغل آونة السبات الذي

(1)محمد الغسيري : نهضة الأمم : مقال جريدة المنار، العدد 45، السنة 3، 10 جويلية 1953.

كانوا فيه فينتقل فيهم ساعد الرجولة و يمس فيه ساق البطولة و يتمرنون على فنون المصارعة ويسبحون في لجة التجربة التي يتخذونها وسائل الهدف المنشود و هنا معراج الرقي للضعفاء. و تحتم الطبيعة على القوى الهبوط فيلتقي الفريقان في الوسط التي لابد أن تضرم فيها نار الكفاح و تقرع المصيبة في الأموال والأنفس و يقضي لله أمرا كان مفعولا. ويصبح القوي لا يزن جناح بعوضة في سورة الحياة و يقال للمكافحين كلوا و اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون [1].

آثاره الدينية :

د/ كتاب خلاصة الدروس الفقهية: و هو كتاب في الفقه الإسلامي على المذهب المالكي يتناول مسائل فقهية كالصلاة والصوم و الوضوء موجه إلى الطلبة على مختلف مستوياتهم و قد اعتمد من طرف مدارس التربية و التعليم ضمن مقرراتها حيث طبع و وزع على هذه المدارس[2].

و بالرغم من هذه الآثار القليلة التي خلفها الغسيري إلا أنها تنم عن فكر راق و أستاذ فذ و مؤلف بارع يجمع بين الأدب و السياسة و التاريخ و علوم الشريعة وغيرها، و هذا لا يكون إلا في العلماء من أمثال الغسيري و أبناء جمعية العلماء الجزائريين.

و صفوة القول من هذا العرض أنه يظهر لنا :أن الشيخ الغسيري قد أدرك بفكره الواسع واحتكاكه بالأمم الأخرى الوسائل الناجعة للنهضة و اليقظة الفكرية و القومية ،كما تظهر لنا هذه الكتابات إحساسه النبيل بالوضع الصعب الذي تمر به الأمة العربية قاطبة و الجزائر الجريحة حسب تعبيره خاصة فركز في أكثر من موضع على حتمية الأخذ بأسباب التقدم حتى يكتب للشعب الجزائري أن ينفض غبار السيطرة و الظلم الاستعماري، وتظهر نباهة الغسيري في تقديمه للحلول الممكنة لصد المشاريع الاستعمارية على أمل التخلص منها ، واسترجاع الأنفاس وبناء الطاقة كاملة للتحرر من القيود التي طالما كبل بها الاستعمار أيدي أبناء هذه الأمة .

(1)- محمد الغسيري :نهضة الأمم ـ مقال ـ جريدة المنار العدد 45 السنة 3 بتاريخ 10- 07 – 1953
(2)- خلاصة الدروس الفقهية، طبع من طرف جمعية العلماء المسلمين ،1943 .

خاتمة الفصل

و مما سبق ذكره و مناقشته نخلص إلى النتائج التالية :

1-إن البيئة الريفية التي تربى فيها الشيخ الغسيري و فتح عينيه مكنته من تحدي الصعاب التي اعترضت طريقه لاحقا و التي لا يتغلب عليها إلا من جرب الحياة القاسية و شرب من حلوها ومرها كما كانت هذه البيئة المحاصرة طبيعيا عاملا مساعدا لأمثال الغسيري من أبناء المنطقة، على الاهتمام بحفظ القران ودراسته مبادئ اللغة العربية و التنشئة الوطنية و الإسلامية بعيدا عن مخادع بريق لاستعمار في المدينة، والمتأثرين بأنماط حياته .

2- التحاق الغسيري بجمعية العلماء المسلمين في قسنطينة في فترة تعتبر العصر الذهبي للنشاط الإصلاحي، و اشتداد المقاومة السياسية و الوطنية مما كونه تكونا في خدمة شعبه و القضية الجزائرية، ويشهد عن قرب و يشارك في هذا العمل.

3- لقد فهم الغسيري منذ البداية دوره الاجتماعي و الإصلاحي الذي يتطلب الإيمان و التضحية ففرط غفي استئناف دراسته بالزيتونة و انخراط في صف التعليم و التربية و إعداد النشأ و هذا العمل المبكر فتح المجال أمامه واسعا ليرتقي في المهام التي سرعان ما يندمج فيها و يتحول إلى منظر و مرشد لها.

4- و مما شغله الغسيري من مهام و مسؤوليات ينم عن حياة أفناها في خدمة الدين و الوطن سواء قبل الاستقلال بدوره التربوي و التعليمي أو بعد الاستقلال و تفانيه لبناء الدولة الجزائرية الفتية.

5 ـ رغم انشغال الغسيري بالكثير من المهام الشاقة والصعبة التي أخذت شطرا هاما من حياته الا أنه لم يغفل أن يترك بصماته الأدبية والفكرية على الكثير من الجوانب التي طرقها ، وتعد بعض الآثار القليلة التي خلفها تعبيرا صارخا عن صدق الرجل وعزمه على المساهمة بكل الوسائل في تغيير واقع جيله بمختلف الأساليب مما ينم عن سعة الفكر والخيال اللذان امتازا بهما هذا الرجل وهما صفتان لا تجتمعان الآ في شخص العلماء والمفكرين .

الفصل الثالث

الحـــركة الاصـــــــلاحية فـــــي الأوراس .

المبحث الأول :الا رهاصات الأولى وبوادر الحركة الاصلاحية في الأوراس.
المبحث الثاني : النشاط الاصلاحي للشعبة الأوراسية .
المبحث الثالث :في أفق الصراع مع الادارة الاستعمارية .
خاتمة الفصل .

مقدمة الفصل

تطرقت في هذا الفصل إلى استعراض واقع الحركة الإصلاحية في الأوراس و ذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول و يتناول الإرهاصات الأولى للحركة الإصلاحية بالتمهيد لهذه الأفكار من خلال مجموعة من الطلبة الذين التحقوا بمداس العلماء و العمل على تهيئة الظروف لميلاد الشعبة الإصلاحية الأوراسية.

أما المبحث الثاني فيتطرق للنشاط الإصلاحي للشعبة العلماء بالأوراس من خلال فتح المدارس و النوادي و تعزيز دور التعليم المسجدي.

و المبحث الثالث خصصته للصراع الدائر بين شعبة العلماء الأوراسية و الإدارة الاستعمارية المحلية في تلك الفترة أي في خضم التحدي و الانتشار الواسع للحركة و الإجراءات الإدارية الفرنسية للحد منها و القضاء عليها.

الحركة الإصلاحية في الأوراس

ظلت الأوراس التي عرفت الحركة الإصلاحية مثلها مثل الكثير من مناطق الجزائر بعيدة عن إهتمام الباحثين و الدراسين و من هنا رأينا أن هذه الوضعية غير طبيعية بالنسبة لمنطقة هامة انعكست عليها جهود الإصلاح بصورة جلية و هو الشيء الذي يفرض علينا تسليط الضوء على مسار الحركة في بلاد الأوراس.

و قبل التعرض بالحديث عن انتشارها وأهميتها بالنسبة للمنطقة خليق بنا أن نعرف بمصطلح الإصلاح و نربطه بمدلوله الحقيقي الذي يدور حوله هذا البحث و يتسنى لنا إبراز العلاقة القائمة بين الإصلاح كمفهوم شامل و هذه الحركة في المنطقة موضع الدراسة.

فكلمة الإصلاح في اللغة العربية مشتقة من الفعل أصلح و صلح وصلح و تدل على تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء ،و إذا أخذنا بالقول هذا يصلح لشيء فهو بمعنى يوافقه و يحسن به و هو صالح له أي أنه آهل للقيام به فالصلاح عامة ضد الفساد(1).

و بالنسبة للقران الكريم فعبارة الإصلاح يختلف مفهومها حسب موقعها في الآية و حسب التفسير المعنوي* لها فالآية 88 من سورة هود " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله " فالمعنى المقصود يدل على إرادة الإصلاح العام في ما أمر به الله تعالى و فيما نهى عنه ما دمت أستطيعه فهو أمر بالمعروف و نهي عن المنكر(2).

أما الإصلاح الديني فيتعلق غالبا مفهومه الواسع بالثورات ذات المنطلق الديني، و مصلح الحركة الإصلاحية عرف أول ما عرف في أوروبا الغربية في القرن 16 على يد المصلح الكاثوليكـــــي

---

(1) لويس معلوف : المنجد في اللغة و الآداب ،المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط1 ،1927 ،ص 445.
(2) محمد طهاري: مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ط 3 ،1999 ، ص 14.
* كما يختلف معناها حسب المفسرين ومن ذلك الآية 116 من سورة النساء "... لا خير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس " و المقصود بالإصلاح بين الناس هو إزالة العداوة و نشر المودة و هو من الخير الذي قد يترتب على إظهاره و يشترط في هذا العمل الكتمان و إن يكون الأمر به و السعي إليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم .
و الآية 117 من سورة هود "ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون " فالمقصود إن الله ما كان من شانه إن يهلك الأمم بظلم منه في حال كان أهلها مصلحون في الأرض متجنبين الفساد و الظلم إنما يهلكهم بظلمهم و فسادهم.

مارتن لوثر و بذلك اقترنت الثورة الدينـية التي قامت في أوروبا في هذه الفترة بمفهوم الــحركة الإصلاحية [1].

أما في العالم الإسلامي فقد جاء بهذا الطرح الفيلسوف و العالم شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن 13م* و الذي دعى إلى العودة بالدين الإسلامي إلى زمن السلف الصالح ثم جاءت من بعده حركات تصب في نفس المنحى على غرار الحركة التي قادها محمد بن عبد الوهاب التميمي ** في شبه الجزيرة العربية و الحركة التي قادها جمال الدين الأفغاني بطرحه لفكرة الجامعة الإسلامية و التي لقيت استحسانا كبيرا مع السلطان عبد الحميد الثاني***[2].

و تعد الجهود التي قام بها تلامذة الأفغاني أمثال محمد عبده، رشيد رضا، الكواكبي وغيرهم جهودا جبارة في بعث الحركة الإصلاحية في المشرق العربي، فعندنا في المغرب جاء بهذا الطرح العلامة عبد الحميد بن باديس الذي استقى و غرف من معين علماء الأزهر و الشيخ عبد العزيز الثعالبي و غيرهم[3]، فقد أدرك الشيخ بن باديس الأخطار المحيطة بشعبه في الجزائر و شعر بآلامه و فكر بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء و لقن ذلك لتلامذته أمثال الغسيري ، و بذلك ظلت أرائهم تعمل عملها في حياتهم و بعد موتهم حتى يتحقق إصلاحهم و تتقدم أمة الإسلام على أيديهم.

---

(1) غايتان بيكون :أفاق الفكر المعاصر، ترجمة مجموعة من الأساتذة ،منشورات عويدات بيروت ،لبنان 1974، ص 51.

*- ولد ابن تميمة عام 661هـ (1236م) نادى بعودة الفكر الإسلامي إلى أصالته الأولى، بعيدا عن التحريف و التأويل المذهبي، و تصدى لكل فكرة دخيل و وقتئذ كما حارب التقليد واوجب الاجتهاد على القادر المكلف بقيت دعوته في الكتب إلى أن جاء من بعده دعاة السلفية و النهضة كالوهابية و دعوة جمال الدين الأفغاني و تلميذه محمد عبده انظر ابن القيم الجوزية زاد الميعاد ج1 ط3 مكتبة المنار الإسلامية الكويت 1982 ص 18.

**-محمد بن عبد الوهاب (1703-1792) ولد في كمنطقة العينية و نشأ فيها وكان والده قاضيا و تلقى عبد الوهاب على والده العلوم الأولية ثم سافر لطلب العلم إلى الإحساء و الجهاز و البصرة و بعد رحلته إلى نجد قام بدعوته الإصلاحية ثم انتقل إلى الدريعة و تحالف مع زعيمها الأمير محمد بن سعود و لم تمض على الدعوة الوهابية فترة قصيرة حتى انتشرت داخل الجزيرة العربية و خارجها، انظر احمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحاضر مكتبة النهضة المصرية 1948، ص 10 .

(2)- علال الهاشمي الخياري: الإسلام و إيديولوجية الفكر المعاصر، الدار التونسية للنشر ،تونس ،1881، ص ص 62-64

***-عبد الحميد الثاني أخر سلاطين الدولة العثمانية، انظر جورج انطونيوس، تاريخ الدولة العثمانية

(3)- نور الدين ساطوم: يقظة القومية العربية، محاضرات ألقاها على طلبة المعهد، دار النشر جامعة الدول العربية ،1968 ، ص 74.

الارهاصات الأولى وبوادر الحركة الاصلاحية في الأوراس :

لقد استهدفت السياسة الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830 المميزات القومية و الروحية للشعب الجزائري و محاولة قطع صلاته بالعالم العربي و الإسلامي و استهدفت مراكز الثقافة العربية المزدهرة في القطر مثل مسجد كتشاوة الذي حولته إلى كاتدرائية.،و هذا كله بمقتضى قوانين ومراسيم كقرار9 نوفمبر 1893 و قانون 1883 ،كما أغلقت المدارس بمختلف مستوياتها و اتخذت من سياسة التجهيل العمدي وسيلة لتحقيق أهدافها و يعد ما كتبه الكاتب الفرنسي "بولار" حول مسؤولية فرنسا في تخلف الجزائر خير دليل على ذلك إذ يقول : « لقد أشاع دخول فرنسا في الأوساط الأدبية و العلمية اضطرارا شديدا فهجر معظم الأساتذة الأفذاذ مراكزهم هاربين، ولقد كان يقدر عدد الطلاب قبل 1830 ب 150 ألف طالب أو يزيدون، ومهما يكن من شيء فلم ينجح من المدارس القديمة سوى عدد قليل من المدارس الصغيرة و حرمت أجيال عديدة من التعليم »(1)

إن القضاء على هذه المدارس بغرض استبدالها بمدارس فرنسية * لتكوين أبناء الجزائريين على نهج فرنسي يؤمنون بالنظرية الفرنسية لا غير، امتد في الحقيقة إلى تحطيم المرتكزات الروحية للشعب الجزائري و تشويه صورتها و التهوين من أمرها في حين فتحت الباب واسعا لمظاهر الانحراف الخلقي و الديني كالحانات و الملاهي الليلية و شجعت المبشرين المسيحيين(2) و هذا الوصف في محاربة الدين الإسلامي دفع مدير الشؤون الأهلية في الجزائر آنذاك إلى القول « وصل بنا امتهان و احتقار الدين الإسلامي إلى درجة أننا لم نعد نسمع بتسمية المفتي العام أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس »(3)

لقد استمر الوضع مع هذا الجهد الاستعماري قرنا كاملا من الزمن أي إلى سنة 1931 و هو تاريخ ميلاد جمعية العلماء الجزائريين و التي خاضت صراعا عنيفا مع هذه السياسة و لعبت

(1) محمد قاسم: عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف مصر،1968 ، ص 08 .

(2) يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ،ج 2 ، دار الهدى ، عين مليلة ط2 ،2004 ،ص 78 .

* كتب جول فيري إلى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر في 11 أكتوبر 1880 بطلب منه الاستعداد لفتح أكبر عدد ممكن من المدارس الفرنسية علما أن وزارته تستحمل ¾ من المصاريف الإجمالية لهده المدارس على أن تتحمل الباقي الحكومة العامة في الجزائر .

(3) محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1999، ص 07 .

دورا بالغ الأهمية في محاربتها حيث ركزت [1] جهودها على

- إحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر أو بعث تاريخها العربي الإسلامي
- نشر اللغة العربية بين أبناء الجزائر
- توجيه الجزائر من خلال جهودها التربوية الثقافية والإصلاحية ذات وجهة عربية إسلامية صحيحة تتعارض كاملا مع سياسة الاحتلال الفرنسي التي كانت تعمل على ربط مصير الجزائر بفرنسا ثقافيا وحضاريا .
- إعداد أجيال عربية إسلامية للجزائر تكون جنودها في المستقبل .
- الوقوف في وجهة سياسة التنصير الفرنسية والاندماج التي يمارسها المستعمر على الشعب الجزائري.

لم تكن منطقة الأوراس بمنأى عن هده الجهود الفرنسية بل كانت مركز اهتمامها ولعل المدرسة التي فتحها الكاردينال لافيجري والآباء البيض في بسكرة واستهداف المنطقة ككل خير دليل على ذلك ، لكن كيف يمكن بعد هذه الجهود الاستعمارية أن تتغلغل أفكار جمعية العلماء الإصلاحية إلى الأوساط الأوراسية ؟

لقد طرحت الباحثة الفرنسية (فاني كولونا) تساؤلات من هذا النوع و حاولت أن تعرف الشروط الممكنة الاجتماعية و الاقتصادية لترسيخ خطاب ديني عصري إصلاحي في مناطق ريفية ناطقة بالأمازيغية وضعت تحت رقابة دورية . ووصلت الباحثة إلى القول بحذر أن الأفكار السلفية قد ترسخت بقوة في جبال الأوراس منذ الجزء الثاني من القرن ال15 م و بذلك كان أهل الأوراس أكثر تمسكا بالدين الإسلامي و اللغة العربية لكن خلال الثلاثينات من القرن العشرين حدث شيئ جديد غير من طبيعتها و تميز من حيث الفعل و المضمون و النتائج التي أصبحت واضحة بقوة ما بين الثلاثينات و الخمسينات على المعتقدات و الممارسات الشعبية [2] .

وانطلاقا من النتيجة التي خلصت إليها الباحثة فاني كولونا يمكن القول أن منطقة

---

(1) تركي رابح : الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، مجلة الثقافة ، العدد 85 وزارة الثقافة و السياحة الجزائر ،1985 ،ص 183.

(2) Fanney colonna : OP.CIT ;P34.

(3) Ali Merred : le réformisme musulman en Algérie , les éditions el Hikma Alger, 1999 ; pp 170 - 171.

الأوراس كانت تحتضن و بشدة الدين الإسلامي و اللغة العربية و لم تغير السياسة الاستعمارية منها الشيء الكثير، لذلك استقبلت الأفكار الإصلاحية لجمعية العلماء بصدر رحب و تغلغلت في أوساطها بسرعة (1) حيث عرفت انتشار مدارس التربية و التعليم الحرة و تأسيس النوادي الثقافية و تشكيل أفواج الكشافة الإسلامية هذا من جهة، و من جهة أخرى بنيت المساجد و احتضنت التعليم المسجدي و دروس الإرشاد و محاربة البدع .

النشاط الاصلاحي لشعبة العلماء في الأوراس

حقيقة أن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين بحملها لفكرة التجديد و تصفية الدين من البدع و إحياء القيم و نشر التعليم العربي و الإسلامي وضعت قواعد و أسس لنشرها و كونت رجالا ضمنوا مواصلة المسيرة (2) التي تبعث على النهوض الديني و الإصلاحي و تنمي الروح المعنوية و الوطنية للشعب الجزائري و ذلك للمطالبة بكافة حقوقه الاقتصادية ،الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية و السياسية .

تكوين شعبة العلماء في الأوراس

لقد أصبح الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس و مدارس جمعية العلماء في قسنطينة قبلة لجميع حفظة القرآن و أبناء المساجد و الكتاتيب خاصة من منطقة الأوراس، أين كانت وفود الطلبة إلى قسنطينة كبيرة و في وقت مبكر أمثال عمر دردور سنة 1931 م و الغسيري سنة 1933 ..و غيرهم فكان هؤلاء الطلبة بمثابة الجسر الذي مرت عليه الأفكار الإصلاحية ، و تغلغلت في الأوساط الاوراسية ، كما يعود دخول هذه الأفكار إلى هذه المنطقة حسب كثير من الباحثين أمثال فاني كولونا و علي مراد إلى سنة 1934 حيث توجت الجهود الحثيثة للعلماء بتأسيس نادي الإصلاح بمدينة باتنة سنة 1935 م ، و استمر في تأدية نشاطه الدؤوب على قدر من الأهمية أين شهد في السنة الموالية في أوت 1936 تأسيس الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من طرف رئيس هذه الشعبة الشيخ عمر دردور مع جماعة من الطلبة و الشيوخ الأوراسيين على رأسهم الشيخ محمد الغسيري ، و في هذا الصدد جاء في

(1) Ali Merred : op,cit ;pp 170 , 171 .

(2) عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى المرجع السابق،ص 101 .

تقرير كتب سنة 1938م تحت عنوان " مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس " من طرف حاكم الأوراس" لقد زاول أربع أوراسيين أبناء المرابطين دراستهم بالجامع الأخضر بقسنطينة تحت إشراف الشيخ ابن باديس و كان هؤلاء التلاميذ الأربعة أعضاء في اللجنة المديرة للشعبة الاوراسية للعلماء المؤسسة في أوت 1936 ..بينما الأعضاء الآخرون للجنة المديرة يمثلون عائلات مرابطة هامة مناصرة للزاوية الرحمانية لتبرمسين و تلميذ آخر من قرية غوفي " (1) .

و لعب الشيخ محمد الغسيري دورا بارزا في نشاط هذه الشعبة أين فتح مدرسة للتربية و التعليم رفقة الشيخ دردور في باتنة ووسع من آفاق النوادي الثقافية و تأسيس فروع للحركة الإصلاحية في مدن ، قرى و دواوير الأوراس ، ففي شهر أوت 1937 أسس الغسيري الشعبة الأوراسية الإصلاحية (2) باسم جمعية العلماء بحيدوس بدوار وادي عبدي مع بعض خريجي الجامع الأخضر، و هم من المنطقة و أغلبهم من أبناء الزوايا الذين زاولوا تعليمهم لدى رئيس الحركة الشيخ ابن باديس،و يطلعنا محضر تأسيس هذه الشعبة الذي عثرنا عليه في الأرشيف الشخصي للشيخ الغسيري على أسماء الأعضاء (14) الأربعة عشر المؤسسين و هم :

- الشيخ عمر دردور : رئيس شعبة الأوراس المعتمدين من طرف الجمعية
- الشيخ الأمير صالـــحي
- الشيخ محمد يكن الغسيري
- أحمد تيمـــــقلين الرحابي
- محمد الصـــالح زموري
- عبد الواحد واحـــــــدي
- رشيد صـــــــــــالحي
- أحمد بـــــــــــــهلولي

أما الأعضاء الاضافيون فهم : محمد بلحسين بن عباس ، مسعود بلعقون ، بومعراف بن حاية ،.

(1) تقرير حاكم الأوراس تحت عنوان :مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس 1938 ،أرشيف اكس أون بروفنس Archives xenprovence 69G /7617 .
(2) محضر تأسيس الشعبة الأوراسية الإصلاحية باسم جمعية العلماء بحيدوس ، الأرشيف الولائي قسنطينة .

مختارمقاوسي ، الصالح بوقرقور ، محمد بن أحمد عباس و بالنظر إلى أن فكرة الإصلاح التي كان منبعها الشرق الجزائري ، فهذه المنطقة التي ضمت رواد الإصلاح الأوائل و على رأسهم الشيخ ابن باديس و البشير الإبراهيمي ، العقبي * ، العربي التبسي ...و غيرهم و مركز هذا الإشعاع مدينة قسنطينة ،فتأسيس جمعية العلماء سنة 1931 و علاقة كل ذلك بالأوراس يدفعنا إلى التساؤل :هل دخول الحركة الإصلاحية إلى هذه المنطقة كان متأخرا ؟

استندت الباحثة (فاني كولونا) إلى أعمال الأستاذ علي مراد و رأت أنه يمكن تفسير قدر الشيخ ابن باديس و حركته الإصلاحية في الدخول إلى منطقة الأوراس سنة 1934 م كان متأخرا و بالضبط باتنة كان الهدف الحقيقي منه هو محاولة خلق تواصل بين الإسلام بمفهومه العميق و إسلام الزوايا و كان يجب انتظار تقبل هذه المبادرة من المرابطين و شيوخ الزوايا في المنطقة و قد جاء بالفعل هذا التقبل بالخصوص في منطقة الأوراس كما تمناه رئيس الحركة الإصلاحية عكس مناطق أخرى لم تقبل بسهولة هذا المد الإصلاحي و خاصة في الوسط الجزائري أين نجد انتشار قليل للإصلاحيين[(1)].

و صفوة القول أن صوت الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس كان قويا حيث تحمس الشباب للأعمال التي كانت تقوم بها الجمعية من التعليم و المحاضرات و الدروس في المساجد، و غادر أفواج من الشباب متوجهين إلى الجامع الأخضر و الزيتونة لكسب العلم و التشبع بمبادئ الإصلاح المثلى .

النشاط الإصلاحي للشعبة الأوراسية

بعد تكوين الشعبة الأوراسية باشرت نشاطها الميداني حسب الدور المنوط بها و حرصت أن يكون هذا النشاط شاملا للمنطقة حتى تتمكن من تأدية رسالتها الإصلاحية كاملة لذلك عملت على تكوين الجمعيات الدينية و تأسيس النوادي الثقافية و تشييد المدارس الحرة و بناء المساجد

* هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج الصالح العقبي (1880-1960) ولد ببلدة سيدي عقبة ثم هاجر مع أسرته إلى الحجاز أين درس و شارك في الحياة السياسية ، عاد إلى الجزائر عام 1920 فظل في بسكرة يبث أفكاره عن النهضة العربية و الجامعة الإسلامية و الإصلاح الديني و الاجتماعي ، أسس جريدة الإصلاح عام 1927 و أصبح ممثلا للعلماء في العاصمة و مرشدا بنادي الترقي و عين نائبا للكاتب العام لجمعية العلماء عند تأسيسها 1931 أنظر سعد الله الحركة الوطنية ج 2 ص 416.

(1) Fanny colonna: lettrés intellectuels et militante en Algérie 1880-1950, OFFICE des publications universitaires, Alger ; p 33.

1 / تأسيس النوادي الثقافية

إن أول ما استرعى الشباب الجزائري خلال عقد العشرينيات هو إنشاء النوادي و من أهم الأندية التي أسست خلال هذا العقد والذي ذاع صيته ، نادي الترقي سنة 1927 من طرف أعيان مدينة الجزائر الذين فتحوا له محلا ضخما بساحة الحكومة في العاصمة ،و أسست جمعية العلماء على شاكلته ناديا جديدا أطلقت عليه اسم نادي الإصلاح 1934 ،والى جانب الناديين المذكورين أنشأت جمعية العلماء المسلمين العديد من الجمعيات في الحواضر والمدن الصغرى ، وكانت مهمتها تطابق مهمة نادي الترقي والإصلاح ، وهو محاولة إخراج المجتمع الجزائري المسلم من حالة الانحطاط الذي آل إليه ، ونشر الأنوار بين ظهراني المسلمين الجزائريين ليبلغوا مصاف جيرانهم الأوروبيين الذين قطعوا شوطا معتبرا في التقدم والرقي ، بفضل هذا النوع من النشاط الفكري و البلاغي إلى جانب هذا، فان هذه النوادي كانت همزة وصل بين المدرسة و المسجد، فكانت فكرتها تهدف إلى تهذيب شريحة هامة من الشباب و توجيههم توجيها عربيا إسلاميا عندما لم تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم هذه المبادئ و التي ليست لهم حظ فيها بسبب انشغالهم و ابتعادهم على حد سواء عن المساجد أو المدارس[1].

وما يجدر بنا ذكره فان تأسيس النوادي الثقافية بالأوراس لتلتقي فيها فئات من الشباب للتعارف و تبليغ المعارف و المعلومات و رفع مستواهم الفكري و الثقافي و الأخلاقي ووضع خطة ناجعة بغية التصدي للمشاريع التي يروج لها المستعمرون و المبشرون و محاربة الرذائل و الخرافات التي يراد بها الهاء الشباب عن المبادئ الإسلامية و إضعاف روح التضحية و العمل المثمر و مما جاء في تقرير لحاكم الأوراس تحت عنوان "مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس " يقدم صورة واضحة عن هذا النشاط «خلال بضعة أشهر شاهدنا ظهور عدد من

(1) عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى مرجع سابق ،ص 99.

النوادي و المراكز الثقافية للاجتماعات يستمع فيها الأعضاء و المواطنين لدروس و خطب العلماء في حين تم تشكيل جمعيات ثقافية إسلامية بهدف جمع الأموال الضرورية لبناء المدارس حيث يتلقى الكبار و الصغار المعارف الضرورية ....»[1].

و أول نادي ظهر بالأوراس كان نادي الإصلاح بمدينة باتنة الذي تأسس سنة 1935 ثم عرفت هذه النوادي انتشارا واسعا و شملت قرى صغيرة آنذاك مثل حيدوس، بوزينة، دوار شير تاغوست ، تفلفال ، منعة، غسيرة كل منها يحتضن ناديا ثقافيا حسب تعداد إدارة الاحتلال لهذه النوادي [2]

و قد نشطت هذه النوادي الثقافية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية و أدت أدوارها الثقافية حسب ظروفها المادية و البشرية ففي بوزينة مثلا أين كان الشيخ عمر دردور وهو عضو نشيط في جمعية العلماء يقوم بتنشيط نادي الإصلاح، نشاطا يكاد يضاهي نشاط نادي الإصلاح لمدينة باتنة ،الشيء الذي اقلق إدارة الاحتلال الفرنسي فسارعت إلى حله سنة 1937 و لكن ذلك لم يمنع الشيخ دردور من تأسيس ناديا ثقافيا أخر أطلق عليه اسم نادي الإرشاد[3].

أما من حيث التنظيم فيتألف النادي من مكتب و قاعة للاجتماعات و المحاضرات و تقديم الروايات و مكتبة و بيت أو مكان مجهز تقدم فيه المشروبات غير الكحولية و الشاي، و ميزانية النادي تتكون من الاشتراكات التي يدفعها أعضاؤه من التبرعات و من فوائد بيع المشروبات، و في أخر السنة تضبط المداخيل و المصاريف و يقوم رئيس مكتب النادي في جمعية عامة بتقديم التقرير عن الأنشطة و المصاريف طوال السنة ،و بعد خصم المصاريف يخصم جزء من الباقي لمساعدة المدارس التي تقع تحت إشراف الجمعية[4]و قد أحصت التقارير ستة عشر -16- ناديا هاما في الأوراس و هي : - نادي الشباب بحيدوس

- نادي الرشاد بأم الر خاء
- نادي الإصلاح بالنوادر
- نادي الاتحاد بأولاد عزوز

---

(1) تقرير حاكم أريس أرشيف اكس اوبروفنس 69G /7617

(2) Ali Merad : op,cit;p137.

(3) عمارهلال : أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995 ، ص 265.

(4)محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس، المرجع السابق، ص 249.

- نادي الإرشاد بآريس
- نادي التقدم بمنعة
- نادي الإصلاح بتاقوست
- نادي بتفلفال [1]

بالإضافة إلى هذا نجد ناديا في كل من« دوار لقرن بعين التوتة، جمورة، عين زعطوط، بوزينة، نادي الإصلاح باتنة، شير، غسيرة، مروانة(كرناي)......»،ان هذا الانتشار للنوادي في هذه المناطق يظهر دون أدنى شك حركية ثقافية وتربوية ملحوظة هذا من جانب ، ومن جانب آخر يظهر تحمس الأوراسيين للفكر والنشاط الاصلاحي والذي أخذ يسري في كل قرية ودشرة ومدينة فتشبعت الناشئة الجديدة بالفكر العربي الاصلاحي مما زادها تمسكا به ، بل أضحى الأوراس أكثر من أي وقت مضى مدافعا ومتحمسا للفكر العربي الاسلامي، وهذا ما اثار اعجاب بل تخوف المجموعة الأوروبية التي أضحت تحسب ألف حساب لهذا الجانب وراحت تضيق الخناق على هذه المراكز وتوصد أبواب من تتوجس منهم خيفة ، ليس هذا فحسب بل تزج في السجون قادتها ونشطائها ، و في الأرشيف الشخصي للشيخ الغسيري عثرنا على التقرير الذي رفعه إلى جمعية العلماء بقسنطينة حول سير الإصلاح في الأوراس سنة 1939 حيث أشار إلى انتشار هذه النوادي في قوله :« فأسس نادي بمنعة و ناديا بقرية النوادر و ناديا بقرية حيدوس و ناديا بقرية أم الرخاء و ناديا بمدينة أريس ... ولا يكاد يخلو دوار أو قرية من هذه النوادي »[2]
و مجمل القول أن نشاط شعبة العلماء في هذا المنحى كان كبيرا بحجم نشاطها في الميادين الأخرى كما أن هذه النوادي نفسها كانت يتردد عليها قيادات من الحركة الإصلاحية يقدمون فيها دروسا و محاضرات تهدف إلى تشجيع الشبان للحاق بهم في موكب الإصلاح من اجل الاستعداد أكثر من ذي قبل لتغيير الوضع القائم الذي فرضته السلطة الاستعمارية الفرنسية.[3]

تشييد المدارس الحرة :

تعتبر المدرسة الأم الثانية التي يتربى على يدها التلميذ و يتكون وفق نهجها و مبادئها لذلك كان العلماء أكثر تمسكا بإنشاء المدارس الحرة المستقلة البعيدة عن تأثير الإدارة الفرنسيةوهذا

(1محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس مرجع سابق، ص 249.
(2) تقرير للغسيري حول سير الإصلاح بالأوراس 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(3) أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة ج1،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1984 ،ص 87.

بمقتضى قانون 18 أكتوبر 1892* و عملوا لتحقيق هذه الغاية فكونوا في البداية جمعيات تربوية بداغوجية و عملوا على إقناع المسلمين الجزائريين بأنه من الواجب عليهم مساعدة هذه المدارس و إرسال أبنائهم إليها، كما حثوا الناس على الاهتمام باللغة العربية و الدفاع عنها باعتبارها لغة القران كما أن الفهم الصحيح لهذا الكتاب(القرآن) و هذا الدين لا يأتي إلا عن طريق الإلمام باللغة العربية الفصحى و الفهم العميق لمفرداتها و قواعدها و من هذا الباب اتخذ العلماء المسلمين منفذا لمخاطبةالأهالي قائلين :(من يبتعد عن اللغة العربية، فقد ابتعد عن عبادة الله و من يبتعد عن عبادة الله فسيلاقي عذابا شديدا) (1) و استهوى هذا الخطاب أفواجا كبيرة من التلامذة بالأوراس إلى مدارس جمعية العلماء التي كانت في مجملها تقريبا مدارس ابتدائية و التي تستغرق فيها الدراسة ثلاث سنوات على انه عادة في المرحلة الابتدائية تستغرق ست سنوات و تتكون هذه المرحلة من ثلاث أقسام :

-القسم التحضيري، القسم الابتدائي ، و القسم المتوسط ،على انه يكون مدة سنتان لكل قسم (2)

و الجدير بالمعرفة أن هذا النموذج من المدارس التابعة لجمعية ابن باديس فعرفت انتشار واسعا و تطورا كبيرا خلال الفترة الممتدة بين 1931 -1938 و هو ما يعكس الجهود الجبارة للإصلاحيين من جانب و من جانب أخر تبرز الإقبال الكبير الذي لاقته من الجزائريين آنذاك و إذا رجعنا بالحديث عن محتوى مناهج هذه المدارس فهي تقوم على ثلاثة أسس ممثلة في :

- تربية إسلامية متينة و منتظمة
- تعليم ابتدائي عربي
- مبادئ ابتدائية للمعارف الأولية

و يجدر بنا أن نشير أن التعليم الابتدائي في هذه المدارس كان مختلطا (ذكور و إناث) كما يسهر المعلمون بأنفسهم على توفير الأدوات و الوسائل اللازمة لسير العمل فيما يلجؤون للاستعانة

*-ينص قانون 18 اكتوبر 1892 الخاص بتنظيم التعليم الحر في فرنسا على ان الرخص تعطى لطالبيها و الحكومة لها المراقبة فقط .

(1) عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، ، دار الأمة للطباعة و النشر الجزائر ط1 ،2007، ص 79 .

(2) عبد الكريم بوصفصاف :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى مرجع سابق ،ص 79 .

أحيانا بمفتشي مدارس التربية والتعليم [1] و توضح الرسالة التي بعث بها الشيخ الصالح بن احمد الإمام بتحمامت (غسيرة) إلى الشيخ محمد الغسيري بقسنطينة عندما كان يشغل منصب المفتش العام و هذا بتاريخ 1942/10/23 يطلب منه أن يرسل إليه الأغلفة والأوراق حيث جاء في جزء من رسالته «.... و نرجو منكم أن ترسل لنا قطعة من الأغلفة و الكواغيط ......» وهذا يعكس الظروف الصعبة التي كان يشتغل فيها هؤلاء المعلمين.

و يعتمد المعلم في تحضير الدروس على العديد من الكتب في الأدب و النحو و الصرف و علوم الدين و غيرها و التي كانت تصل أو يأتي بها التجار من المشرق العربي لان بلاد المشرق في هذه الفترة كانت تزخر بمثل هذه الكتب التعليمية في حين كان الجزائريون يحرمون من هذا المعين من قبل الإدارة الاستعمارية التي كانت تصادر الكتب و النشريات خشية من وعي الجزائريين و ثورتهم عليها، و هذه العناوين والكتب مذكورة في خطاباتهم و مراسلاتهم على غرار الرسالة التي تلقاها الغسيري من احد أصدقائه المعلمين ببسكرة إذ يقول فيها «... لهذا اطلب من جزيل فضلكم أن ترسل لي وان لم يكن لديك أن تفتش في كتبي (في المخزنيين) على الزوزني في شرح المعلقات لأراجعها و أزيد في حفظها ما لم أكن حفظته في السابق ثم بعض الكتب الأدبية، و أرجو منك أن تسعى لي في كتاب أدباء العرب الجزء الأول و الثاني......»[2]

وواقع الحال انه بواسطة القران الكريم و التاريخ الإسلامي و التعليم الديني و الأخلاقي تمكن تلامذة الجمعية الأوراسين من اكتساب و معرفة حقائق العالم ، كما أن دروس المحادثة و اللغة و المطالعة و قواعد اللغة العربية اكسبهم التعبير و الإنشاء و مكنهم من التخاطب الصحيح بلسان عربي متين و بفضل دروس المشاهدة المدققة و دراسة التاريخ و الجغرافيا يدخلون إلى العالم المحيط بهم و هذا الأمر كله يدور في كنف الوطنية الصادقة و المقومات الشخصية العربية و الإسلامية مما اوجد لها طريق إلى الأوساط الأوراسية و مختلف مناطق الجزائر.

و بناءا على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة 1938 فان مدارس الجمعية قد بلغ في هذه العمالة و حدها 85 مدرسة تدار من قبل معلمين و مصلحين تضم 4047 تلميذا مسجلا [3] و هذا

(1) محمد الطاهر فضلاء:دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة و النشر الجزائر، ط1 1984 ص 35 .
(2) رسالة من احد المعلمين ببسكرة إلى الغسيري سنة 1943، الأرشيف الولائي قسنطينة.
(3) عبد الكريم بوصفصاف :جمعية العلماء و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، مرجع سابق، ص 101.

بالنسبة لأبنائهم غير أن هذا الرقم (14 مدرسة) و الذي أشارت إليه بعض التقارير و الأبحاث يتناول في الواقع جزء فقط من المدارس الحرة بمنطقة الأوراس لان هذه التقارير أهملت جزءا هاما منها

بفضل تفاني رجالات الحركة الإصلاحية الذين ركبوا الصعاب للوصول إلى هذه النتائج الباهرة. أما نصيب منطقة الأوراس في هذه المدارس التي فتحت و كان ما يربوا عن 14 مدرسة إصلاحية موزعة[1] في القرى و المداشر و التي بفضلها تغيرت النظرة الأهلية للتعليم و أهميته كمدرسة التربية و التعليم بباتنة و مدرسة عين التوتة و مدرسة النشىء الجديد و مدارس أخرى لم يتسنى لنا معرفتها، ومهما يكن فان منطقة الأوراس احتضنت عددا كبيرا من الكتاتيب و المدارس التابغة للجمعية و التي أصبحت منتشرة في اغلب القرى و الدواوير و هذا ما يؤكده التقرير الذي رفعه الشيخ الغسيري حول سير الإصلاح في الاوراس بتاريخ أوت 1939 بقوله« أما الكتاتيب القرآنية ففي غالب القرى موجودة و هي اليوم تسعى في تحسينها على النظام العصري »[2]

و يبدو أن هذا المظهر قد لاحظته السلطات الاستعمارية نفسها في الأوراس حيث جاء في تقرير حاكم الأوراس « يبدو من الضروري في هذا النص الإشارة إلى شيء ذو معنى مختلف سجل لصالح الحركة الإصلاحية و هي الرغبة في التعلم لدى "الشاوية" بالأوراس فان الجهود المبذولة من طرف ممثلي جمعية العلماء لإنشاء المدارس قد تكاتفت ليس فقط لدى أنصارهم بل كذلك لدى التقليدين فهذا أفق تقدم لا يمكن إنكار أهميته و يبدو من الأكيد أن تطور التعليم في الأوراس و في باقي الجزائر يشكل تهديدا حقيقيا للمحافظين البربريين في حالة اعتبار أن هؤلاء مثالا للركود و الجهل في غالب الأحيان»[3]

و قد تباينت الآراء حول العوامل التي ساعدت على هذا التطور الكبير الذي عرفته مدارس الجمعية في تلك الفترة و الذي يرى فيه المؤرخ الفرنسي شارل روبير اجرون أن هذا التزايد في المدارس و الكتاتيب الدينية يعود إلى عاملين أساسيين و هما تسامح الإدارة الفرنسية و مساعدة الأهالي، فيما يرجعه الباحث عبد الكريم بوصفصاف إلى الجهود التي بذلها العلماء، أما تسامح.

(1) عمارهلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص 144 .

(2) تقرير الغسيري حول سير الإصلاح في الأوراس 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة.

(3) تقرير حاكم أريس بعنوان مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس ،أرشيف اكسوبروفنس، 69G./7617 .

الإدارة الفرنسية فقد كان في نظره شكليا لان العلماء تعرضوا لمضايقات شديدة[1].

و صفوة القول فان الإصلاحيين الأوراسيين قاموا بجهود جبارة لفتح عدد معتبر من المدارس و تكوين الناشئة على النهج الباديسي آنذاك و تلقينها مبادئ متينة.

التدريس في المساجد:

رغم أن دور المسجد في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ظل مقتصرا على أداء فريضة الصلاة و جرد من الكثير من وظائفه خاصة الاجتماعية منها ،إلا أن جمعية العلماء المسلمين اتخذت منه وسيلة رئيسية لتبليغ أهدافها و حاولت أن ترد أليه دوره كاملا، فبالإضافة إلى كونه بيتا للعبادة و التعبد فقد تحول أيضا إلى مدرسة لمحاربة الجهل والأمية و مركزا لبث روح الإصلاح و توجيه المسلمين الجزائريين إلى عقيدتهم الإسلامية الصحيحة و إرشادهم إلى الطريق السوي الذي كان في الواقع منذ العهد الأول للإسلام.

و يمكن أن نتبين هذا الدور المتجدد الذي ربطته الجمعية بالمسجد من خلال إحدى مقالات الشيخ بن باديس على صفحات الشهاب سنة 1931 الذي قال « إذا كانت المدارس معمورة بدروس العلم فان العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على خط و أخر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة، بصيرة بالدين، فتكمن هي في نفوسها و لا تهمل - و قد عرفت العلم وذاقت حلاوته – تعليم أبنائنا- وهكذا ينشر العلم في الأمة و يكثر طلابه من أبنائها »[2]

و الحق أن العلماء لم يركزوا فقط على دور المساجد بل صوبوا جم اهتمامهم على نشرها في مختلف المناطق حتى أصبح هذا الانتشار الواسع و السريع للمساجد في البلاد يقلق الإدارة الاستعمارية، مما دفعها الى غلق بعضها و منع العلماء من إلقاء الدروس فيها و هو الشيء الذي زاد من تعنت المسلمين الجزائريين في هذا المنحى و الذي عبر عنه الشيخ الإبراهيمي بقوله « فثارت ثائرة الأمة و أنشأت بمالها بضعة و تسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى »[3] و مس هذا الانتشار الواسع للمساجد ربوع الأوراس فبالرغم من انه لا توجد لدينا إحصائيات رسمية لعدد مساجد المنطقة في تلك الفترة إلا أن التقارير و الوثائق التي تحصلنا

(1) عبد الكريم بوصفصاف،نقلا عن :
Ch,R ,Agron : les algerien musulman et les France ; p114.
(2)اعتمادا على ما جاء في الشهاب ،المجلد السابع ،الجزء الخامس، قسنطينة ماي 1931، ص 341.
(3)البشير الإبراهيمي، أثار البشير الإبراهيمي ج3 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981 ص 287

عليها تشير إلى عددها الكبير و منها تقرير الشيخ الغسيري سنة 1939 الذي جاء فيه «... و بنيت مساجد كثيرة منها مسجد غسيرة ذو طابقين هكذا ستكون السفلى بحول الله مدرسة علمية....»(1)
إذن فالحديث

لم يعد عن كميتها فقط بل أصبح يتناول شكلها و مدى إتقان بنائها و الواقع أن الجامع في قرى و أرياف الأوراس كان يخصص له أصحاب البر و الإحسان بناءا بعيدا عن السكنات و ينظر اليه الأهالي نظرة احترام و تقديس لأنه فيه يقرأ و يعلم القرآن الكريم ، و نعتقد أن التدريس بالمساجد في المنطقة الأوراسية كان قائما قبل قيام الحركة الإصلاحية و لكن العلماء واصلو عملهم التثقيفي في إطارها و منحوه دورا أكبر أين تبدأ الدروس عادة في أواخر الخريف بعد نهاية موسم الحرث و تتواصل طيلة فصل الشتاء و تنتهي مع بداية موسم الحصاد و العمل الفلاحي في أواخر فصل الربيع (2) و تشمل هذه الحلقات دروس التفسير و الحديث و الفقه و الوعظ و الإرشاد و فيما يلي نذكر بعض الشيوخ الذين كانوا يقومون بالتدريس في المساجد

الشيوخ	المساجد	الشيوخ	المساجد
عبد الرحمن زموري	مسجد حيدوس	لخضر الحنفي	الدشرة الحمراء
الطيب زموري	يعلى ثم الحجاج	الشباح شريف	لقصر تكوت
عمر بن علي دردور	لقصر حيدوس	الصادق رحمتني	مسجد تكوت
بلقاسم فرحي زياني	ثنية العابد	محمد لبكارة	مسجد بوعمار
محمد بن سي السعدي	شير و تازولت	أحمد الخالدي	مسجد النوادر
رمضان بن الشباح	أوغانيم ثم منعة	بلقاسم دردور	مدرونة
علي بن شكشوك مدور	مسجد ورقة	خير الدين ساعد	مسجد الثلاث
المولود الزريبي	الحجاج ثم باتنة	عباس عبابسة	مسجد أولاد عزوز
عمار عباس	مشونش ثم بسكرة	بلقاسم مختاري	شناورة
مدور الصالح بن مدور	مسجد تفلفال	بلقاسم ميهوبي	مسجد غوفي

(1)تقرير للغسيري حول سير الإصلاح بالأوراس 1939، الأرشيف الولائي بقسنطينة.
(2)محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس، مرجع سابق، ص 248.

في أفق الصراع مع الإدارة الاستعمارية :

رغم أن جمعية العلماء المسلمين كانت جمعية دينية و لا يوجد من اللوائح ما يصنفها في إطار العمل السياسي المباشر، إلا أنها كثيرا ما تجد نفسها أمام واقع أمر القرارات السياسية و الإدارية الفرنسية تخوض غمار الرد عليها في الأوساط الشعبية ،بل وجدت نفسها في كثير من الأوقات أمام الآمر المفروض للتصدي للمشاريع الاستعمارية التي تروج لها السلطات الفرنسية وتعمل على تمريرها و هذا الوضع ألفته شعبة العلماء بالأوراس في صراعها المرير مع الإدارة الاستعمارية ،وخير مثال على ذلك موقفها من التظاهرات التي حدثت في سوق الخريف بتسقيفين سنة 1937 م [(1)] و خلفت مجابهات بين المواطنين و حراس الغابات و الدرك أين أصدرت منشورا دعت فيه إلى أخذ الحيطة و الحذر من الشقاق و العداوة ،التي تزرعها السلطة الاستعمارية و دعت إلى العمل على إزالة الفرقة و نشر الأخوة و التمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية لتحقيق النهضة و استرجاع المجد .

و إن كان الخطاب السياسي ليس ظاهرا و معلنا من قبل المصلحين إلا أن الأحاديث الخاصة و بعيدا عن أنظار الإدارة الفرنسية كانت تتناول قضايا الأمة ، كما كانت الشعبة دائمة الحضور في مساندة المرشحين الذين تثق في نهجهم إلى خدمة مصالح الأهالي و هذا أثناء الانتخابات المحلية كانتخاب كبار جماعة الدوار (أمغار) أو انتخاب الجمعيات الفلاحية و تذكر الشهادات العمل الذي قام به بعض أعضاء الشعبة في التأثير على منتخبي دوار منعة و التصويت لابن عباس بلحسين و قائمته و هو من حزب البيان ضد أحد الموالين للحاكم مسكتيلي سنة 1937، فنجحت هذه القائمة بحضور الدكتور سعدان مما جعل المنطقة تعلوها الفرحة [(2)]

و بالإضافة إلى ذلك أدت الشعبة دورها بتكوين لجان إصلاح ذات البين التي تقوم بالصلح الفصل في القضايا دون مقابل، و في وقت قصير فأمسكت الناس عن المحاكم الفرنسية و أنقصت من دورها و امتصاصها لأموال المواطنين بتماطلها في النطق بالأحكام .

(1محمود الواعي وآخرون: تاريخ الأوراس، مرجع سابق ، ص 274.
(2المرجع نفسه : ص 251 .

و من هذا المنطلق شعرت الإدارة المحلية للاستعمار و أعوانه بهذه التحولات في الواقع الأوراسي من مظاهر الاشمئزاز و الكراهية التي كان يبديها الناس لهم و أخذت تضايق الحركة الإصلاحية التي لم يثنيها ذلك للقيام بنشاطاتها التي يجد فيها الناس متنفسا لهم ، و رغم أن هذا الوضع لم يكن حكرا على الأوراس و إنما أخذ طابعا وطنيا ، حتى بدأ يتضايق و يشعر به المستوطنون أنفسهم [1] منذ سنة 1921 حينما فتحوا تحقيقا تبنته نشرية (les annales africaines) مفاده " هل ستكون الجزائر في سنة 1950 فرنسية أم عربية ووصلت بعد عشر سنوات إلى خلاصة مفادها أن الموضوع لم يعد يتعلق باستمرار الاحتلال ، فقد تأكد أن احتلال الأذهان أمر مستحيل .

و من اجل الحد من نشاط الحركة الإصلاحية و تغلغلها في الأوراس عمد الاستعمار إلى محاصرتها بكل الوسائل و المتمثلة في :

- تجنيد القياد و العملاء و تفويض الحكام في المنطقة لمواجهة الوضع القائم .
- تشكيل فرق من القومية تضم اغلبها أفراد من خارج هذه المناطق للتمكن من السيطرة على الوضع بالتهديد و الترهيب و العنف.
- تزوير التقارير التي يرفعها القادة إلى الشرطة و الإدارة عن نشاط الشيوخ و تأويل ما يرد في الخطب و المحاضرات التي كانوا يلقونها في المساجد و النوادي كذريعة لإلقاء القبض عليهم بتهمة تحريض السكان على العصيان و عدم دفع الضرائب و شتم موظفي السلطة المحلية و مناهضة الوجود الفرنسي .
- تطبيق حاكم الأوراس (مسكتيلي ليون) 1933-1939 أساليب الاضطهاد والقهر و زرع التفرقة بين الأعراش.
- مبالغة هذا الحاكم في تطبيق قانون الأهالي (لاندجنيا) و تطبيق المراسيم كمرسوم ميشال الصادر في فيفري و قرار شوطان*والقرار الصادر في الجريدة الرسمية

---

(1) تركي رابح: الصراع بين جمعية العلماء و إدارة الاحتلال الفرنسي،مرجع سابق، ص196.

*- قرار شوطان: يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، وقانون 8 مارس 1938 عمل على تطبيق قانون 18 أكتوبر 1892 الخاص بتنظيم التعليم الحر في فرنسا و قد عممه إلى الجزائر و لكنه يعمل على تطبيق المادتين 47-48 اللتين تنصان على أن المدارس تكون فقط تحت مراقبة إدارة التعليم و تحت تفتيشها و لا علاقة له بجمع رخص التعليم.

في 08 مارس 1938.

- استعمال حراس الغابات لمضايقة الشعب
- إعطاء أوامر بالتصفية الجسدية لبعض الشيوخ كعمر دردور و الأمير صالحي و الغسيري و اضطهاد بعضهم كالشيخ عبد الواحد واحدي و احمد السرحاني بوضعهم تحت الإقامة الجبرية.
- إغلاق بعض المدارس الحرة و حل النوادي كنادي تاحمامت 1937 و نادي أريس و في هذا الصدد تذكر الشهادات بعض الاضطهادات كتحريض القايد أوراغ عمر بدوار وادي الأبيض على منع الشعبة الأوراسية من فتح النادي بأريس و أدى ذلك إلى الحادث الذي وقع بين القايد و احد المصلحين مما أسفر إلى ضربه بخنجر.(1)

و يمكن أن نبين جانبا من هذا الاضطهاد الذي مارسته السلطة الاستعمارية على شيوخ الإصلاح قي الأوراس من خلال قضية سجن الشيخ عمر دردور و التهم الموجهة إليه فقد كتب و كيل الدولة بباتنة تقريرا موجها إلى النائب العام في 7أكتوبر1937 ثم وجهه النائب العام إلى وزير العدل في الجزائر في 20ديسمبر1937 يقول فيه « بناءا على تقرير حاكم أريس فتحنا تحقيقا في الموضوع من طرف فرقة الدرك بتاريخ 4 أكتوبر 1937 وقد أسفر هذا التحقيق عما يلي : أن المسمى عمر دردور رئيس الشعبة المحلية للعلماء يقوم عبر دواوير المنطقة بعقد اجتماعات عامة يتلفظ أثناءها بعبارات عن السلطة الفرنسية (2)» حيث وجهت للشيخ عدة تهم كسب الحاكم و السلطة الفرنسية و التحريض على العصيان فألقى عليه القبض بتاريخ 19 أكتوبر 1937 و حكمت عليه المحكمة بأربعة أشهر سجن نافذة و غرمته ب 8000فرنك (3).

رغم أن هذه المحاكمات كان يسخر منها الحاكم و المكوم عليه على حد تعبير المحامي جاك فرجيس و التي يصف حالها بقوله " عندما يهيمن الأمن لا يبقى مكان للعدالة " و حين يحظر شاهد بأنه سيدلي بكامل الحقيقة و فاءا للقسم الذي أدلاه فان رئيس المحكمة ينذره ضد هكذا محاولة "انتبه للحقيقة " يقول له حيث يعلم أنها قابلة للانفجار و بالتالي فهو ينصح الشـــاهد بان

(1) محمود الواعي وآخرون: تاريخ الأوراس مرجع سابق ،ص 252 .
(2) المرجع نفسه، ص 256.
(3) رسالة تهنئة من جمعية العلماء للشيخ دردور بعد خروجه من السجن، الأرشيف الولائي قسنطينة.

يتعامل معها بكثير من الحيطة كما هو الحال مع مادة متفجرة و من جانبنا نحن المهتمين والشهود و الدفاع ، كنا نعلم ذلك لذا فإننا لم نتوقف عن هزها إلى أن تنفجر.[1]

رغم ذلك إلا أن سكان الأوراس التفوا حول شيوخهم ولم تستطع الإدارة الاستعمارية أن توقف مسار الإصلاح في المنطقة بل استمر نشاط العلماء و بقيت مراكزهم سواء المساجد آو النوادي آو المدارس مراكز إشعاعية تبث الروح الوطنية في الناس.

صدى الإصلاح في الأوراس :

تعكس المظاهر التي تطرقنا إليها آنفا التغلغل الكبير و السريع الذي لقيته الحركة الإصلاحية في الأوراس و مدى الالتفاف حولها بتأييد شيوخها و مساندتهم و يعد الموقف الذي أبداه اهل الأوراس الذين حضروا في جموع غفيرة اكتظت بهم شوارع باتنة يوم محاكمة الشيخ عمر دردور في لا 06 جانفي 1937 م [2] دليلا قاطعا على المكانة المرموقة التي كانوا يكنونها له و لجميع الشيوخ الإصلاحيين و تعبيرا صارخا عن التفافهم حول حركتهم من جهة و إعلانا عن القطيعة مع الساسة الاستعمارية من جهة أخرى .

و يمكن أن نلخص صدى الإصلاح في الأوراس من خلال التقرير الذي رفعه الشيخ الغسيري إلى جمعية العلماء بقسنطينة في أوت 1939 و الذي بين فيه النجاحات الكبيرة التي حققتها هذه الحركة في فترة وجيزة .والذي جاء فيه :

" ...هاهو نظام الحركة بالأوراس

لم يكن أحد يفكر أن جبال الأوراس الجاهلة المقيدة بأغلال الاستعمار و ظلم الولاة ستستفيق من نومها الطويل العميق في مدة وجيزة لا تتجاوز الثلاث سنوات .....يعتز بالقومية و يفخر بالعربية لغة الوحي المحمدي و الدين الإلهي السمح المفروض على خلقه.

لسريع الانقلاب و سريع التأثر بالروح الدينية الحقة و الوطنية الصادقة فليعلم شباب الجزائر إذن أنه لا حياة له إلا بحياة لغة الوحي و لا عزة له إلا إذا اعتز بقوميته و لا سعادة له الا برجوعه لدينه القويم ، فهذه جبال الأوراس قد علت فيها صرخات من أبنائها و كلهم من تلامذة الشيخ عبد الحميد

(1) جاك فرجيس :محاكمة الاستعمار، ترجمة الدكتور ميشال سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار الجزائر، 2007 ،ص 76 .
(2محمود الواعي وآخرون تاريخ الأوراس ، مرجع سابق ، ص253 .

بن باديس وتحسينها على النظام العصري كمكتب حيدوس فانه يضم بين جدرانه و ساحاته ما يقرب من ستين تلميذا صغيرا و غالبهم يحفظ القران الكريم هم اليوم يتناولون الدروس الابتدائية على رئيس شعبة جمعية العلماء و تلميذ الشيخ عبد الحميد الأخ عمر دردور و بنيت مساجد منها مسجد (غسيرة) ذو طبقتين ستكون السفلى بحول الله مدرسة علمية سيتولى التدريس فيها المقرئ الأخ عمار بن الجودي الذي كان السبب في بعث روح الإصلاح في غسيرة ، و عقدت شعبة جمعية العلماء في يوم الأربعاء أوت اجتماعا لم تشهد جبال الأوراس مثله حضره ما يقرب من خمسة آلاف مسلم من سائر نواحيه و الخارج و خطب فيه الخطباء و أنشدت فيه الأناشيد الوطنية و قرئت فيه الآيات القرآنية

على نظام هائل ، وفد من باتنة و غيرها وفود سأذكرهم لك عندما أعود مرة ثانية بالبحث عن الاجتماع و ما قيل فيه و كيف كان مكان الاجتماع قبل و إلى اللقاء "

خاتمة الفصل :

و من خلال العرض المقدم في الفصل خلصنا إلى مجموعة من النقاط نحصرها فيما يلي :

1-إن الحركة الإصلاحية التي قامت بالمشرق العربي كان لها امتداد إلى المغرب، و هذا الامتداد طال منطقة الأوراس، مما افشل المشاريع الاستعمارية في المنطقة بتكوين ناشئة كانت بمثابة الجيل الذي تشبع بالمبادئ الوطنية، و الثقافة الإسلامية ليعلن ثورة عن كل ما هو دخيل و استعماري.

2- إن امتداد الفكر الإصلاحي إلى منطقة الأوراس لم يأتي به أناس من خارج المنطقة و إنما الأوراسيون أنفسهم من تكون في المدرسة الإصلاحية الباديسية و نشروا هذا الفكر الإصلاحي بين ذويهم مما سهل من مهمة الانتشار و سرعتها .

3- عدم تزامن ظهور الفكر الإصلاحي في الأوراس مع الحركة الفكرية للمنطقة المجاورة اي قسنطينة، يعود أساسا إلى بعد نظر الشيخ ابن باديس الذي كان يدرك أكثر من غيره بان الأوراسي صعب المراس خاصة فيما يتعلق بثقافته و هويته المتوارثة مما جعله يمهد لذلك عن طريق استمالة و إقناع شيوخ بعض الزوايا للانضمام إلى نهجه الإصلاحي .

4- التغلغل الكبير للطريق الرحمانية في منطقة الأوراس و محافظة الأوراسي على الانتماء الطرقي سهل من التغلغل الفكري الإصلاحي الجديد ما دام يهدف إلى نفس ما تهدف الطرقية الصوفية و المتمثلة في المحافظة على الدين الإسلامي و اللغة العربية .

5- العمل الإصلاحي في الأوراس حقق نجاحات باهرة أحس و تضايق بها الأوروبي نفسه و هذا بسبب شموليته لمختلف الفئات و تعدد منابر العمل الإصلاحي من نوادي و مدارس و مساجد وأفواج كشفية.

6- إن جمعية العلماء و شعبتها الأوراسية بإيجادهم لجان صلح ذات البين، قطعوا صلة الأوراسيين بالمحاكم الفرنسية و بذلك بدأت القطيعة تتوسع إلى القطيعة الثقافية فالاقتصادية ثم السياسية بإعلان الثورة .

الفصل الرابع

دور الغســـيري في الحركة الاصلاحيـــــة .

دوره التعليمي في مدارس العلماء .

دوره في حركة الكشافة الاسلامية الجزائرية .

خاتمة الفصل

مقدمة الفصل

استعرضت في هذا الفصل دور الشيخ محمد الغسيري في الحركة الإصلاحية و ذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول و تعرضت في للغسيري المعلم في مدارس التربية و التعليم سواء بباتنة أو قسنطينة يجمع بين التعليم و الإدارة مرورا بتعينه مفتشا عاما لهذه المدارس على المستوى الوطني و إسهاماته في وضع قواعد التفتيش و انتهاء بدوره في لجنة التعليم العليا و محاولة توحيد المناهج و الجهود لتطوير المدرسة الإصلاحية.

و المبحث الثاني و خصصته للمسار الكشفي للغسيري بانخراطه في صفوف الكشافة الإسلامية ثم قائدا و مرشدا لفوج الإقبال و بعدها رئيسا للجامعة الكشفية المنقسمة و مرشدا وطنيا لها كما تعرضت للنشاطات الوطنية و الدولية التي قام بها الغسيري الكشاف.

دور الغسيري في الحركة الإصلاحية

بعد عرضنا للمراحل الأساسية لتكوين الشيخ الغسيري من خلال المحطات السابقة خليق بنا في هذا الفصل أن نتناول أهم إسهامات الشيخ الغسيري في المجال التعليمي و الكشفي، و انطلاقا من تكوين الشيخ الغسيري الثقافي أساسا فإننا سوف نعالج في هذا الفصل أثره و دوره الريادي في العديد من التنظيمات الثقافية التي أوجدتها الحركة الإصلاحية منذ تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 .

و قبل الخوض في تتبع نشاطاته المتعددة يجدر بنا هنا تسجيل أن دور الشيخ الغسيري في الحركة الإصلاحية يغلب عليه الجانب التنظيمي ببعث مؤسسات جديدة هدفها في المقام الأول إيصال فكر و فلسفة الحركة الإصلاحية سواء في منطقة الأوراس أو على المستوى الوطني في هذه الفترة بالذات.

كما نسجل أن هذا النشاط التنظيمي يتداخل أحيانا بالنشاط السياسي المدروس من قبل الغسييري على منوال نشاط الكبار مفكري الحركة الإصلاحية في الجزائر المستعمرة آنذاك، ورغم أن العمل الذي قام به الغسيري لم يكن يخص الأوراس فقط لكونه لو يستقر به المقام طويلا في هذه المنطقة إلا أن انطلاقة هذه المسيرة النضالية الطويلة التي نحن بصدد عرضها كانت في هذه الربوع.

دوره التعليمي في مدارس العلماء

يعتبر العمل الذي أدته جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها سنة 1931 برجالاتها و أبنائها و أنصارها في ميدان التعليم العربي الحر أهم انجازاتها على الإطلاق في نظر الباحثين بكونه المعهد الذي احتضن العروبة والوطنية الصادقة التي تبعث على قوة التنشئة للشعب و الأمة الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي[1] وقد عبر عن ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه بقوله« أن هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية و هي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل

(1) التليلي العجيلي: صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي (1876-1918)، دار الجنوب للنشر تونس، 2005 ، ص451 .

وروح وفكر وذهن و تقوية المقومات الاجتماعية من دين ولغة و فضائل وأخلاق، هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر»[(1)].

إن هذا الدور الفعال و الهدف النبيل ما كان لتبلغه أو تؤديه جمعية العلماء لولا التجنيد والعزم الذي تحلى به شيوخها و معلموها، وصبرهم عل المحن و تخطيهم للصعاب من أمثال العقبي و العربي التبسي و المبارك الميلي... و غيرهم.

و قد يبرز المسار الذي قضاه الشيخ الغسيري في خدمة مدارس التربية و التعليم الإسلامية جانبا من هذه الحقيقة بدءا بمدرسته الأولى في الأوراس.

فبعد أن تأسست شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأوراسية و على رأسها الشيخ عمر دردور و محمد الغسيري في سنة 1936 كان لا بد عليها أن تبدأ نشاطها التعليمي و بافتتاح مدرسة لها لتدريس التلاميذ و تلقينهم مبادئ القراءة و الكتابة على طريقتها الإصلاحية فأستأجرت دار فسيحة تطل على اكبر شارع من شوارع مدينة باتنة آنذاك ، و هو (جنوال فيدريب) رقم309 و حولتها إلى مدرسة أطلق عليها اسم مدرسة التربية و التعليم[(2)].

مدرسة التربية و التعليم بباتنة :

افتتح الغسيري و رفاقه هذه المدرسة سنة 1937 حيث كانت تشتمل على ثلاثة أقسام و إدارة وقسم لتعليم القرآن و عدة غرف صغيرة ، و تفيد بعض الوثائق و الشهادات أن هذا المولود الجديد لقي إقبالا كبيرا من طرف الأوراسيين ، حيث استقبلت المدرسة في عامها الأول ما يقارب مئة تلميذ مقسمة إلى ثلاثة أفواج [(3)] ،و في شهادة من قبل المعلم فضلاء الحسن الذي خلف الغسيري إلى جانب محمد العيد آل خليفة* يروي فيها قصة عودة الغسيري إلى الأوراس و افتتاحه لمدرسة التربية و التعليم فكانت أول مدرسة له في مسيرته التعليمية، لكن مدة إقامته لم

---

(1) البصائر: العدد 54 ، سلسلة 5، 10/25 /1948.

(2) محمد الحسن فضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر، المرجع السابق ،ص 93 .

(3)المرجع نفسه، ص 94.

* محمد العيد آل خليفة 1904 -1979 ولد في مدينة عين البيضاء وبها تلقى العلوم الأولى ثم انتقل الى بسكرة مع عائلته وهناك واصل دراسته وفي سنة 1921 انتقل الى تونس لاكمال دراسته ورجع سنة 1923 وانخرط في صف الاصلاح وكتب في العديد من الجرائد منها صدى الصحراء ، المنتقد والشهاب والاصلاح وأستدعي سنة 1927 الى العاصمة ، واصبح مدرسا ومديرا لمدرسة الشبيبة الاسلامية لمدة 12 سنة كما تولى رئاسة شعبة الجمعية بالعاصمة ، وفي سنة 1940 عاد الى باتنة واشرف على مدرسة التربية والتعليم الى غاية 1947 ثم انتقل الى عين مليلة وبقي بمدرستها الى غاية 1954 اين سجن ثم وضع تحت الاقامة الجبرية الى غاية الاستقلال .

تطل أكثر من ثلاثة أشهر و غادرها عائدا إلى قسنطينة بعد أن وصلته أخبار أن رفيقه الشيخ عمر دردور و لأسباب سياسية أوقف من قبل السلطات الاستعمارية .

و هكذا وجد الغسيري نفسه أمام تلاميذ منطقة الأوراس معلما و مديرا للمدرسة غير أن أوضاعا جديدة تطلبت منه تركها و أوكل المهمة إلى المعلم الحسن فضلاء بتاريخ 10أكتوبر1937 لإتمام الرسالة التعليمية التي سخروا لها جهدهم و فكرهم [1] .

و الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة كان قد قام في سنة 1938 بزيارة تفقدية إلى هذه المدرسة و تشير الشهادات التي عاصرت هذه الزيارة أن الشيخ ابن باديس استقبل استقبالا باهرا يليق بمكانته في قلوب التلاميذ و المدرسين على حد سواء و كان من بين مستقبليه من الأساتذة الشيخ الحسن فضلاء[2] و شاعر الحركة الإصلاحية محمد العيد آل خليفة الذي كان أستاذا بالمدرسة * .

مدرسة النشأ الجديد

إلى جانب مدرسة التربية و التعليم فقد عرفت منطقة الأوراس ميلاد مدرسة أخرى كان لها دورا بارزا في نشر التعليم الحر، رغم أهمية المدارس الأخرى التي سبقتها بالمنطقة و هي مدرسة النشأ الجديد بباتنة التي تم افتتاحها يوم 15 سبتمبر 1954 [3] .

و يظهر من اسمها أن العلماء كانوا يهدفون فيما يهدفون إليه إيجاد نشأ جديد تعول عليه الجزائر في الميدان التعليمي و ميادين أخرى، و لا غرو أن نقرأ في نصوص العلماء و في تصريحاتهم التركيز في المقام الأول على الناشئة القادمة التي سوف تحرر العقل و الفعل و المجتمع بتلقيها مبادئ العلم السليم ألم يقل المثل العربي المشهور" العقل السليم في الجسم السليم" فالعلماء اقتنعوا أن خير ذخيرة للجزائر الإسلامية المستقبلية هو تحضير ناشئة قادرة على تحمل المسؤولية للرفع من شأن الجزائر أمام الأجنبي أي الفرنسي .

---

(1)محمد الحسن فضلاء :المرجع السابق ، ص 21.

(2) المرجع نفسه ، ص 95 .

*تعاقب على المدرسة معلمون كالغسيري ، فضلاء ،محمد العيد ، السعيد البيباني ، أحمد الفروج ، العياشي الفردي ، محمد لعوبي، علي هلال ، محمد الصالح شيخي العربي قمقوم ، فاطمة بن فطوم وربيعة شيخي .

(3) المرجع نفسه ، ص99.

و مدرسة النشأ الجديد بهذا الاسم الذي اشتهرت به كانت قد بنيت من الأساس من تبرعات أهل البر و الإحسان فهم الذين جمعوا المال لشراء الأرض و بنائها على طراز المدارس الجديدة مضاف إليها سنحة من الطراز الإسلامي، و قد دشنت هذه المدرسة قبل شهر و نصف من اندلاع الثورة الجزائرية المباركة في غرة أول نوفمبر 1954 (1)

و حضر حفل تدشين المدرسة نخبة من قيادات الحركة الإصلاحية في الجزائر في مقدمتهم الشيخ أحمد توفيق المدني شيخ المؤرخين الجزائريين و الشيخ عبد اللطيف سلطاني و الشيخ محمد خير الدين .و قد ألقى الشاعر محمد العيد قصيدة مطولة بالمناسبة قال فيها :

حثتنا نحو باتنة المطايا * و جئناها نزف لها التحايا
و نهديها تهاني طيبات * تنم على عواطفنا شذايـــــا
بنيت لنشئك الميمون حصنا * يقيه الزاحفات من الدنايـــــا
و ينشئه أبيا يعربيـــــــا * حنفي العقائد و الطوايــــــــا
فيا أحرار باتنة استعدوا * لتذليل الصعاب من الثنايا (2)

و رغم أن الغسيري عاد إلى قسنطينة و أصبح معلما في مدرستها للتربية و التعليم إلا أن علاقته بالأوراس ظلت ضمن شعبة العلماء يعمل على افتتاح مثل هذه المدارس و يقدم النصائح و الإرشادات و يعد تقارير دورية حول سير عملية الإصلاح بها، و التي يرفعها إلى جمعية العلماء المسلمين .

و إلى جانب نشاطه التدريسي في كل من مدينة باتنة و قسنطينة فان الغسيري تبوأ مركزا ساميا في الميدان الثقافي و التعليمي في الجمعية الذي عينته سنة1946 مفتشا عاما * لمـــــدارس العلماء ** للعمالات الثلاث: الجزائر ، قسنطينة ، وهران .

(1) محمد الحسن فضلاء : المرجع السابق ،ص 100.
(2) البصائر: العدد 286، سبتمبر 1954 ، السنة2.
*- مهام المفتش العام تظهر في التنسيق بين المفتشين الجهويين و مدارس التعليم الحر و هذا لا يمنعه من زيارة المدارس و إعداد التقارير بدوره و هو ما يظهر من خلال رسائل الغسيري إلى أصدقائه.
**-عين بعده مفتشون جهويون وهم الأساتذة- الصادق حماني، محمد الصالح رمضان علي مرحوم، محمد بابا احمد، و عين الأستاذ إبراهيم مزهودي مفتشا عاما و قد التحق بجيش التحرير الوطني سنة 1957.

و ظل يؤدي رسالته في هذا الميدان لفترة غير قصيرة امتدت ما بين 1946و1949 هذا من جهة و من جهة أخرى فان الجمعية كانت بين الفينة و الأخرى تستنجد بالغسيري كمنقذ لنجدة المدارس حديثة الافتتاح و التكوين، و تلك المدارس التي أصبحت غير قادرة على أداء المهام البيداغوجية فكان مترجمنا يعين لفترة غير طويلة كمدير لمساعدة هذه المدرسة أو تلك على الاستمرار و الحياة و نورد هنا أمثلة على ذلك ، ففي سنة 1947[(1)] عين الغسيري لمدة لا تزيد عن شهرين كمدير لمدرسة البليدة و من البليدة انتقل ليعين كمدير لمدرسة (شاطودان) شلغوم العيد حاليا لمدة ستة أشهر حتى استقرت أمورها ثم حل لنفس المهمة و الرسالة بمدينة قسنطينة من جديد كمدير لمدرسة باردو خلال السنة الدراسية 1949 – 1950 ،و نظرا لحكمته و حلمه ألح عليه الشيخ الإبراهيمي رئيس الجمعية آنذاك أن يذهب إلى سكيكدة كمديرا لمدرسة الإرشاد في 2 أكتوبر 1950 حتى ينشر رسالة العلم الصحيح في هذه الربوع أين استقر به المقام لأكثر من أربعة سنوات و نصف[(2)]

وقبل التعرض للحديث عن مهمة التفتيش نسجل للغسيري سبقه في وضع المرتكزات العلمية التفتيشية التي تقوم على الخطوات التالية :

1- تقديم تقرير فصلي عن كل مدرسة على حدة يحتوي على ملاحظات دقيقة عن كل معلم بالمدرسة و طريقة تعليمه و تحصيل تلاميذه و سيرته و عن حالة التلاميذ من حيث النظافة و صحة المكان .

2- إحصاء حسنات المعلم و أغلاطه و هو يلقي الدرس أو في كراريس التلاميذ كل ذلك بطريقة كتابية غاية في الدقة و الكتمان و عدم إظهار اشمئزاز المفتش عن تصرفات المعلم و أخطائه ثم إرسال ذلك كله في ظرف مختوم إلى مكتب لجنة التعليم لتتولى بدورها تسجيل الأخطاء و إرسالها من جديد إلى المعلم و المدير بطريقة كتابية لتكون أثبت في نفس المعلم و أشد تأثيرا كي يتجنبها في المستقبل .

(1)محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ص22.
(2) محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس ، المرجع السابق ، ص 286 .

3- الوقوف على تطبيق البرامج و الكتب و الحصص و اللائحة الداخلية و دفاتر تسجيل التلاميذ و المناداة اليومية و أسباب تخلف التلاميذ و الاطلاع على كراسات الدروس اليومية و المداولة و أوراق إخبار الأولياء عن أسباب التخلف [1] .

4- إعداد تقرير عام عن المدارس يقدم إلى لجنة التعليم في بداية السنة الدراسية .

5- الاجتماع بمجلس المعلمين و الإطلاع على أحوالهم و السماع إلى مقترحاتهم و مطالبهم و تقديم ملاحظات فنية عامة لهم في صورة محادثة و مسامرة.

6- الاجتماع بالمجلس الإداري للجمعية المحلية و اطلاعه على صورة مجملة عن سير التعليم و تقدم المدرسة و اخذ ملاحظات منه و اخذ عنوان مركزه.

7- تقديم جدول بعدد التلاميذ ذكور وإناث كل على حدة و بعدد المعلمين و بيان الأجرة التي يتقاضونها شهريا

8- السؤال على إرسال الجمعية المحلية اشتراكها السنوي في مصاريف لجنة التعليم وتحريضها على إرساله بحضوره

9- تقديم كشف بعد إتمام التفتيش لجميع مصاريف الجولة إلى رئيس جمعية العلماء [2]

و للإشارة فانه يبدو في نظرنا إن هذه الأسس التي اجتهد االغسيري في وضعها لتنتظم عملية التفتيش و تفعيلها مستمدة من قانون التعليم الفرنسي الذي كان ساري المفعول آنذاك في المدارس الفرنسية مع إضافة نوع من الإضافات و التغيرات بما يتلائم مع أوضاع مدارس جمعية العلماء في تلك الفترة، وتبقى مسؤولية التفتيش التي كان مترجمنا أول من تولاها مسؤولية ثقيلة و شاقة مليئة بالتضحيات و الأتعاب ويمكن أن نبرز جانبا منها من خلال رسالة الغسيري من تيارت يوم 20 رمضان1363 ه إلى صديقه بن لعلى مسعود و التي جاء فيها «.... إنني بين غليزان وتيارت ومركزي بمستغانم.....و من هناك أتوجه إلى سيق ثم تلمسان ليدركني عيد الفطر عند الأستاذ البشير* الذي اقترح ذلك و من ثم أتوجه إليكم بقسنطينة إنشاء الله »[3].

---

(1) محمد الحسن فضلاء: نقلا عن رسالة مؤرخة في 26 جمادى الأولى 1370 الموافق، لـ 5 مارس 1951 مدير مدرسة الحديث بتلمسان، بإمضاء رئيس جمعية العلماء.

(2) محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق ، ص23 .

*- يقصد به الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كانت بيته تتحول في مثل هذه المناسبات إلى ملتقى أبناء الجمعية.

(3) رسالة من الغسيري إلى صديقه بن لعلى مسعود ،الأرشيف الولائي قسنطينة .

الغسيري و مؤتمر المعلمين الأحرار:

إن العمل الثقافي و التعليمي الذي أقبلت عليه جمعية العلماء كان يفتقد أحيانا إلى بعض التنظيمات و الترتيبات، شانه شان المنظومات التربوية الحديثة لذلك كان لزاما عليها أن تسعى من حين لأخر إلى استحداث بعض الهيئات التنظيمية أو التكوينية حتى يتسنى لها الاستمرار في مواصلة رسالتها الحضارية، و ان كانت هذه الطروحات و الأفكار تنبثق من وسط أجهزتها بغية تجاوز بعض الصعوبات التي تعترضهم بين الفئة و الأخرى، و كثيرا ما تعهد الجمعية إلى بعض أبناءها الذين ترى فيهم الأهلية للأمر. البحث في أصول المشاكل و طرح الحلول مع إثرائها بالآراء و المقترحات في جو من النقاش و الحوار البناء .

و من بين المبادرات التي عملت بها جمعية العلماء المسلمين عقد مؤتمر للمعلمين في مدارسها حيث كانت أول محاولة لعقد مؤتمر من هذا النوع سنة 1935* حين دعى الشيخ عبد الحميد بن باديس بعض الأساتذة لدراسة عدة مشاكل حسب سجل مؤتمر الجمعية و المتمثلة في قضايا التعليم المسجدي و المكتب و الدعوة و الإرشاد. [(1)]

أما أهم مؤتمر وطني للمعلمين الأحرار فقد اجمع الباحثون على المحاولة الثانية التي قامت بها جمعية العلماء و الذي انعقد في نادي الترقي يومي الأربعاء و الخميس على التوالي 16 – 17 رجب 1356ه الموافق ل 22-23 سبتمبر 1937 تحت رئاسة الشيخ بن باديس و الذي تليت فيه التقارير عن مختلف مناطق الجزائر[(2)] تعرضت إلى قضايا هامة كالأمية، التعليم المسجدي و المكتبي، الدعوة و الإرشاد و التعليم المدرسي.

كما حضر هذا المؤتمر خيرة أبناء الجمعية و مشايخها المحاضرين والمقررين و قد عين لجلسات هذا المؤتمر أربعة كتاب** و احدى عشر مقررا***.

و يظهر دور الغسيري في هذا المؤتمر بتعينه مقررا للجلسات كما أسندت إليه لجنة تلخيص

---

*- دعت إليه جريدة البصائر بعشرين يوما قبل انعقاده

(1)عائشة بوتريد:التعليم العربي الحر في الجزائر و مؤسساته من 1947الى 1962 قسنطينة نموذجا ،رسالة ماجستير نوقشت سنة 2004، بجامعة قسنطينة ،ص 219.

(2) سجل مؤتمر جمعية العلماء، المطبعة الإسلامية الجزائرية و مؤسساته من 1947 إلى 1962، قسنطينة ص 135.

**- وهم بعزيز بن عمر ، مصطفى حلوش، حمزة بكوشة، فرحات بن الدراجي.

***- و هم الغسيري، عمر بن البسكري، محمد بن العابد، عبد اللطيف القنطري، محمد أمقران، بلقاسم بن رواق، محمد قدور، البشير بن العربي، بلقاسم عمار، علي رحومة، محمد بن عزوز.

التقارير و توحيدها في تقرير واحد عن كل جلسة والذي يعرض للمناقشة من جديد، وكان في الأخير أن اجمع المؤتمرون على أن يكون ملخص التقارير أساسا لبرنامج التعليم الذي تكفل المجلس الإداري بفحصه و توزيعه [(1)].

و إن كنت قد أوردت هذا الدور للشيخ الغسيري فذالك انه كان محل ثقة كبيرة لأعضاء الجمعية الذين كانوا يرون فيه أهلية كبيرة لمعالجة مثل هذه الأفكار وصياغتها في إطارها الصحيح فكان بمثابة صاحب الاختصاص الذي تكون في المدارس الكبيرة بل تتخذه أحيانا منظرا لنهجها التعليمي و هو الشيء الذي اكسبه دورا كبيرا فأصبح شخصية مهمة و دائمة الحضور في مثل هذه المؤتمرات مثل المؤتمر الثالث الذي دعي إليه الشيخ البشير الإبراهيمي و الذي انعقد بمركز جمعية العلماء بمدينة الجزائر في 1 سبتمبر 1946* و الذي دام ستة أيام ونوقشت فيه قضايا تعليمية و تربوية و مشاكل المدارس العربية الحرة المغلقة بعمالة قسنطينة عندما أصدرت فرنسا قانون 08 مارس 1938 و المعروف باسم قانون شوطان وزير الداخلية الفرنسي، الذي ينص على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر يحرم تعلمها وتعليمها بالإضافة إلى الصرامة في تطبيق قانوني 18 أكتوبر 1892 – 1933، بالإضافة إلى القرارات الصادرة آنذاك المناهضة و المعرقلة للتعليم العربي الحر** [(2)].

و جاءت محاولات أخرى لعقد مؤتمر رابع ألا انه اقتصر على مدراء مدارس الجمعية على مستويات جهوية في ماي 1952 و هو يعكس الحرص الكبير للعلماء على تفعيل و إنجاح منظومتها التعليمية.

و صفوة القول أن للغسيري دور لا ينكره إلا ناكر جحود في اجتهاده و محاولاته المتكررة و إسهاماته الفعالة للارتقاء بالعملية التعليمية في مدارس العلماء حتى تلتحق على الأقل بركب المدارس الجديدة آنذاك سواء في بلاد المغرب (تونس) أو المشرق العربي.

---

(1) محمد حسن الفضلاء: المرجع السابق، ص 14.

*ويظهر الغسيري في صورة التقطت يوم 3 سبتمبر1948 على سطح دار الجمعية يتوسط الجمع و على يمينه الشيوخ العيد صالحي، العربي التبسي و البشير الإبراهيمي.

**- فقد أمر المتصرف الاداري للأوراس بإغلاق جميع الكتاتيب القرآنية و نفذ ذلك حراس الدواوير فأصبح الأوراس الذي يضم ما يزيد عن 60 ألف من السكان لا يوجد فيه مكتب مفتوح للتعليم، انظر البصائر، عدد 128، السنة الثالثة،26 أغسطس 1938، ص1.

(2) تركي رابح : الصراع بين جمعية العلماء و إدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 196.

الغسيري و تأسيس لجنة التعليم العليا

لقد تواصلت الجهود التي تطرقنا إليها أنفا و التي بذلتها جمعية العلماء من اجل تطوير مستويات مدارسها التعليمية و مسايرة مجريات الأمور في المدارس بالمشرق أو المغرب العربي ووضع تنظيمات تكسب احترام الجزائريين آنذاك في ظل تواجد المدارس الفرنسية في الجوار و التي تمتاز بالتنظيم الأكاديمي المحكم و البرامج المركزة إضافة إلى تنويع و ترتيب هياكلها.

و قد قرر المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جلسته المنعقدة بقسنطينة يوم 13 سبتمبر 1948 تشكيل لجنة خاصة بالتعليم تسمى (لجنة التعليم العليا) و منحت لها العديد من الصلاحيات [1] مثل:

1- وضع البرامج التعليمية
2- صياغة اللوائح التنظيمية
3- إعداد جداول عملية وتنظيمية
4- مراقبة تنفيذ البرامج و التعليمات
5- القيام بدورات تفتيشية
6- مراسلة المعلمين ومدراء المدارس في الشؤون التعليمية
7- تعيين ونقل المعلمين و المدراء بين المدارس مع مراجعة الجمعية في المسائل و الأمور الهامة .

أما في ما يخص عضوية اللجنة فقد تشكل المجلس الإداري للجمعية من عضوين إداريين هما الأستاذان العباس بن الشيخ الحسين و عبد القادر الياجوري و إحدى عشر (11) عضوا من قدماء المعلمين و هم (محمد الغسيري، إسماعيل العربي، أبو بكر الأغواطي، محمد الصالح رمضان، احمد حماني ،علي مرحوم، احمد رضا حوحو، الصادق حماني ، أحمد بن ذياب ، الجيلالي الفاسي، ومحمد بابا أحمد) [2].

(1) البصائر :العدد54 ، سلسلة 25،5 /10 / 1948 .
(2) محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق ، ص 18 .

و قد انبثق من هؤلاء الأعضاء مكتب دائم يتولى الإشراف على ما تقدم ذكره و كان مقره مركز جمعية العلماء بالجزائر العاصمة آنذاك و هو يتألف من إسماعيل العربي رئيسا و كل من محمد الغسيري وأبو بكر الأغواطي عضوان، و يعمل هذا المكتب على إجراء جميع الاتصالات بالمدارس و الجمعيات و المدراء و المعلمين و نشر البلاغات الخاصة بالتعليم كما تجتمع اللجنة كاملة مرتين في السنة بمقر جمعية العلماء قبيل افتتاح السنة الدراسية و أخرى بعد انتهاء الموسم الدراسي و الامتحانات السنوية و يجدد هذا المكتب التنفيذي سنويا.

و يبدوا أن استحداث جمعية العلماء لمثل هذه الهيئة كانت تهدف من وراءه إلى الحرص على وحدة البرامج التدريسية و الرفع من المستوى التعليمي في كافة مدارسها بالإضافة إلى توظيف خبرة قدماء معلميها لخدمة الجيل الجديد من المعلمين و مساعدتهم على تخطي الصعاب التي تعترض مسارهم و جهودهم المتواصلة في إنقاذ اللسان العربي و الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري[1].

لقد اجتمع المجلس الإداري لجمعية العلماء في مدينة قسنطينة يوم 27ديسمبر 1949 حيث تم تجديد المكتب مثلما جرت العادة ،و عين أعضاؤه الجدد من المشايخ أحمد سحنون، وباعزيز بن عمر، أحمد بوزيد قصيبة، و محمد الطاهر بكاري و لم يكن حضور الغسيري في هذا المكتب بسبب انشغاله بإدارة مدرسة الإرشاد بسكيكدة، كما اجتمعت لجنة التعليم تحت إشراف الجمعية في العاصمة يوم 14 سبتمبر 1950 ودام اجتماعها ستة أيام و تقرر في هذا الاجتماع الأخذ بنظام الأمانة العامة بدلا من نظام الرئاسة كما انتخبت المجلس الجديد بالإجماع من الشيوخ باعزيز بن عمر كاتبا عاما و محمد الصالح رمضان نائبا عن عمالة وهران في حين انتخب الشيخ الصادق حماني نائبا عن عمالة قسنطينة [2] و نشير إلى أن هذا المكتب قد تم تحويله إلى قسنطينة سنة 1951 ثم عاد إلى العاصمة سنة 1955.

و صفوة القول أن علماء الجزائر بإيجادهم لهذه المؤسسات يؤكدون مرة أخرى أنهم فريق متفتح على الحداثة في رؤاهم لمتطلبات الجزائري المسلم و المدرسة الإصلاحية ،و هكذا يردون على النظرية الاستعمارية بان أصحاب الثقافة الشرقية أي العربية متعصبون و متخلفون في فكرهم و رؤاهم للطروحات الجديدة.

(1) محمد الحسن فضلاء :المرجع السابق ، ص 19.
(2) المرجع نفسه ، ص 22.

و بهذه المؤسسات الجديدة استطاعت الجمعية أن تتقدم بخطى ثابتة في إخراج بني جلدتها من التخلف و التقوقع و الانحطاط .

و لا غرو أن نجد منظري و أساطين الاستعمار الفرنسي في الجزائر يحذرون من خطر استمرار جمعية العلماء المسلمين في نشاطها المعادي ، هذه الجمعية التي كانت بحق شوكة في حلق الاستعمار الفرنسي في الجزائر، و هذا الدور طعمته هذه الاجتماعات التقويمية لمساعيها في رفع مستوى التعليم العربي من جانب ،و من جانب آخر الوقوف عند احتياجات المؤسسات التعليمية الحرة .

و الحق أن هذه الحركة استفادت و لاشك من الطروحات و المؤسسات الفرنسية المعاصرة لها ، فأرادت أن ترتقي بالتعليم العربي الحر إلى صف التعليم الرسمي الكولونيالي .،كما يظهر لنا ذلك أن منظري الحركة الإصلاحية في الجزائر بلغوا درجة معتبرة في إدراك حقيقة حاجات الجزائر الإسلامية الجديدة.

دوره في حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية

تعددت المجالات التي خاضها الشيخ الغسيري في مسيرته الإصلاحية على سنة أئمة و شيوخ الجمعية في تلك الفترة. كما تباينت اجتهاداته بين مختلف الميادين و تعتبر الحركة الكشفية مجالا أخر كان للغسيري فيه حضور متميز و نشاط حثيث ترك عليه بصمات بارزة و ساهم في وضع الكثير من الترتيبات و القواعد التنظيمية له حتى أصبح رائدا في المدن و الحواضر الكبرى بالجزائر.

و تعود أصول الوجود الكشفي الجزائري إلى الحركة الكشفية العالمية التي كانت موجودة قبل مجيء جمعية العلماء التي أسست للكشافة الإسلامية الجزائرية، حيث كان النشاط الكشفي الفرنسي تحت رعاية و تسيير الآباء البيض الكاثوليك و المتشبعين بالفكر الكاثوليكي أو من الاتحاديين و اليهود و اللائكيين[(1)] والذي جاء به لا فيجري مع الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830.

---

(1) عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة ،ج ،1 دار البعث قسنطينة، 1991، ص 151.

كما يعتبر العمل الكشفي الإسلامي المستوحى من الحركة الكشفية الدولية من جهة و الراعي للمتطلبات الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، احد الميادين الهامة التي ركزت عليها الحركة الإصلاحية جهودها لتحقيق مراميها و توسيع نفوذها و التمكن من أداء رسالتها الحضارية على أكمل قدر ممكن.، هذا المنحى الذي راود محمد بوراس* أبو الكشافة الجزائرية عندما انشأ أول فوج كشفي جزائري بمليانة سنة 1930 وأطلق عليه اسم "الخلود". و ببروز العلماء و إنشائهم لجمعية الفتية سنة 1931 أرادت هذه الأخيرة أن تساهم و تنشط العمل الكشفي ذو الفائدة العظيمة بالنسبة للناشئة، وأخذت على عاتقها تأسيس أول فوج كشفي على مبادئها و هو فوج الفلاح سنة 1935 [1] بمدينة الجزائر العاصمة حيث مقر الحكومة العامة الفرنسـية و نادي الترقي هذا السرح الثقافي الذي عرف ميلاد جمعية العلماء و الأفواج الكشفية الأولى التي سوف يكون لها الفضل في نشر فكرة و أهمية العمل الكشفي في الوسط الجزائري المسلم، فبعد تأسيس فوج الفلاح تأسست جمعيات و أفواج أخرى في مدن فسنطينة ،مليانة، وهران ، تلمسان ،سطيف، و باتنة حيث لقيت هذه الحركة مكانة معتبرة لدى النخبة الجزائرية المثقفة سواء ثقافة فرنسية أو ثقافة شرقية عربية بقدر ما كان المجتمع يكن لمسيريها و منشطيها كل التقدير و الاحترام .

و حقا نعتقد أن هذه الحركة ساهمت مساهمة معتبرة في إخراج أبناء الأهالي من حالة الركود و الحياة الهامشية كما كانت متنفسا لهم لإبراز قدراتهم العقلية و البدنية و أصبحت كل عائلة تتطلع لإرسال أبنائها إلى هذه التنظيمات الجديدة على المجتمع الجزائري المسلم ،حيث يتلقى الكشفي

معلومات أساسية حول الإسعافات الأولية في حالات الطوارئ كالحريق أو حوادث المرور ، و تهذيب الأخلاق في المعاملات [2] و غيرها ، فدور الكشافة في حد ذاته و نشاطاتها تهدف إلى :

- المساهمة في وضع لبنات المجهود الاجتماعي الضخم الكفيل بتمكين الجزائر من تبوأ

* ولد محمد بوراس سنة 1908 بمدينة مليانة ولاية عين الدفلى حاليا و قد نشأ و تربى بمسقط رأسه و تعلم في الكتاتيب القرآنية و المدرسة الابتدائية الفرنسية و عندما أرغم كبقية الجزائريين من طرف الاستعمار على ترك مقاعد الدراسة انخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا و انشأ أول فوج كشفي جزائري سنة 1930بمليانة كما شكا الجامعة الكشفية الإسلامية اتهمته السلطات الاستعمارية بالتعاون مع الألمان أثناء ح ع II و حكمت عليه بالإعدام نفذ فيه في شهر ماي 1941 انظر مجلة المجاهد ، العدد 1400،جوان 1987.

(1) أبو عمران الشيخ و محمد جيجلي: الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955 ،دار الأمة، ط1 ،1999، ص13.

(2) المرجع نفسه ، ص 25.

- المكانة التي تليق بها بين شعوب القرن العشرين .
- العمل على جعل شباب المستقبل مواطنين نشطين سعداء .
- الوعي بالمشاكل التي تهم البلاد و التي لها صلة بتطورها و تحررها .
- توسيع مجال الحركة إلى أقصى ما يمكن .
- تنمية روابط الصداقة و الأخوة التي تجمع بين مكوناتها الإسلامية و جعلها أكثر فعالية .
- دعوة جميع الإرادات الطيبة للعمل جنبا إلى جنب
- السعي فيما تريد و ما تستطيع فعله بوجه واقعي [1]

و لتحقيق هذه المرامي النبيلة عمدت الحركة الكشفية في الجزائر إلى اعتماد التنظيم الكشفي المعروف حيث يسيرها مجلس إداري يتألف من شخصيات بارزة أما النشاط التثقيفي فيفوض لقائد الفوج أو القائد المحلي الذي يضم إليه مساعدا و قادة للأشبال و الفتيان و الجوالة وفقا لنظام (بادن باول) * و الأشبال مقسمون إلى مجموعات من ستة أفراد أما الفتيان فموزعون على دوريات والجوالة مقسمون إلى فرق و يجري النشاط في محلات خاصة أو أماكن طبيعية حيث المخيمات [2] أما في الأوراس فكان أول ظهور للحركة الكشفية سنة 1937 بإنشاء أول فوج كشفي لها و يذكر أبو عمران الشيخ أن أول فوج كشفي بهذه المنطقة كان مقترنا بتدشين المدرسة الإصلاحية مدرسة التربية و التعليم بباتنة على يد الشيخ محمد الغسيري و رفاقه مثل عمر دردور و غيرهم ,كما يعتبر هذا الوجود الكشفي بالأوراس من بين أولى الأفواج الكشفية الإسلامية [3] التي تأسست في الفترة ما بين 1935- 1939بالجزائر اين كانت الكشافة الإسلامية تؤسس بقانون الجمعيات المحلية التي يسري عليها قانون 1901.

و شهد هذا الفوج نشاطا متميزا سرعان ما ظهر على شاكلته أفواجا أخرى عمت قرى و مداشر الأوراس حيث ينظم خرجات ميدانية إلى فحوص المدينة و الغابات بهدف تربية النشا على تحمل

(1) رسالة الغسيري إلى قائد فوج وادي الزناتي الأرشيف الولائي قسنطينة
* بادن باول 1857-1941 جنرال انجليزي مؤسس الكشافة العالمية كتب كتاب الكشافون (eclaireures) الذي نشره سنة 1908.
(2) أبو عمران الشيخ و محمد جيجلي: المرجع السابق ص 89
(3) المرجع نفسه، ص 13.

مشاق الحياة و مواجهة طوارئ النجدة الأولية ومختلف الأناشيد الوطنية و الأخلاقية...

و استمرت علاقة الغسيري المولع بالعمل الكشفي قرابة سنة كاملة مع فوج الأوراس و الذي كان يرى فيه مجالا مفتوحا لإظهار قدراته الفكرية و التنظيمية.

وبما أن مترجمنا لم يأخذ وقتا طويلا في الأوراس و غادرها إلى قسنطينة التي شهدت الحركة الكشفية بدورها من خلال تأسيس أقدم فوج بها و هو الرجاء الذي يرأسه شرفيا الشيخ بن باديس و تكونت الكثير من الأفواج كفوج الصباح، و سرب ابن باديس و فرقة صلاح الدين و فريق عقبة الذي نشطه رواق عمار .

وفي أواخر عام 1939 تكون فوج الإقبال بقيادة عبد الكريم منيع الذي أصبح مرشده أستاذ مدرسة التربية و التعليم محمد الغسيري [(1)] حيث بدا تسير العملية و الأنشطة في الحركة الكشفية أين نجده يرتقي في المراتب من عضو إلى مرشد إلى رئيس للجامعة الكشفية.

و عمل الكشاف محمد الغسيري بكل ما أوتي من قدرة على غرس المبادئ الوطنية و الأفاق الحميدة في نفوس النشا و اظهر جهودا جبارة لا تقل عن مساعيه في التربية و التعليم ، الشيء الذي حمله أن يصبح سنة 1943 مرشدا وطنيا يسعى في تفعيل دور الكشافة و تأطيرها .

و يمكن أن نلمس نباهة الغسيري و حكمته في التعامل مع المرشدين و أخذه للأمور على محمل الجد ، من خلال الرسالة التي وجهها إليه مرشد وادي الزناتي في 5 جانفي 1945 حيث يقول في نص رسالته «.... إن الذي لم أكن أتوقعه هو استعظامكم لقسوتنا على المرشدين...»[(2)] فالنص يبرز استلطاف هذا المرشد بعد العتاب الشديد الذي وجه إليه من طرف المرشد الوطني بسبب القسوة على المرشدين كما كان الغسيري يكلف المرشدين بالكتابة في المواضيع الحساسة ويحثهم على العمل و الثقافة و العلم ، وهو الأمر الذي تلخصه الرسالة التي وردت إليه من احد المرشدين بالعاصمة و التي يخبره فيها عن اهتمامه ببعض القضايا بقوله «....سأحاول الكتابة بعون الله في الموضوعين الأولين الإسلام و العربية....»[(3)].

---

(1) أبو عمران الشيخ ومحمد جيجلي :المرجع السابق ، ص 159.

(2) رسالة مرشد وادي الزناتي إلى الغسيري ، الأرشيف الولائي قسنطينة.

(3) رسالة من أحد المرشدين بالعاصمة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

و انصبت اهتمامات الغسيري على العمل الكشفي بالتنسيق مع كل المرشدين و الأفواج و تبليغ القرارات التي يخرج بها المجلس الجامعي الكشفي ، بالإضافة إلى مسائل و أمور كثيرة يحث عليها و يقدم فيها يد العون و المساعدة عند الحاجة ، و تبين الرسالة التي وردت إليه من مرشد الأغواط احمد بن أبي زيد الأغواطي جانب من هذه الجهود بقوله :«فوجدت بعض الإهمال لما يتعلق بوظيفتنا نحن معشر المرشدين أو الشيوخ خصوصا وبعض المديرين للحركة من غيرنا لا يعطون كبير الاعتناء و لا أهمية للمسائل الفكرية و الروحية و بالأخص العربية لغتنا العزيزة... راجيا منكم بذل مجهودكم لتعينونا على إصلاح بعض الأناشيد و على ترجمة بعض الأوامر الرياضية إلى اللغة العربية »[1].

كما كتب إليه الشيخ علي مرحوم مرشد فوج الرجاء ببسكرة في رسالة بتاريخ 4 ماي 1942 يلتمس منه اطلاعه على مسائل الكشافة بقوله :« بصفتي مرشدا معينا للكشافة التمس من حضرتكم بصفة مؤكدة وبناءا على نفوذكم الذي تخوله لكم الصفة الإرشادية أيضا للكشافة الإسلامية هناك أن تساعدوا الأخ مراوي على الاتصال بالأشخاص البارزين في الخدمة الكشفية عندكم ، و ربط العلائق معهم على قاعدة الاتحاد في الفكرة و المشاركة المعنوية في جميع الحركات و تمكنه من الاطلاع على جميع الأعمال المهمة التي تهمنا معرفتها و أن نأخذ منها و ارجوا أن تعلم أننا قد اخترنا قائدا لفوجنا هنا ...»[2].

و إن كنا قد أوردنا هذه النصوص فإننا نريد أن نعكس صورة المهام التي كان الغسيري مضطلع بها بصفته مرشدا وطنيا ،و هو الأمر الذي يؤهله فيما بعد لرئاسة الجامعة الكشفية خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الجهود كانت في ظل تواجد الإدارة الفرنسية التي كانت يدها تطول قادة و قيادات الحركة الكشفية ونشاطاتها، وبالرغم أن هذه الحركة كانت قانونية النشأة و النشاط فكثيرا ما يتعرض القادة الكشفيين للمضايقة أينما حلوا ورحلوا بل لا نبالغ إذا قلنا أنها كانت لتسلط عليهم عيونها لتراقب حركاتهم و سكناتهم، لأنها ببساطة تدرك أن الكشفي عضو نشط في مجتمعه و قريب جدا من الاطلاع على تجاوزات الإدارة الفرنسية و أعوانها، و رغم المحاولات

(1) رسالة من أحمد بن أبي زيد الأغواطي إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(2) رسالة من علي مرحوم مرشد فوج الرجاء ببسكرة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

المتكررة لعرقلة هذا النشاط [1] و بشهادة مناضليها القدماء أمثال محمد بوراس أين كانوا يتحدون هذه الإدارة و عجرفتها و تسلطها فيصدونها بالصوت المرتفع ليسمع العالم الكشفي في أنحاء الأرض عن ظلم الفرنسيين للمسلمين الجزائريين، و باعتبار أن الحركة الكشفية سواء على المستوى الإقليمي أو القطري تنشط ضمن حركة عالمية فان الإدارة الفرنسية كانت تخشى اتصالات قادتها بالكشفيين في العالم واسماع صوت الجزائري المضطهد في أرضه لأنحاء المعمورة ، لكي يجد آذانا صاغية ويكسب عطف وود الشقيق والصديق ، مما يؤلب الرأي العام على الموقف الفرنسي .

الغسيري وانقسام الجامعة الكشفية :

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و أحداث 8 ماي 1945 وما ترتب عنها من أحداث تركت بصماتها على تاريخ الجزائر ابان هذه الفترة الدامية ، من سقوط الآلاف من الجزائريين في ساحات القتال الأوروبية دفاعا عن فرنسا ، هذه الآخيرة التي كافأتهم بإبادة الآلاف من أبناء جلدتهم ،وفي خضم هذه الأحداث كان الاستشهاد الملفت للزعيم الأول للحركة الكشفية الجزائرية وهو قائد و مؤسس الكشافة الإسلامية الجزائرية محمد بوراس، فبدأت الخلافات تدب في وسط الجامعة الكشفية التي أنشأت سنة 1936 على غرار جامعات الكشافة الكاثوليكية و البروتستانية و اليهودية و كان حالها حال بعض الحركات الوطنية آنذاك على غرار الانقسام الذي وقع في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و الشقاق بين المصاليين و المركزين.

لقد تأزمت الأوضاع وانقسمت جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى جامعتين و الذي يرجعه الباحثون و شهادات المعاصرين بسبب تدخل السياسة الحزبية فيها و بالتالي أدت إلى انبثاق جامعة متحزبة قائدها العام عمر الأغا ومرشدها العام (محمود بوزوزو) (SMA) و جامعة غير متحزبة (BSMA) قائدها العام الطاهر التجيني و مرشدها العام (محمد الغسيري)[2] و قد عمل الغسيري في حفظ موقف الكشافة الإسلامية الجزائرية و علاقتها المحايدة بالأحزاب السياسية في الجزائر آنذاك و رغم الاختلاف الكبير الذي شق الجامعة إلا أن مساعي مترجمنا و رفاقه لا يمكن نكرانها من اجل لم الشمل من جديد حيث انعقدت العديد من المؤتمرات لتوحيد

(1) يسلي مقران: الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل(1920-1945)، دار الأمل الجزائر، 2006 ص 209 .

(1) عمار قليل :ملحمة الجزائر الجديدة ، المرجع السابق، ص 153.

الكشافة كمؤتمر سطيف 1950[1] ،وواصل الغسيري جهوده الحثيثة و لم ينل منه اليأس و ترتب موقفه عندما كان يشتغل مدير مدرسة الإرشاد بسكيكدة عن تنظيم اجتماع سكيكدة في أوت 1952 في المخيم الكشفي للشرق الجزائري و الذي دام 10 أيام حيث اشرف عليه و دعى فيه إلى توجيه الكشافة من جديد لان الكشافة متعلقة بالوطن و المطالب الوطنية و هي العلاقة التي تربطها بكل الأحزاب فهي لا تعادي أي حزب، و هذا ما أكدته في جمعيتها العامة التي أبقت على إرادة القادة كآراء شخصية تلزمهم فهي تدعوا إلى الوحدة بين كل الجزائريين و تطلب الدعم من الأحزاب السياسية في بعض الأحيان[2] عندما تكون الحاجة لذلك و تتخذ معها مواقف موحدة كما تشركها في اجتماعات خاصة بمنظمات الشباب مثل المشاركة في الجبهة الوطنية للشبيبة الجزائرية التي أنشأت سنة 1952.

أما شارل روبير اجرون فقد كانت له قراءة أخرى لهذا الاختلاف معبرا عنه بقوله « اهتمت جمعية العلماء المسلمين اهتماما كبيرا بحركة الفتيان الكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA) و التي دفعت سرا تأسيسها في 1948 ضد الكشافة الإسلامية الجزائرية المسيسة للغاية على هواها و كان من بين أعضاء مجلس إدارة (BSMA) الشيخ البشير الإبراهيمي، مالك بن نبي و الشيخ الغسيري هذا الأخير الذي كان مرشدا ل bsma و الذين لم يكن لديهم سوى 20 فوجا في 1949 و لم يعترف بهم سوى في 1950 من طرف السلطات الفرنسية [3] .

و مهما كان الانقسام الذي انتاب صفوف الكشافة الإسلامية فان محمد الغسيري ظل يعمل ما بوسعه على توحيدها مما اكسبه احتراما وتقديرا من الجامعتين و لم يثني ذلك من مواصلة السعي في سبيل تكوين الكشاف الجزائري المسلم و تربية الناشئة على أخلاق مذبة و سلوكات محصنة في وجه التغريب الذي تزرعه المدرسة الفرنسية.

---

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء: المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، دون تاريخ، ص 98.

(2) أبو عمران الشيخ محمد جيجلي: المرجع السابق، ص 160 .

(3)ch,R , Agron :op,cit ; p 112.

النشاطات الدولية للكشافة الجزائرية

شاركت الكشافة الإسلامية الجزائرية في الكثير من النشاطات الدولية و المؤتمرات العالمية للكشافة و قد كان حظ الشيخ محمد الغسيري المشاركة في بعض هذه التظاهرات و من بينها :
زيارته للنمسا في صيف 1952 حيث قاد القائد بن حمودة و نائبه الشيخ الغسيري وفدا يضم 24 عضوا إلى مخيم "باد ايخل" بالنمسا بشكل مستقل عن و فد الكشافة الفرنسية بسبب التوترات التي حدثت بينهما و سوء العلاقات التي أدت إلى القطيعة الفعلية، حيث رفضت الكشافة الإسلامية الاندماج داخل الكشافة الفرنسية و لباس المنديل الذي يحمل ألوان العلم الفرنسي [(1)] وقد واجه هذا الوفد صعوبات كبيرة من الإدارة الفرنسية التي رفضت منحه جوازات السفر و استقبل من النمساويين باستقبال يليق به لتفهمهم لوضعية الشعوب المستعمرة نتيجة معاناتهم تحت احتلال الحلفاء للنمسا في ح ع II ،و قد أجرى الوفد الجزائري المسلم اتصالات مع وفود إسلامية عديدة منها الوفد السوري و اللبناني و السوداني، المغربي و السنغالي[(2)] كما توجهت قافلة من الكشافة الإسلامية سنة 1953 إلى القاهرة بمصر استجابة لدعوة الكشافة المصرية و حضور احتفالات الذكرى الأولى لثورة يوليو 1952 و ترأس هذه القافلة القائد العام الطاهر التجيني[(3)] مرفوقا بالقائدين ابن محمود ومحمد الغسيري، وقد تنقل هذا الوفد في حافلة برا إلى القاهرة بعدما عانى من صعوبات كبيرة مع الإدارة الفرنسية التي رفضت منحهم جوازات السفر، و اضطرت فيدرالية الكشافة الجزائرية إلى طلب التدخل من النواب الوطنيين في المجلس الجزائري و تحصل عليها بصعوبة .
و قد استقبل الوفد في طريقه من طرف الكشافة الليبية و أثناء إقامته بالقاهرة أدى زيارة للرئيس محمد نجيب و رئيس الكشافة المصرية كما التقى بشخصيات نضالية هامة على رأسهم المجاهد المغربي الكبير عبد الكريم الخطابي، الذي كانت له علاقات وطيدة مع الجزائريين و قد أسس في مصر لجنة للدفاع عن المغرب العربي [(4)].

(1) أبو عمران الشيخ محمد جيجلي :المرجع السابق ، ص 88.
(2) المرجع نفسه، ص 175.
(3) البصائر: العدد 250 ، سلسلة 2 ،السنة 6، ديسمبر 1952.
(4) أبو عمران الشيخ و محمد جيجلي : المرجع السابق، ص 176 .

و اوجد جوا للتدريب العسكري و التحرري للمغاربة كما زار الوفد رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان مقيما بالقاهرة ، و قد تفضل على الوفد بمساعداته و نصائحه و بقي على اتصال دائم معه بواسطة المرشد الفيدرالي الشيخ محمد الغسيري ، كما زار الوفد المعالم التاريخية في القاهرة و اهتم بالحركة الاقتصادية و الثقافية للبلد، و سمح للشبيبة بربط علاقاتها بالمشرق العربي و فتح أذهانه على مشاكله(1)،و للإشارة فانه سمحت هذه الزيارة للشيخ الغسيري على أداء فريضة الحج مع الشيخ البشير الإبراهيمي و بعض رفاقه و أثناء عودته زار بلاد الشام ثم عاد إلى الجزائر، وقد سجل تفاصيل هذه الزيارة في مقالات نشرتها له مجلة البصائر.

و خلاصة القول فان شخصية الغسيري الكشفية لا تقل أهمية عن شخصيته التربوية و التعليمية و لا عجب أن نجد ذلك يجتمع في شخصية مصلحة نشأت في مدرسة جمعية العلماء، يعمل على إصلاح ذات البين بعيدا عن التعصب لفكره و يصب جم اهتمامه على الهدف من النشاط و هو بناء مجتمع جزائري أصيل يؤمن بالمقومات الوطنية و الإسلامية ، بل نجده يهتم كثيرا و يؤخذ على محمل الجد كل الأدوار التي أسندت له في مسيرته الإصلاحية،و لقد أدرك الغسيري و رفاقه أهمية البناء الحضاري الذي يقومون به من اجل إعداد جيل جديد من الجزائريين يؤمنون بالتغيير و النهضة غير مبالين بالعراقيل التي تعتري طريقهم ، و ذلك عن طريق الأخذ بالأساليب الحديثة و العلوم المعاصرة لتنمية فكرهم و عقلهم.

و رغم ما اعترض مسيرة الغسيري من ضغوط و عراقيل و مشاكل و صعوبات إلا انه أبى الا أن يظل متمسكا بمواقفه الرافضة للخضوع و الثبات على الطريق الذي اختاره ابن باديس لتلاميذه لإصلاح العقل و الروح و محاربة الفكر الاستعماري الذي أفسد كثيرا من الأمور.

(1) البصائر: العدد 250 ، سلسلة 2 ، السنة 6، ديسمبر 1952.

خاتمة الفصل :

من خلال ما تقدم عرضه في الفصل أخذنا إلى أن نصل للنتائج التالية :

1- أن الغسيري ارتبط منذ البداية بالثقافة العربية و الدين الإسلامي و وجد ضالته في جمعية العلماء المسلمين، الشيء الذي مكنه أكثر في تكوينه و زاد من قناعته و تمسكه بهذه الروح الوطنية و جعله بذلك قوة دافعة إلى الاستمرارية وتحدي الوجود الاستعماري بفكره ونشاطه.

2- النشاط الذي أداه الغسيري في مجال التعليم و التربية و الكشافة يعد مجهودا تنظيميا يضاف إلى مجهوداته التثقيفية و هذا ما يضاهي نشاط كبار منظري و مفكري المدارس و المذاهب في العالم، وجعل لمدرسة التربية و التعليم و تنظيماتها مميزات خاصة ترتقي بها إلى مصاف المدارس الحديثة .

3 –النشاط الكشفي للغسيري لا يقل شانا عن نشاطه التربوي و التعليمي و الثقافة التنظيمية التي كان يتمتع بها هذا الشخص و ذكائه هما من يقفا وراء تبوئه لمرتبة المرشد العام و رئاسة الجامعة الكشفية و بالتالي انعكست عليها جهود الغسيري التنظيمية و أخلاقه العالية مما حافظ على تماسك الكشافة الإسلامية الجزائرية أمام الضربات القاصمة التي كانت تتلقاها على يد الاستعمار.

4- استغل الغسيري كل المنابر سواء على المستوى الداخلي و الخارجي، لإسماع صوت الجزائري الذي يإن تحت طائلة الاستعمار لمسامع العالم، ويجمع له الدعم من الصديق و الشقيق و هو الأمر الذي دفع بشعوب العالم لمساندة القضية الجزائرية و قناعتهم بعدالتها، لذلك لما اندلعت الثورة التحريرية لم تواجه هذه الخيرة إلا الترحيب و الدعم من شعوب العالم التواقة إلى الحرية و المؤمنة بالعدالة و حقوق الإنسان و كرامته.

الفصل الخامس

الحركة الاصلاحية في الأوراس عشية اندلاع الثورة التحريرية 1954.

المبحث الأول :وقع الثورة في صفوف الحركة الاصلاحية في الأوراس .

المبحث الثاني :التحاق الاصلاحيين الأوراسيين بالثورةالتحريرية .

خاتمة الفصل .

مقدمة الفصل

هذا الفصل من البحث تطرقت فيه لموقف شعبة العلماء المسلمين الجزائريين الأوراسية عشية اندلاع الثورة التحررية في غرة نوفمبر 1954 و هذا في مبحثين

المبحث الأول : و استعرضت فيه وقع الثورة في صفوف الاصلاحين الأوراسيين من خلال المواقف الفردية المتخذة للالتحاق بالثورة في غياب موقف رسمي من طرف جمعية العلماء المسلمين و شعبتها بالأوراس.

أما المبحث الثاني: فقد بينت فيه الدعوة الرسمية لجمعية العلماء المسلمين لأبنائها بالانخراط في صفوف الثورة سنة 1956 و هو الموقف الذي سبقها إليها أفراد الشعبة الأوراسية بالتحاقهم المبكر بالثورة و الاستشهاد بأمثلة عن هذا الواقع.

الحركة الإصلاحية في الأوراس عشية اندلاع الثورة التحريرية 1954:

تكلل النشاط الإصلاحي والعمل الكشفي في منطقة الأوراس بإحداث نهضة فكرية ووطنية ملحوظة ، وبدأت تبرز معالم هذا النجاح على الشباب الأوراسي الذي عمل على خلق مجال ثقافي ووعي وطني اعترفت به السلطة الاستعمارية الفرنسية ، غير أن الأوراسيين لم يتوقفوا عند هذا الحد ، بل راحوا يتطلعون الى ما هو أكثر من هذا ، وهو التحرر الكامل من السيطرة الكولونيالية ،وبذلك اقترنت منطقة الأوراس بحدث كبير بارز في تاريخ الجزائر إلا وهو تفجير الثورة التحريرية في 1 نوفمبر 1954، و أصبحت المنطقة مضرب المثل في البطولة و العمل الثوري ، وكان من الجدير بنا الوقوف عند هذه المحطة الهامة و الأجواء التي عاشها سكان الأوراس قبيل اندلاع الثورة التحريرية ، و صورة الاستعدادات التي كانت عليها هذه الجبال ، و التي ستحتضن انجازا خالدا لما عجزت عنه الأجيال المتعاقبة لأكثر من قرن من الزمن، ببعث الأمة الجزائرية المستقلة من جديد.

فالبرغم من أن الأوراس عرف نوعا من السكون بعد ثورة 1916 التي أخمدها الاستعمار بالحديد والنار، و ظلت هادئة في أعين الفرنسيين إلا أن الواقع هو منذ إنشاء المنظمة السرية* التابعة لحزب الشعب الجزائري سنة1947[(1)] أخذت هذه المنطقة على عاتقها مسؤولية تجنيد الشاب للكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتخليص البلاد من الاستعمار، وبقدر ما تحمس الأوراسيون للنشاط الإصلاحي بقدر ما تحمسوا للعمل الثوري، حيث لعب القائد مصطفى بن بولعيد احد الأعضاء البارزين في المنظمة السرية على المستوى الوطني و الذي كان على رأس هذه المنظمة في الأوراس كما يعتبر احد قادة الثورة التحريرية الكبار دورا كبيرا في تحميس المنطقة و تجنيدها[(2)] ،فقد نشط في البحث عن الأسلحة و شرائها و تخزينها منذ شتاء 1948 أين قدرت المصادر كمية هذه الأسلحة بأكثر من 600 بندقية مخبئة في دار بعزي لخضر قرب وادي الحمام و دار

*- المنظمة السرية: اثر اجتماع حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD) يومي 15-16 فبراير 1947 أعلن عن ميلاد المنظمة السرية (LOS) و التي تنحصر مهمتها في الإعداد للثورة المسلحة و هي بمثابة الجناح المسلح للغرب و عين على رأسها المناضل محمد بلوزداد.

(1) عمار هلال : أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر،المرجع السابق، ص 139.

(2) عمار قليل: المرجع السابق، ص 198 .

بشاحي محمد على سفح جبل الدرعان على جانب الطريق الرابط بين أريس و باتنة [1]، وكان من الممكن أن ينكشف هذا الأمر بإلقاء الاستعمار القبض على بعض شركائه في الأمر بالمنطقة و هم بعزي محمد، عزوي مدور و عزوي أحمد اثر وشاية في مارس ،1948 لكن حكمة ونفوذ القائد مصطفى بن بولعيد حال دون ذلك و الذي استطاع عن طريق معارفه شراء ،
ذمة بعض أعوان الاستعمار ب 43 ألف فرنك قديم حسب ما تذكره المصادر، و يطلق صراح المعتقلين و يستمر في مواصلة تحضيراته بحذر شديد ، أما الاستعدادات النهائية لاندلاع الثورة في الأوراس فقد بدأت اثر اجتماع الستة الذي قسم التراب الوطني إلى خمس مناطق عسكرية ، و عين مصطفى بن بولعيد قائدا للمنطقة الأولى (الأوراس) أين كان في تلك الفترة دائم التنقل بين العاصمة فسنطينة و الأوراس بمنتهى الحذر و السرية يهيئ المناضلين و ينظم أفواج الجهاد.

و تذكر المصادر أن مصطفى بن بولعيد عقد اجتماعا بدار بعزي لخضر قرب وادي الحمام ليلة 9 أكتوبر 1954[2] ، و أعطى أوامر بإخراج السلاح من مخابئه و تنظيفه و إعداده للتوزيع، ثم عقد اجتماعا أخر ليلة 31 أكتوبر 1954 بدار طرسية بشير ثم انتقلوا إلى دار بلقواس احمد بمنطقة أشمول في نفس الليلة و تم توزيع السلاح على مناضلي مشونش، غسيرة، كيمل، زلاطو،اريس، أشمول، والشمرة ، وقد أعطيت الأوامر و حددت الأهداف التي سيتم مهاجمتها و عدد الأفواج و رؤسائهم و أماكن التجمع بعد تنفيذ العمليات[3].

وفي غره نوفمبر 1954كان بن بولعيد و رفاقه مع الموعد أين تم تفجير الثورة التحريرية الكبرى و السؤال المطروح ما موقف شعبة العلماء الإصلاحيين الأوراسين من هذا الحدث الكبير الذي طال أمد انتظاره؟ و هل يوجد من بين مفجري الثورة من ينتمي إلى جمعية العلماء وبالتالي يفرض عليه الطابع التنظيمي انتظار الموقف الرسمي لها؟

(1) محمود الواعي و آخرون : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ، إنتاج جمعية أول نوفمبر، باتنة دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1999 ، ص 117.
(2) عمار قليل: المرجع السابق، ص 199 .
(3) محمود الواعي و آخرون :مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ،المرجع السابق، ص 451 .

وقع الثورة في صفوف الحركة الإصلاحية في الأوراس

اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 و إستيقضت منطقة الأوراس كبقية مناطق الجزائر على وقع هذا الحدث الكبير و الجديد بالنسبة لهم ، و تناقلت الألسنة أخبار أحداث تلك الليلة، و التي وضعتهم في حيرة من أمرهم ، خاصة وأن ردود فعل الاستعمار التي ألفوها من قبل لن تكون لتشفق لحالهم بل ستكون أكثر دموية و أكثر بشاعة[1].

و لا شك ان فرحة التشفي في الاستعمار الذي وضعهم في تلك الأوضاع المزرية و سلب منهم مجمل ما يملكونه قد كانت تملا قلوبهم، لكن التخوف من المصير المجهول و اليأس الذي انتابهم في تراكم عبر الأيام قد شغل تفكيرهم و إستهوت قوة فرنسا بعضهم.

أما إذا عدنا بالحديث عن موقف الإصلاحيين الأوراسيين، و بما أنه لم يكن هناك موقف قاطع من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمساندة الثورة علنيا أو معاداتها، و اكتفت بموقف التريث و الترقب[2] إلى الوقت المناسب فإننا لا نجد موقفا رسميا أيضا من شعبة علماء الأوراس ، ولكن إذا فحصنا جيدا الفصيل الذي كان بمعية القائد مصطفى بن بولعيد، فبالتأكيد وقطعا أنهم ليسوا من الموالين و لا من المقربين إلى الاستعمار الفرنسي ، و بالتالي فالأمر كان بين أولئك المعادين لفرنسا و الذين تشبعوا بالإيمان و بالوطنية الجزائرية و مبادئ الدين الإسلامي و الأفكار الجهادية التواقة إلى الحرية، والرافضين الخضوع للذل و الهوان و الناشئين على التعاون في مواجهة الشدائد و الملمات ،و هي أفكار كانت تغرسها الحركة الإصلاحية وتهدف إلى تكوين مثل هذه الناشئة.

و الحقيقة أن شباب وشيوخ الإصلاح في منطقة الأوراس استقبلوا الثورة مثلهم مثل بقية أهل المنطقة في كنف الغموض ،إلا أن هناك فصيل منهم شارك في الإعداد لها و بالتالي فهو على دراية بأحداثها، و لم ينتظروا الإذن من جمعية العلماء المسلمين و لا من شعبتها في الأوراس، بل انظموا إلى الثورة بطريقتهم الخاصة وبمحض إرادتهم ، وفي سرية تامة اتخذ هذا الانضمام شكلا

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 161 .
(2) مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، ط1 ،1984 ،ص 70 .

انفراديا ، وكان من بينهم حسب ما تذكره المصادر من كان من الرعيل الأول المفجر للثورة مع فوج بن بولعيد ، على غرار الشيخ مسعود بلعقون[1] وهو من عرش بني توبه الذي ينحدر منه مصطفى بن بولعيد بالوادي الأبيض، و الشيخ مسعود ظل عضوا بارزا في شعبة العلماء بالأوراس ومدرسا في مدرسة أريس، ونجده مجاهدا مميزا ضمن فوج مصطفى بن بولعيد الذي قاد هجومات ليلة أول نوفمبر 1954 معلنا عن انطلاق الثورة[2].

و في غياب إحصائيات رسمية تقدم لنا عدد المنضمين من مدرسة الإصلاح إلى صفوف الثورة في الأوراس، فان العديد من الأسماء التي سبق لها و أن تكونت في هذه المدرسة كانت على قائمة الأفواج الأولى التي اختارت الانتماء إلى الجهاد المسلح و الالتحاق بصفوف جيش التحرير، مما يبرز موقفا صارخا لوقع اندلاع الثورة بين الإصلاحيين الأوراسيين، و الذي لا يشوبه أي غموض في تبني هذا العمل الكفاحي إلى جانب العمل الإصلاحي الذي أدوه على أكمل وجه ، و بالرغم من الحيرة العميقة التي انتابت المجتمع الجزائري آنذاك، إلا أن اندلاع الثورة بالنسبة لأبناء جمعية العلماء المسلمين في منطقة الأوراس كانت تشكل بصيص أمل يلوح في الأفق بل وجدوا في ذلك ثمرة للجهود الوطنية التي استمرت سنوات و أن العمل الذي انكبوا عليه لم يذهب سدى[3] ، بل رأوا أن آمال شيخهم ابن باديس تتحقق على أرض الواقع ، وهو الذي كان يخشى أن يدفع الأمة الى الثورة قبل كمال استعدادها، وعلى الجزائريين أن يعولوا على أنفسهم ، أي أن يفتكوا حقوقهم بقوة من فرنسا ، وها هو ذا الحلم أصبح حقيقة ، باندلاع ا لثورة التحريرية الكبرى ، هذا العمل الثوري الذي مهما اقترن بتنظيم أخر غير الجمعية فان الأمر كله يصب في هدف واحد هو تحرير الجزائر من ذلك التسلط الاستعماري و الخضوع لحكم الكافر على حد قولهم في قرارة أنفسهم و بالتالي يستوجب الجهاد و تبني العمل الثوري المسلح المعلن هذا من جانب و من جانب أخر لا بد من مراجعة موقف العلماء و جمعيتهم و تقصي حقيقة الأمر في شعبتهم بالأوراس ، هذا الأخير الذي عد مركز الحدث و معقل الثورة.

---

(1) محمد الطاهر عزوي وآخرون : صفحات من جهاد الأمير عبد القادر و أعلام من الأوراس، مؤسسة الأمير عبد القادر باتنة ، شركة باتنيت للمعلوماتية و الخدمات المكتبية و النشر، الجزائر، 2003 ، ص 95.
(2) المرجع نفسه، ص 96.
(3) مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص 7.

إن البحث في موقف شعبة العلماء الأوراسين من اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر 1954، يتعلق أساسا بموقف جمعية العلماء الرسمي، لكونها الهيئة المخولة لاتخاذ مثل هذه القرارات الهامة خاصة فيما يتعلق بحدث بالغ الأهمية يشوبه الغموض عند الكثير من الجزائريين آنذاك ، و لم تتضح معالمه بعد ، كما أن حقيقته كثورة وطنية شاملة لا تزال مجهولة ، فالحكم في مثل هذه المواقف يبقى رهين الأيام.

أما جمعية العلماء كتنظيم رسمي ، فيمكن أن نتعرف على موقفها من اندلاع الثورة من خلال البيانات التي أصدرتها على صفحات جريدة البصائر، و إذا تتبعنا مسار هذه البيانات و التي نحصر عددها في أربعة بيانات هامة، بداية من أول نوفمبر 1954 أين نجد غياب أي بيان هام يعكس موقف صارخ من هذا الحدث أي طيلة ثلاثة أشهر إلى غاية 28 جانفي 1955، أين نشرت البصائر بيان للجمعية اكتفى بالتطرق إلى فضح الأساليب الوحشية الفظيعة التي استعملتها السلطة الفرنسية لمحاولة قمع الحركة الثورية بواسطة الإرهاب و البطش، و بذلك خالفت و عودها التي قطعتها من أيام الحوادث الأولى بأن أعمال التأديب لا تصيب إلا الذين تثبت إدانتهم و أن الجزائر بحاجة إلى تغيرات جذرية تحقق رغبتها فيما يتعلق بالحكم و الإدارة ،و الشؤون العامة و كل ما يتعلق بدينها ولغتها، كما دعت الأمة إلى التكتل و الوحدة للدفاع عن حقها المغصوب و كرامتها المهدورة [1] و وجهت الجمعية نداءا أخر في 25 فيفري 1955 عنونته ب" نداء إلى الضمير الفرنسي "تندد فيه بالفضائح المرتكبة في البلاد و ركزت فيه خاصة على منطقتي الأوراس و جرجرة[2].

و في 11 مارس 1955 نشرت البصائر على صفحتها الأولى" نداء إلى الشعب الجزائري" باسم الأساتذة و المعلمين الأحرار تدعو فيه إلى التجمع في حركة سياسية جزائرية واسعة و لا ندري أن كانت إشارة أولية إلى التكتل حول الهيئة الوحيدة آنذاك و هي جبهة التحرير الوطني.

و الموقف الرسمي الواضح و الفاصل نلمسه في النداء الرابع أي بعد مرور 14 شهرا على اندلاع الثورة و اتضاح معالمها و الذي نشرته البصائر عن جمعية العلماء اثر اجتماعها العام في مقرها بالجزائر العاصمة يوم 7 جانفي 1956 و الذي عنونته هذه المرة " بلاغ من الاجتماع

(1)البصائر: السلسلة 2 ، عدد 305 ، 11، جمادى الثانية 1375هـ (04 فيفري 1955) .

(2) البصائر: السلسلة 2 ، عدد 308 ، 02 رجب 1374هـ (25 فيفري 1955).

العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة في القطر الجزائري و موقف الجمعية منها " ، فبعد الترحم على أرواح الشهداء الأبرار و التعاطف مع السجناء جاء في البيان " و يرفع عظيم الامتنان ووافر التقدير لسائر الأحرار في كل أقطار الدنيا و لجميع الصحف العالمية النزيهة و لسائر الحكومات الحرة التي أيدت الأمة الجزائرية في نضالها الشريف ودافعت عنها، و مدتها يمين الأمة و الأخوة لمبادئ الحق و العدل و التحرير و يرجو أن يشارك كل شعب حر و كل حكومة حرة و كل صحيفة نزيهة في هذا الكفاح الميمون لفائدة الحق والعدل و الحرية بالبلاد الجزائرية "(1) كما أدان البيان سياسة الترقيع الفاشلة التي ينتهجها الاستعمار و طالبه بالاعتراف العاجل العلني و الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحرة و جنسيتها الخاصة و حكومتها القومية.

و الحق انه في هذا البيان يتضح موقف العلماء كجمعية ، لا كأفراد و الذي يتبلور في مساندة الثورة حين دعى الأمة و العالم اجمع للانضمام إلى الكفاح المسلح في الجزائر.

و على اثر البيان اعتقلت سلطات الاستعمار رئيس الجمعية الفعلي آنذاك ، و هو الشيخ العربي التبسي ثم اغتالته كما انضم أمينها العام احمد توفيق المدني و اغلب أعضائها إلى جبهة التحرير الوطني و التحق الكثير منهم بالقاهرة ، تونس و المغرب(2)

و إذا عدنا للحديث عن شعبة العلماء بالأوراس فيمكن القول أن الإجراءات المشددة التي اتخذها الاستعمار للقضاء آنذاك على ما اسماه بأحداث الأوراس و الخارجين عن القانون لو تترك مجالا واسعا لنشاط هذه الشعبة فقد أقدم على اعتقالات واسعة بمجرد الشك في صفوف الشعب، و احكم قبضته على الأماكن العمومية كما حرم التجمعات إلا بتصريح رسمي و فرض حالة الطوارئ و القوانين الاستثنائية و حظر التجول(3)، كل هذه الإجراءات حدت من ظهور الموالين للعمل الإصلاحي بل دفع بعضهم إلى مغادرة المنطقة بطريقة أو بأخرى خاصة بعد انكشاف أمر بعض

(1) البصائر: السلسلة 2 ، السنة 8، العدد 349، جمادى الأولى 1375ه (13 يناير 1956)
(2) مولود قاسم نايت بلقاسم : المرجع السابق ،ص 76.
(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 261.

العناصر الذين كانوا ينتمون إلى هذا التنظيم سابقا ، و لم تعد تبرز المدرسة الإصلاحية بالشكل المعهود هذا من جهة ، و من جهة أخرى فان شعبة علماء الأوراس كانت احد فروع جمعية العلماء و لا يسمح لها قانون الجمعية بان تظهر موقف رسمي في مثل هذا الأمر و الذي هو من صلاحيات الجمعية العامة ، لذلك لا نجد أي تعبير يخص هذا الفرع فيما توفر لدينا من وثائق و معلومات ، لكن البيان الذي أصدرته جمعية العلماء المسلمين يوم 7 جانفي 1956، كان حدا فاصلا لمظاهر التردد حيث تحولت مقرات مدارس الأوراس التابعة للجمعية في المداشر و الدواوير إلى مراكز لاجتماع المجاهدين بالشعب [1]. و في هذه الأثناء لم يبق من أتباع جمعية العلماء الذين لم يلتحقوا بالثورة بصفة رسمية أو علنية إلا القليل لسبب أو لأخر، سواء التقدم في السن، أو للمسؤوليات العائلية أو لدورهم الاجتماعي و الإنساني و الديني، أو لالتحاق أبنائهم و أقاربهم بصفوف المجاهدين فاكتفوا بالدعم و التموين[2].

و بالرغم من استمرار بعض مدارس الجمعية في أداء مهامها بالأوراس كمدرسة النشأ الجديد بباتنة إلى غاية الاستقلال سنة 1962، إلا انه يبدوا و أن شعبة الإصلاحيين بمنطقة الأوراس انصهرت تدريجيا في الثورة التحريرية ابتدءا من الفاتح نوفمبر 1954، و العديد من أبنائها استشهدوا في الأفواج الأولى للشهداء و هذا إذا آخذنا بعين الاعتبار الذين حملوا السلاح و التزموا الجبال.

أما إذا تطرقنا إلى مختلف أشكال الدعم الثوري و الكفاح فان أبناء الجمعية بالأوراس على غرار كل أبناء المنطقة باستثناء أولئك الذين كانوا من حزب الاستعمار و مقربيه ساندوا الثورة سواء بالتحريض و الإفتاء[3] أو جمع المؤونة و اللباس أو الإيواء لأنه في الواقع المستهدفون من الثوار هم من أبناء جلدتهم و ابناهم و تربطهم بهم روابط النسب و علاقات اجتماعية كبيرة و بالتالي فلا عجب أن ينتصروا لمن استنصرهم على عدوهم.

(1) محمد الطاهرعزوي و آخرون: صفحات من جهاد الأمير عبد القادر ، المرجع السابق، ص 97.
(2عبد الله الركيبي وآخرون : معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص 137.
(3) محمد الطاهر عزوي و آخرون: المرجع السابق ،ص 98 .

إلتحاق الإصلاحيين الأوراسيين بالثورة التحريرية

يعد الجهاد احدى الكلمات التي استخدمها الجزائريون للدلالة على نضالهم من اجل التحرر الوطني ، رغم أن ذلك لا يحمل معنى للتعصب أو الحرب الدينية و إنما هذه الكلمة تبرز الإرادة التي لا تتزعزع و تركيز الجهد و روح التضحية حتى بلوغ الشهادة بغية القضاء الكامل على النظام الرجعي الاستعماري القائم آنذاك ، و تحقيق كيان مستقل و الواقع أن التنادي بالجهاد في الوسط الغربي و الإسلامي برز من جديد في الفترة التي سبقت بقليل اندلاع الثورة التحريرية بشكل ملفت خاصة بعد أن أصبحت القدس مهددة اثر إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني الإسرائيلي في 15 ماي 1948[1] حيث تسارعت الجيوش العربية إلى إعلان الحرب على هذا الكيان الجديد لكنها منيت بهزيمة في 16جويلية1948 لظروف وأسباب عديدة و أصبح كل العالم العربي و الإسلامي يعيش على وقع هذه النكسة ، و لا غرو أن نجد هذا الواقع على أشده في صفوف أبناء جمعية العلماء المسلمين التي كانت تمد بصلات وثيقة إلى المشرق العربي [2] و لما اندلعت الثورة التحريرية في غرة نوفمبر من عام 1954 وشرع الجهاد الذي اتخذ سبيل الكفاح المسلح لتقرير المصير و تحقيق الحرية، لم يتوان الإصلاحيون الأوراسيون الذين كانوا قريبين من مركز الحدث عن الانضمام إلى الثورة ، و طلب النصر أو الشهادة حيث إلتحق الكثير من معلمي وتلامذة مدارس التعليم العربي الحر الأوراسية بصفوف المجاهدين.

و يمكن هنا أن نسجل ملاحظة هامة ، و هي أن بعض الإصلاحيين الأوراسيين يبدوا وأنهم لم يفصلوا كثيرا بين النشاط الإصلاحي و النضال السياسي ما دام يصب في إطار العمل الوطني و العديد منهم كان يجمع بين التدريس في مدارس جمعية العلماء أو المساجد أو ينشط في النوادي الثقافية و في نفس الوقت نجده يقوم بنشاط سياسي سواء في حزب البيان أو حزب الشعب على غرار الشيخ مسعود بلعقون ، الذي كان عضوا نشطا بمنطقة الوادي الأبيض بأريس سواء بالتدريس في مسجدها أوبالعمل في ناديها الثقافي، إلا انه أصبح ينتمي إلى حزب الشعب عندما دخل إلى هذه المنطقة في أوائل 1940 بواسطة بكوش محي الدين العنابي[3] و لما توسع التنظيم السياسي و الوعي الوطني عينته الحركة على رأس قسمة أريس ، و عمل لصالح مصطفى بن

(1)عثماني مسعود: أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد، دار الهدى، الجزائر ،2008، ص 239.
(2) عثماني مسعود: المرجع نفسه، ص 240.
(3) محمد الطاهرعزوي وآخرون : صفحات من جهاد الأمير عبد القادر ،المرجع السابق ، ص 92.

بولعيد في انتخابات 1948 حيث لقي إهانة و تنكيلا من الحاكم الإداري لأريس الذي ضربه أمام زوجته وعلى مرأى من الناس ، في حين بقي انتماءه و علاقته وطيدة بجمعية العلماء و هذا ما نلمسه من خلال مقاله الذي نشرته جريدة المنار في عددها الصادر يوم 16 جويلية 1953 حول استفتاء رأيه في فكرة الاتحاد بين القوى الوطنية بالجزائر [(1)] و الذي غلب فيه منطق "في الاتحاد قوة" كما شارك في جمع السلاح و بلغ مجمل ما سلمه لمصطفى بن بولعيد في 17 أكتوبر 1954 نحو 42 بندقية ، و عند انفجار الثورة كان ضمن فوج أريس رغم تقدم سنه نوعا ما، و ظل محكوما عليه بالإعدام غيابيا من طرف العدو الفرنسي في محاكمه ، و يحمل رقم 09 في تسلسل ملف سجن المطاردين [(2)] وهم:

1- بن بولعيد عمر
2- بن بولعيد مصطفى
3- شيهاني بشير بن رمضان
4- العايب عمر بن علي
5- حرسوس محمد بن صالح
6- أعبيدي محمد الطاهر بن محمد
7- غراس الطاهر
8- ابن عكاشة محمد الشريف
9- بلعقون مسعود بن مبارك
10- بولقواس محمد بن مسعود

لقد انتقل المجاهد مسعود بلعقون سنة 1955 إلى ناحية برج بوعريريج و بقي هناك إلى أن القي عليه القبض في إحدى المعارك سنة 1958 ، و سجن في معتقل" قصرالطير" بعين أولمان جنوب سطيف و لقي عذابا شديدا على يد جلادي الاستعمار إلى أن أطلق سراحه سنة 1961م.

و لا ينطبق هذا الحكم في إشراك العمل السياسي بالإصلاحي على الشيخ بلعقون فقط و إنما أصبحت صفة تميز بها شيوخ ومعلمي الإصلاح الأوراسيين، و لا شك أن ذلك مرده إلى أمرين أساسيين و هما الاعتزاز و النفوذ الكبير لكل من بن جلول والدكتور سعدان باعتبارهم ابرز الأعيان المثقفين[(3)] في المنطقة وعلاقتهما الوطيدة بالسكان الأهالي خاصة عندما فتحوا لهم عيادات للتداوي و أشفقو لحالهم، والأمر الثاني وهو أن الأوراس ظلت منطقة منغلقة على نفسها نوعا ما و بالتالي معظم سكانها تجمعهم روابط الدم و النسب مما لا يترك مجالا واسعا للانتماء السياسي و الحزبي الذي عادة ما يرتبط بهؤلاء الأعيان [(4)].

(1) المنار: العدد 45، الصادر في 16 جويلية 1953.
(2) محمد الطاهر عزوي وآخرون : المرجع السابق ،ص 95.
(3) محمود الواعي وآخرون :مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية،المرجع السابق ، ص451 .
(4) عثماني مسعود : المرجع السابق ، ص 241.

و مجمل القول أن أبناء الجمعية من الأوراسيين شكلوا شريحة هامة من المجاهدين و المناضلين والتحقوا بصفوف الثورة ليس كأفراد و عائلات فقط ، بل كمدارس و زوايا على غرار زاوية آل دردور، وزاوية آل عزوي، و من بين هؤلاء الإصلاحيين الذين انتسبوا للثورة :

1/ **الشيخ محمود الواعي:** و هو من مواليد 1919 بقرية ثنية العابد، أحد تلامذة ابن باديس بين سنتي 1939 و 1940 و الذي عرف بنشاطه و نضاله الإصلاحي في الشعبة الاوراسية و يمارس التعليم في قرية أولاد عزوز إحدى قرى وادي عبدي ، و عندما اندلعت الثورة كان في صفوف مناضليها الأوائل كما يشهد بذلك الشيخ الهاشمي دردور الذي عمل معه منذ الشهور الأولى لانطلاق الثورة ،فالهاشمي دردور بصفته شيخ زاوية آل دردور * كان يتمتع باحترام و طاعة أهل المنطقة و خاصة مريدي هذه الزاوية ،و حسب روايته فقد اتصل به مصطفى بن بولعيد بواسطة أحمد نواورة في قرية مدرونة بهدف تنظيم مسيرة الثورة في المنطقة باعتباره أحد النافذين في الأوساط الأوراسية ، و بناءا على ذلك اختار في كل قرية مسؤولا للتنظيم ووقع اختياره على الشيخ محمود الواعي في ثنية العابد ، كما اختار بن عباس بن الباقي في بوزينة (1) و آخرين في باقي القرى ، و هكذا تواصل العمل و التعاون في العمل الثوري إلى أن ألقي القبض على الشيخ دردور سنة 1959 ، و اضطر الشيخ محمود الواعي للخروج إلى تونس حيث اسندت اليه مسؤولية الكاتب العام للولاية الأولى بقيادة أحمد نواورة وواصل نضاله إلى غاية الاستقلال .

2/الصادق عزوي: و هو من عائلة أولاد عزوي التي ينتمي إليها عزوي احمد و عزوي مدور و هما من أعضاء المنظمة السرية ، و قد شاركوا في جمع السلاح منذ 1948 تحت إشراف بن بولعيد كما ان عزوي مدور أصبح أمين المال للولاية الأولى بعد قيام الثورة ، وقد سجن المصلح الصادق عزوي بأريس مع بداية الثورة بسبب نشاطه الموالي لها بسجن أريس ثم نقل إلى معتقل شلال في أفريل 1955 ثم الجرف فبطيوة بوهران و أطلق سراحه سنة1958.

*-زاوية آل دردور يرجع تأسيسها عمليا إلى حوالي سنة 1888م و الشيخ المؤسس هو سيدي علي دردور بن عمر في قرية حيدوس (مآزر) بوادي عبدي على بعد 55 كلم جنوب باتنة.

(1) علي عزوي و اخرون: حياة الشيخ المجاهد الواعي 1919-1989، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر ،2002 ، ص ص 32- 33.

3/ **الشيخ الإمام عبد الحميد بوزيد** : و هو احد تلامذة الإمام بن باديس و الذي كان يشتغل معلما في مدرسة تاحمامت (المعذر) التابعة لجمعية العلماء و امام مسجدها ، و الذي عرف عنه نشاطه المعادي لحزب الاستعمار و المشعوذين، و إسهامه الكبير في نشر التوعية و الروح الوطنية ، ولما جاءت ثورة نوفمبر الخالدة أدى دوره كسائر الوطنين الغيورين على دينهم ووطنهم يدعوا إلى الالتفاف حولها و الالتحاق بصفوف المجاهدين ، و حسب رواية احد تلامذته وهو المجاهد عمار ملاح فان هذه الدعوة كان لها اثر بارز في التحاق الكثير من تلامذته بالثورة على غرار الشهداء الهاشمي عبد الصمد، الزبير بهلول و خظير بهلول و المجاهد عمار ملاح ، كما استعان جيش التحرير بالشيخ عبد الحميد في الكثير من الأمور الفقهية و الفتاوى الشرعية في قضاياه إلى أن جاءت سنة 1957 حيث ألقى عليه الاستعمار القبض في شهر مارس مع عدد من أعيان قرية المعذر بتهمة مساعدة الثوار في جبل بوعريف و زج به في سجن المعذر ثم نقل إلى جبل الضاية جنوب سيدي بلعباس لمدة قاربت العامين ثم أطلق سراحه و بقي تحت الإقامة الجبرية إلى غاية الاستقلال(1).

إن هذه العينة من تلامذة بن باديس في الأوراس الذين انتموا إلى الثورة ترسم صورة جلية لمختلف أوجه الكفاح الذي تبناه الإصلاحيون الأوراسيون كل حسب قدرته و ظروفه، و تقدم انطباعا حسنا عن انتمائهم الثوري ، و مهما تباينت الأساليب و الأدوار فان الهدف كان واحدا و هو تحقيق الحرية و الاستقلال أو نيل شرف الشهادة.

بعد أن تعلق أبناء جمعية العلماء بفكرة الحرية و أدركوا السبيل لتحقيقها انكبوا على بعث الروح الوطنية و المقومات الشخصية العربية و الإسلامية في نفوس الناشئة ،آمنوا بثمن التحرر و الذي لا يؤتى إلا عن طريق الكفاح المسلح ، و لما جاء هذا الأخير تجند له أبناء المدرسة الإصلاحية في الأوراس على عهد أبناء المنطقة و جمهور المدرسة الباديسية ، و شكلوا الرعيل الأول لجيل الثورة التحريرية فمنهم من نال الشهادة و منهم من بقي و فيا لعهده يخدم الحرب التحريرية إلى أن اجبر المستعمر على الاعتراف بالاستقلال سنة 1962 بل أغدقوا بمساعيهم لبناء الدولة الجزائرية الحديثة بعد الاستقلال.

---

(1) شهادة المجاهد عمار ملاح، الملتقى الوطني الأول حول الأمير عبد القادر و أعيان من منطقة الأوراس بباتنة نوفمبر 2002.

و سواء أثناء الثورة التحريرية أو في مرحلة البناء و التشييد ما فتئ يقدم كل منهم في مجال انشغاله الكثير و الكثير، سواء في السلك الدبلوماسي من أمثال الغسيري و احمد توفيق المدني أو في التدريس على غرار حمل السلاح و الذود عن الجزائر أو الدعوة و الإفتاء من أمثال الشيخ احمد حماني.

خاتمة الفصل :

من خلال ما تقدم في هذا الفصل يمكن ان نخلص الى النتائج التالية :

1-اندلاع الثورة التحريرية كان وقعه في نفوس كل الجزائريين و لا شك محيرا باستثناء اصحاب الامر في اعلان الثورة، و بما ان الاصلاحيين الأوزراسيين هم فئة من هذا المجتمع فلا يمكن ان نقول باستثنائهم، من ذلك الموقف الذي اصبح عليه الجزائريون يوم 1 نوفمبر 1954.

2- اندلاع الثورة كان بالنسبة للإصلاحيين الأوراسيين حلما تحول الى حقيقة و نتيجة للعمل المضني الذي امتدد لسنوات ليست بالقليلة و نداءا للواجب الوطني و بالتالي عليهم تلبيته و هو ما ترجم في التحاق ابناء الجمعية في الأوراس بالثورة مبكرا.

3- اختلف شكل تاييد الاصلاحيين للثورة التحريرية حسب قدرة كل واحد منهم واستطاعته ، فنجد منهم المجاهد الذي حمل السلاح والمفتي والمسبل والفدائي والجامع للعون والمؤونة ، وهي بذلك تغطي مختلف الأوجه التي قامت عليها الثورة الجزائرية .

4 ـ ان ابناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خدموا الجزائر في جميع مراحل كفاحها من اجل التحرر ، سواء باعداد الناشئة القادرة على التحدي الثوري أو بتحصين هذه الناشئة في مواصلة نضالها ولم يقرنوا ذلك بتنظيمهم وهو جمعية العلماء كشرط اساسي وانما ساندوا العمل الوطني الصحيح الهادف ن ما دام يهدف الى استقلال الجزائر ومحافظتها على هويتها العربية والاسلامية مما يترجم انضمام العلماء المبكر الى الثورة التحريرية دون هوادة.

الفصل السادس

الغســـيري بين العمـــل السياســـي والثـــوري .

المبحث الأول :العمل السياسي .

المبحث الثاني :العمل الثوري واسهامات الغسيري .

خاتمة الفصل .

مقدمة الفصل

بعد الوصول إلى المرحلة التاريخية الحاسمة في الجزائر و هي اندلاع الثورة التحريرية راجعنا موقف مترجمنا من ذلك ووضعنا فصلا عن نشاطه السياسي و الثوري و ذلك في مبحثين:

ففي المبحث الأول عالجنا وقائع انخراط الغسيري يس العمل السياسي إلى جانب نشاطه الإصلاحي و عضويته في شعبة قسنطينة لحركة أحباب البيان و الحرية و دور هذا العمل في سجنه بعد أحداث 8 ماي 1945 و الذي لم يثنه عن النشاط داخل السجن و علاقته باللجنة العليا للدفاع عن الجزائر.

أما المبحث الثاني فقد سردنا فيه وقائع التحاق الغسيري بصفوف الثورة مرورا بفرنسا ثم مصر ووصولا إلى تعينه كممثل لجبهة التحرير الوطني بسوريا إلى جانب رفيقه عبد الحميد مهري.

الغسيري بين العمل السياسي و الثوري

رغم الانشغالات الكبيرة و المهام الكثيرة التي خاضها الغسيري سواء في ميدان التربية والتعليم، أم في ميدان الكشافة أم في مجال الوعظ و الإرشاد، إلا أن ذلك لم يشغله عن متابعة قضايا أمته و القرارات الحاسمة في مصيرها، بل الأكثر من ذلك كرس حياته لخدمة وطنه حسب مقتضيات كل فترة، فساهم في بعث مقوماتها و تكوين الناشئة و تنظيم المنظومة التربوية و الكشفية و لكنه لم يغفل على أن يسجل حضوره على المستوى السياسي، فبعد أن بدأ معلما و مربيا نجده إماما واعظا فمفتشا و موجها ثم كشافا مرشدا، ليظهر هذه المرة مناضلا سياسيا محنكا ليتحول مجاهدا ثائرا ثم دبلوماسيا محترفا.

و سنحاول في هذا الفصل أن نبرز صفحات من مسيرة النضال السياسي و الثوري الذي خاضه محمد الغسيري و هو المتعود على تحدي الصعاب و حمل المشاق و المهام الوعرة.

العمل السياسي

عرفت الساحة السياسية في الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية نشاط سياسيا مكثفا و هاما للتعريف بالقضية الجزائرية و إيصال مطالب الشعب الجزائري إلى مسامع العالم و بالخصوص الحلفاء، الذين نزلوا بالجزائر في 8 نوفمبر 1942، وتوج هذا النشاط بصدور بيان مشترك عن الحركة الوطنية الجزائرية في 3 فيفري 1943 * حمله وفد ترأسه فرحات عباس إلى الحلفاء و الحكومة الفرنسية بباريس(1).

ويعد هذا البيان ذو قيمة تاريخية بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية ليس لكونه حمل مطالب

---

*- احتوى البيان الجزائري على خمسة أقسام: تعرض القسم الأول إلى الوضع بالجزائر منذ الاحتلال و عالج القسم الثاني أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب و تطرق القسم الثالث إلى استعراض العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ الاحتلال كما تعرض الفصل الرابع إلى فشل الإصلاحات و اندلاع الحرب العالمية الثانية و نزول الحلفاء بالجزائر أما القسم الخامس فتضمن مطالب الجزائريين الأساسية ، انظر فرحات عباس ليل الاستعمار، ص 167.

فرحات عباس: ليل الاستعمار ، ترجمة أبو بكر رحال الرباط، بدون تاريخ، ص 167

الشعب الجزائري إلى الحلفاء و الحكومة الفرنسية فحسب[1] و التي ألفوا مواقفها المخزية و سياسة التجاهل لمطالبهم ولكن لكونه جمع لأول مرة مختلف اتجاهاتها السياسية، وحد المطالب و الجهود مما يعكس عمق الوعي الوطني لدى الحركة الوطنية أنذاك ، و إدراك التطورات السياسية الحاصلة في العالم أثناء المواجهة العالمية الثانية (1939 – 1945) و تجاوز خلافاتها، واستمر هذا التنسيق بين مختلف التيارات السياسية في الجزائر حيث كللت الجهود بتأسيس حركة تجمع شملها هي حركة أحباب البيان و الحرية في 14 مارس 1944.

لقد كان هذا المولود السياسي الجديد في الجزائر بمثابة المنبر الأول الذي استهل فيه الشيخ محمد الغسيري نشاطه السياسي بصفة علنية و على قدر كبير من الاهتمام، و قد عثرنا على محضر تأسيس شعبة أحباب البيان الجزائري بقسنطينة التي تأسست يوم الخميس 04 ماي 1945 و التي عين فيها الغسيري نائبا للكاتب العام للشعبة- الشريف حاج سعيد - أما - احمد يحي حسين - فعين أمينا للمال و رمضان محمد الصالح نائبه، كما عين كل من احمد بوشمال و زغيليش عبد المالك و ابن الوصيف عبد السلام كأعضاء في المكتب [2].

و يبرز أيضا هذا المحضر بعض انشغالات هذه الجلسة التي تتلخص في القيام بعمل منظم من الناحية السياسية الجزائرية على حد تعبير البيان، هذا العمل الذي يتم في دائرة الوحدة الوطنية.

كما يذكر هذا المحضر غياب ممثلي حزب الشعب عن هذا الاجتماع لذلك استقروا على الطلب من فرحات عباس للسعي لدى مصالي الحاج ليأذن لأتباعه في قسنطينة بالعمل المؤقت مع مكتب الشعبة إلى غاية توحيد الحركة.

وقد كلف محمد الغسيري باستدعاء كل من عبد الله مغريش و بلال حسين عن حزب الشعب لحضور الجلسة الموالية التي ستنعقد بإدارة الشهاب يوم الخميس 14 ماي 1944[3] و للإشارة فان هذه المهمة التي أوكلت إلى الغسيري إنما تعود إلى العلاقات الطيبة التي كانت تربطه بأفراد مختلف الأطياف السياسية بالإضافة إلى السمعة الحسنة التي يتمتع بها بين الجميع من الساسة والعامة. ويبدو لنا أن النشاط السياسي للغسيري في هذا المنحى كان ملحوظا ، مما أهله لحضور

(1) احمد مريوش :الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،مطبعة دار هومة الجزائر،2007، ص 306.
(2) محضر تأسيس شعبة أحباب البيان والحرية في قسنطينة 1945 /5/4 ،الأرشيف الولائي قسنطينة.
(3) المصدر نفسه .

اجتماع الهيأة العليا الثاني لأحباب البيان و الحرية المنعقد بمدينة الجزائر، بدار جريدة المساواة و نادي المولودية يوم الجمعة 2 مارس 1945 تحت رئاسة الدكتور سعدان[1].

هذا اللقاء الذي مثل فيه جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي برفقة الشيخ العربي التبسي و الغسيري و آخرون، كما تبين الوثائق التي بين أيدينا النشاط الحثيث الذي أداه الغسيري في اجتماعاته بشعب جمعية العلماء على مستوى عمالة قسنطينة على غرار اجتماعه بشعبة عين البيضاء[2] و الذي كان ثريا من حيث طرح مختلف الآراء حسب التقرير.

و إن حاولنا أن نبرز جانبا من النضال السياسي الذي قام به الغسيري ، فان ذلك كان في حدود التزامات جمعية العلماء المسلمين، و هي تجربة أخرى تعزز من الرصيد الثقافي و النضالي لمترجمنا و الذي أهله فيما بعد للعب ادوار هامة أثناء الثورة التحريرية .

موقفه من أحداث 8 ماي 1945

كان لنضج الحركة الوطنية و استمرارها في ممارسة النضال السياسي أثرا كبيرا في تنامي الوعي لدى الشعب الجزائري و مطالبته بمبدأ تقرير المصير، و تذكير المجتمع الدولي بطروحاته السياسية أثناء الحرب العالمية الثانية، خاصة ميثاق الأطلسي سنة 1941، وما تمخض عن مؤتمر سان فرانسيسكو 1945، الذي اقر حق الشعوب في تقرير المصير و احترام حقوق الإنسان و العدل و المساواة، وهذا أمام تنكر فرنسا لوعودها[3] مما دفع بالشعب الجزائري للخروج في مظاهرات 08 ماي 1945 التي واجهتها السلطات الاستعمارية بالقمع الرهيب الذي خلف عشرات الآلاف من الضحايا و المفقودين و السجناء.

و بما أن الشيخ محمد الغسيري كان ينشط ضمن حركة أحباب البيان مثلما ذكرنا آنفا فقد القي عليه القبض بتاريخ 16 ماي 1945 من طرف السلطات الفرنسية بتهمة التحريض على العنف ،و تمت مصادرة وثائقه التي تكون الأرشيف الشخصي له اليوم بقسنطينة، و أودع سجن الكدية بقسنطينة الذي قضى فيه ما يقارب أكثر من ثلاثة أشهر،ثم نقل مع بعض رفاقه إلى سجن الحراش الذي مكث به ما يقارب ثلاث أشهر و بعدها تم نقله إلى معتقل (جنين بورزق)* جنوب

(1) مسودة أعمال الاجتماع الثاني لأحباب البيانوالحرية ،بقلم الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(2) محضر اجتماع الغسيري بشعبة العلماء بعين البيضاء، الأرشيف الولائي قسنطينة .
(3) فرانتز فانون: من اجل إفريقيا ، ترجمة محمد الميلي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2 ،الجزائر 1980 ، ص 149.
*- جنين بورزق تقع بين بشار و عين الصفراء.

وهران و قضى فيه ما يناهز الشهر أيضا، و على اثر صدور قراريقضي بغلق هذا المعتقل تم نقله إلى معتقل المشرية الذي لم يطل به المقام لأكثر من ثلاثة أسابيع، حيث أفرج عنه بتاريخ 17ديسمبر 1945[1] بعد أن قضى في رحلته بين السجون ما يقارب 08 أشهر.

ولم يتخل العلماء عن دورهم أينما حلوا لهذا اتخذ الغسيري و رفاقه من السجون و المعتقلات مراكز عمل متواصل للتثقيف و نشر الوعي الوطني و أداء فرائض الإسلام ،اذ نشطوا حلقات الذكر و قراءة القران و دروس الوعظ و الإرشاد و إنشاد الأناشيد الحماسية والوطنية، فيخففون من ضجر السجناء، و هذا ما دفع بالسجانين إلى أخلاط المساجين السياسيين بالمساجين المجرمين نكاية فيهم وتضييقا عليهم، لكن سرعان ما يظهر هؤلاء المجرمين في صفوف المصلين و المتعلمين.

و تفيد بعض الوثائق و الشهادات انه في سجن الحراش أثناء شهر رمضان كان كل من الشيخ الغسيري و السعيد صالحي يتناوبان الدروس الوعظية و الإرشادية، و الدكتور احمد فرنسيس على الدروس السياسية و احمد غضبان للدروس الرياضية و الكشفية بالإضافة إلى آخرين في التمثيل و المسرحيات و الأناشيد الوطنية[2].

لم يكن السجن ليثني الشيخ الغسيري و أمثاله عن مواصلة عملهم الإصلاحي بل كان دافعا له لرفع مستوى معارضته للأطروحات الاستعمارية، وهو ما سيقبل عليه فيما بعد بالانخراط في العمل الثوري، و للإشارة فان نشاط الغسيري السياسي بدأ يظهر منذ 1943 و ذلك بمشاركته في توزيع بيانات اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر* حيث عثرنا على نسخ عديدة من هذه البيانات [3] بين وثائقه المصادرة من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1945.

(1) محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس ، المرجع السابق ،ص 278.
(2)عبد الرحمان ين إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ص 366.
*- جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية: أنشأتها جماعة من المهاجرين من المغرب العربي بالقاهرة سنة 1942 و أسندت رئاستها إلى الشيخ الخضر حسين و الكتابة العامة الفضيل الورتلاني و قسمت الجبهة إلى ثلاث لجان 1-اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر تحت إشراف الأمير مختار و الفضيل الورتلاني 2- لجنة الدفاع عن تونس يشرف عليها محمد الخضر حسين و الحبيب بورقيبة 3- لجنة الدفاع عن المغرب يشرف عليها الطلبة المغاربة بالأزهر.
(3) بيانات مندددة بالسياسة الفرنسية اتجاه بعض القضايا باسم اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر، منسوخة بقلم الغسيري ، الأرشيف الولائي قسنطينة.

لقد عهدنا على أبناء جمعية العلماء أنهم لا يضيعون فرصة إلا و أدوا فيها رسالة و لا يمرون بمحنة إلا وحولوها إلى فسحة للأمل، و هو الشيء الذي سمح بتقديم بعضهم لنشاطات داخل السجن ما لم تسمح له الفرصة أن يقدمها خارجه.

العمل الثوري و إسهامات الغسيري

بعدد مرور أكثر من أربعة عشر (14) شهرا على اندلاع الثـــورة التحريرية في الجزائر، و قد اشتدت المعارك و اندفع الشعب الجزائري إلى حرب التحرير العارمة و القاســية، و بتاريخ 07 يناير 1956 نشرت جمعية العلماء بيان اجتماعها العام الذي حمـــلت فيه مســـؤولية ما ألت إليه الأوضاع للاستعمار، و دعت صراحة إلى الالتفاف و الانخراط في صفوف الثورة. أين أحدث هذا البيان ردود فعل صارخة ، سواء في أوساط الشارع الجزائري أو في الحكومة الفرنسية، فمن جانب انكب الناس على دراسته وتحليله و رحبت به قيادة الثورة ،و من جانب أخر استنكرته الســـلطات الاستعمارية و اتخذت إجراءات فورية ضد جمعية العلماء، فقررت تشديد حلقـــات الرقابة بحيث تعرض عليها نسخة من البصائر كاملة قبل طبعها و تبقى لديها مدة يومين يحذفون بعض فقراتها أو يعطلون صدورها لأيام، كما فرضت رقابة مشددة على أعضاء الجمعية و اعتقل رئيسها الشيخ العربي التبسي(1) وتنادى أبناء الجمعية فيما بينهم بالمكائد التي تخبأها السلطات الفرنسية لهم بغية القضاء عليهم.

في هذه الأثناء كان الشيخ محمد الغسيري بقسنطينة التي كانت مركز اهتمام البوليس الفرنسي في التشديد و متابعة تحركات شيوخ المدرسة الإصلاحية لاختيار الفرصة السانحة و سجنهم أو قتلهم.و ما زاد من الأمر خطورة هو أنه في مارس 1956 عندما تعرض محافظ الشرطة بقســـنطينة سان مارسيلي الكورسيكي الذي عامل الأهالي الجزائريين المشبوهين بالعمل الثوري بوحشية إلى عملية اغتيال و التي نفذها فيه احد الفدائيين المنتمين لجبهة التحرير الوطـــــــني،

(1)عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون : المرجع السابق ، ص 356.

و انـــــتقاما له نفذت الإدارة الفرنسية الإعدام في حق 13 مسلما من بينهم احمد رضا حوحو*، محمد الطاهرالعجابي، الحاج رابح بوشريط، الحاج إسماعيل بوعلاق و أعدت قائمة من 50 عنصرا ممن ستنتقم منهم و تعدمهم[1].

اخبر الغسيري بالمؤامرة التي حيكت ضدهم و أن اسمه مدرج في القائمة و هذا عن طريق احد معارفه و هو المحامي عبد المجيد بن احمد الذي كانت تربطه علاقات مميزة مع عامل عمالة قسنطينة و الذي كان اشتراكيا فاستقى منه الخبر، و عرف بأسماء بعض المستهدفين من أمثال الغسيري [2]و لم يكن الغسيري يدري أن هذه الحادثة ستكون سببا لنهاية و جوده في المدينة التي أحبها و التي فتحت الباب أمامه ليتبوأ مقعدا بين العلماء المسلمين، قسنطينة التي عشقها الغسيري و أحب أهلها و اختارها مقاما له، وبقدر ما كانت هذه الحادثة نهاية لمقامه بقدر ما كانت بداية مرحلة أخرى سيخوض فيها هذه المرة تجربة على المستوى الدولي و بالتحديد في المشرق العربي الذي كان قبلة كل المصلحين في تلك الفترة.

الغسيري في فرنسا

بعد أن أخبر محمد الغسيري انه ضمن القائمة التي أعدتها السلطات الإدارية الاستعمارية للانتقام منهم لمقتل محافظ الشرطة اخذ الأمر على محمل الجدية ، و بدا يفكر في مخرج حقيقي من هذه الورطة التي لا مناص منها إلا مغادرة الجزائر، و بدأت رحلته الشاقة و السرية يوم 31 مارس 1956 نحو مدينة الجزائر حيث دبر له أصدقائه خطة تحت اسم مستعار للخروج نحو مرسيليا، و تمكن من مغادرة مدينة الجزائر يوم 9أفريل1956[3]، و نزل بمرســــــيليا التي كانت تعـــج

*- احمد رضا حوحو (1911- 1956) و لد بسيدي عقبة قرب مدينة بسكرة تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم قسنطينة غادر الجزائر إلى الحجاز سنة 1934 و لم يعد إليها إلا بعد سنة 1945تولى الكتابة العامة بمعهد ابن باديس، كان أول من القي عليه القبض من رجال جمعية العلماء، استشهد بعد سنتين من اندلاع الثورة التحريرية، للمزيد انظر معجم أعلام الجزائر القرنين 19 و 20، ج2 لعبد الكريم بوصفصاف وآخرون ص 82

(1) احمد حماني، الصراع بين السنة و البدعة،ج2، دار البعث قسنطينة،1984، ص 300

(2) محمود الواعي وآخرون :تاريخ الأوراس، المرجع السابق ،ص 175.

(3) المرجع نفسه ، ص 176.

بالمخابرات و الجواسيس الفرنسيين، على اعتبار أنها ملاذ لآلاف الجزائريين الملاحقين من طرف العدالة الفرنسية في الجزائر أو الذين كانوا يشكلون خلايا لجبهة التحرير هناك تمهيدا لنقل الثورة إلى فرنسا ذاتها[1] ، و لهذه الدواعي لم تكن مدينة مرسيليا لتساعد الغسيري على الاستقرار مما جعله ينتقل إلى مدينة ليون القريبة من الحدود الايطالية ، لعله يجد سبيلا للتوجه خارج فرنسا، و قد حاول عبور الحدود الايطالية، لكن شرطة الحدود منعته رفقة بعض رفاقه كون فرنسا منعت ذلك إلا بتصريح رسمي .

لقد مكث محمد الغسيري بمدينة ليون الفرنسية لأكثر ما يقارب من مدة شهرين يبحث عن سبيل لمغادرة فرنسا و الابتعاد عن خطر البوليس الفرنسي الذي قد يكشف أمره في أية لحظة فيعيده إلى الجزائر[2] ، و لكن هذه المرة استقر على رأي و هو مغادرة ليون و التوجه نحو باريس حيث اتصل بمعقل جبهة التحرير الوطني بفرنسا و هو الدكتور احمد طالب الإبراهيمي* الذي استعان بإحدى خلايا الجبهة هناك و دبر له أمر مغادرة فرنسا مرورا بالحدود الفرنسية السويسرية حيث نزل بالسفارة المصرية في سويسرا التي منحته تأشرة الدخول إلى مصر[3].

و للإشارة فان هذا المرور عبر الحدود الفرنسية السويسرية و الحصول على تأشيرة من السفارة المصرية بسويسرا كانت سبيلا معتادا من الجزائريين، فقد سبق و أن غادر احمد توفيق المدني و الشيخ ابن العباس بنفس الطريقة في شهر مارس من نفس السنة حيث كانوا من السابقين إلى مصر.

لما نزل الشيخ الغسيري بمصر استقبل من رفاقه سواء الإبراهيمي أو توفيق المدني و أعضاء مكتب جبهة التحرير بالقاهرة الذي بادر بتعينه ممثلا للثورة في مكتب دمشق رفقة عبد الحميد مهري و بذاك التحق الغسيري بالثورة و بدأت مرحلة الكفاح رسميا ، و في حقيقة الأمر

---

(1) علي هارون :الولاية السابعة حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954- 1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 86.
(2) محمد الصالح رمضان الغسيري في سطور مقال مجلة الثقافة العدد 45
*- احمد طال إبراهيمي كان يترأس في هذه الفترة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا و الذي عقد مؤتمره التأسيسي بإحدى قاعات موتياليتي بباريس في 5 جويلية 1955 انظر هارون الولاية السابعة ص 92
(3)علي هارون، المرجع السابق ، ص 99

أن الشيخ الغسيري لم يقم بأي نشاط في فرنسا حسب المعلومات التي بحوزتنا و هذا الأمر وجدناه طبيعيا بالنسبة لشخص ملاحق من الشرطة و مقيم بصورة غير شرعية على الأراضي الفرنسية هذا من جهة ،و من جهة أخرى ففرنسا كانت بالنسبة للغسيري محطة عبور لذلك لم يتسنى له النشاط على أراضيها وإنما جهوده الثورية ستبدأ بأول يوم يصل فيه إلى دمشق.

نشاط الغسيري في دمشق (سوريا)

الواقع أن الارتباط بين الشعبين السوري و الجزائري ليس ناتجا فقط عن الانتماء و البعد القومي، بل كان ناتجا عن تواجد الجالية الجزائرية بسوريا ، المستقرة هناك عقب إبعاد الاستعمار الفرنسي للأمير عبد القادر من الجزائر إلى سوريا سنة 1852 و اختياره لها منفى له، و قد لعب الجزائريون المتواجدون بسوريا دورا فعالا بجانب إخوانهم السوريين سياسيا وإعلاميا وتعبويا من أجل التحسيس و التعبئة لمناصرة القضية الجزائرية، كما تميز الموقف الشعبي السوري بالتأييد المطلق للثورة الجزائرية و الانتقاد الشديد لأي موقف لحكوماتهم لا يرقى إلى الأهداف و الوسائل الكاملة لحرب التحرير الجزائرية ، مطالبين سواء عن طريق المظاهرات أو في المجلس النيابي بمقاطعة فرنسا، والتدخل لدى الجامعة العربية لاتخاذ موقف فعال وواضح و مؤيد دون تحفظ لتحرير كل الأراضي العربية المحتلة[1].

لقد تعززت هذه الروابط و الجهود بعد فتح مكتب لتمثيل جبهة التحرير الوطني في دمشق، و الذي عين على رأسه المناضل عبد الحميد مهري، و لحق به الأستاذ محمد الغسيري كمساعد له، و نسج الممثلون علاقات وطيدة سواء مع القاعدة الشعبية في سوريا أو مع قياداتها من الرئيس القوتلي و الوزراء حيث كشف هذا التواصل عن تدعيم سوري واسع و مطلق للثورة الجزائرية و نضال شعبها المرير[2] .

(1) جريدة المجاهد : العدد 78، الصادرفي3 أكتوبر 1960 ، ص3.
(2) إسماعيل دبش: السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية(1954- 1962)، دار هومة الجزائر ،2007، ص 83.

و بهدف تدعيم الوجود السياسي الجزائري دوليا عمل الغسيري و ممثلي الجزائر على استغلال أي حدث وطني بسوريا له طابع دولي للتحسيس بالقضية الجزائرية و اشراك الجزائر مباشرة فيه مثلما حدث في معرض دمشق الدولي (أكتوبر 1957) ، و الذي شارك فيه الجزائريون دوريا كما استغلوا هذه التظاهرة لجلب الاهتمام و اللقاء مع الوفود الرسمية بتشجيع وتنسيق مع قادة الحكومة السورية و على رأسهم الرئيس القوتلي نفسه الذي خص جناح الجزائر بزيارته و أكد وقوف حكومته دون تحفظ بجانب القضية الجزائرية[1].

أما على المستوى العسكري فقد عمل الغسيري و رفاقه على كسب التأييد السوري الذي تضمن إرسال أسلحة و معدات عسكرية عن طريق مصر، بالإضافة إلى تدريب فرق من أعضاء جيش التحرير بما فيها التدريب على الطيران العسكري [2] كما كان الطلبة الجزائريون هناك يعاملون كسوريين حسب الكثير من الشهادات و يشاركون في الاحتفالات و الأعياد الوطنية الرسمية كجنود و ضباط سوريين مرتدين الزي العسكري السوري بل تعدى ذلك إلى مشاركة بعضهم حتى في الاستفتاءات الوحدوية ، كالاستفتاء على الوحدة بين سوريا و مصر سنة 1958.

و لم يقتصر نشاط الغسيري و رفاقه على ما ذكر أنفا فقط ، فقد تعددت انشغالاتهم و التي نذكر منها اهتمامهم بالبعثات الطلابية هذه الأخيرة التي كانت في البداية مقتصرة على مصر و حدها حيث تمكنت جمعية العلماء بواسطة مكتبها بالقاهرة من الحصول على عدد من المنح الدراسية سواء من الجامع الأزهر أو من وزارة المعارف المصرية لأبناء الجزائر خلال عام 1951[3] و الأعوام التالية له ، و بعد رحلة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي و استقراره بالقاهرة تمكن من الحصول على منح أخرى للطلبة الجزائريين في كل من العربية السعودية و سوريا ،أما المركز الذي يشرف منه الشيخ على هذه البعثات و يصرف شؤونها فيوجد في

(1)المجاهد: العدد 94 ، الصادرفي 25 أفريل 1961، ص 6 .
(2) المجاهد: العدد 65 الصادرفي 4 أفريل 1960 ، ص 1.
(3) البصائر:السلسلة9 ،عدد 151، سنة 1951 ، ص1.

القاهرة حيث يقــيم هو في معظم أوقات العام ، و قد لعب كل من مهري و الغسيري جهودا لا يستهان بها في سبيل الحصــول على الرعاية السورية للطلبة الجزائريين في معاهدها و ضمت البعثة الطلابية الأولى لجــــمعية العلماء إلى سوريا عشرة طلاب و هم (بلقاسم النعيمي، عبد السلام العربي، علي الرياحي، عــبد الرحمان شطيطح، العربي طرقان، مرتضى يقاش، عبد الرحمان زناتي، حنفي بن عيسى، محمد خمار،و عبد الله ولد عوالي)[1].

و تعد هذه الجهود الجبارة التي صــهرت عليها البعثة الممثــلة للثورة الجزائرية وطــبع نضالها في سبيل الحرية و حرصت على زيادة إعداد الوفود الطلابية، حتى تحولت سوريا إلى مركز إشعاع ثقافي بالنسبة للجزائريين و لم ينقص من دورها كمركز إشعاع ثوري لهم.

الغسيري و صوت الجزائر من دمشق

لم تشأ دمشــــق أن تبقى بعيدة عن الساحة الإعلامية بخصوص الجزائر و ثورتها، مما جعل الشهادات تجمع على أن وسائل الإعلام السـورية لم تقصر لحظة واحدة في حق الثورة الجزائرية بالإضافة إلى الجالية الجزائرية العتيدة في الشــــام و لفيف من الطــــلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم بهذا القطر و الذين اعتبروا من أقدس واجباتهم الإســــهام في المعركة برؤاهم وأمالهم في النصر و الحرية مما كون صوتا إعلاميا كان يدوي في المشرق العربي باسم الجزائر، و قد ترأس الشيــــخ محمد الغسيري البعثة الإعلامية في دمشق طالبا من السلطات السورية منح الجزائر فســــحة في وسائلها الإعلامية[2] و سرعان ما لبت النداء و حققت الرجاء حيث صدح صوت الجزائر الثائرة من إذاعة دمشق و تحمل طيلة المدة الأولى ممثل جبهة التحرير في دمشق

(1)تركي رابح :البشير الابراهيمي في المشرق العربي مجلة الثقافة العدد 87 مايو،يونيو 1985 ، وزارة الثقافة و السياحة الجزائر ،ص 87.
(2)الأمين بشيشي : دور الإعلام في معركة التحرير ـ مقال ـ الثورة الجزائرية أحداث و تأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة، مطبعة قرفي باتنة ،1994، ص 183.

المجاهد محمد مهري عبىء بث البرنامج كاملا، بحديثه عن الكفاح المسلح و تعليقه السياسي أو تحليله الإخباري، و ذلك كل يوم يساعده أحيانا محمد الغسيري، ثم تم الاستعان بجمع من الطلبة الجزائريين الدارسين في جامعة دمشق الذين كانوا يتداولون على البرنامج يوما بيوم و اذكر منهم الهاشمي قدوي، محمد بوعروج و منصور الصم [1] و غيرهم.

و للإشارة فان أهم ما ميز البرنامج الجزائري في إذاعة دمشق هو انه كان حرا لا يخضع لأية رقابة من أي نوع حسب ما تذكره بعض المصادر غير أن تغيير الحكم في سوريا بانفصالها عن مصر سنة 1961 وخروجها من الجمهورية المتحدة غير الأحوال، حيث أعرب المسؤولون الجدد للمشرف على البرنامج عبد الحميد مهري عن ضرورة تسليم النصوص المزمع بثها للرقابة قبل تسجيلها، إلا أن البعثة الجزائرية و على رأسهم الغسيري رفضت ذلك و اتخذت قرار وقف الحصة و عليه سكت صوت الجزائر من إذاعة دمشق [2] التي بقيت تتناول القضية الجزائرية برؤى و أصوات شامية.

و إذا كان هذا الصوت قد سكت في دمشق فان الوفد الجزائري في المشرق العربي بقي ملازما لوفائه الإعلامي و حرص أن يستمر صوت الجزائر بالقاهرة و لم يغفل عن هذا الدور في استغلال وسائل أخرى بسوريا كالجرائد و المحاضرات و التظاهرات الثقافية ،يعرف بواقع الثورة الجزائرية و يرد على الدعاية الاستعمارية.

مؤتمر الخريجين بدمشق 1956

عمل الوفد الجزائري في سوريا على استغلال كل المناسبات لحشد الدعم والتأييد للقضية الجزائرية و استغل فرصة انعقاد مؤتمر الخريجين بدمشق يوم 19 سبتمبر 1956 و الذي حضرته شخصيات فكرية ونضالية كبيرة آنذاك أمثال الأمير محمد الخطابي شقيق عبد الكريم الخطابي و ميشال عفلق و الأستاذ سامي الدهان و أمل الجزائري و غيرهم ، حيث حضر وفد الجزائر ممثلا في الشيخ توفيق المدني و محمد مهري و محمد الغسيري و قد انتخب لرئاسة المؤتمر الزعيم اللبناني الكبير حميد فرنجية[3] شقيق الرئيس اللبناني (1975) سليمان فرنجية.

و رغم أن هذا الاجتماع كان من اجل تأييد موقف مصر في الأزمة التي مرت بها جراء العدوان

(1) الأمين بشيشي :المرجع السابق ، ص 184.
(2) المرجع نفسه، ص 185.
(3) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق ، ص 207.

الثلاثي (إسرائيل، فرنسا، بريطانيا) عليها في 26 جويلية 1956، و حرص المؤتمرون على عدم تشتيت اتجاه المؤتمر و كل ما قيل خلال يومين كان خاصا بالموقف المصري الذي وصف بأنه موقف عربي عام ،إلا أن ممثلي الجزائر التقوا بالوفود العربية كالوفد العراقي الذي كان على رأسه المناضل صديق شنشل و حاولوا لفت انتباه الرأي العربي الذي كان منصبا على الأزمة المصرية و القضية الفلسطينية في هذه الفترة، و هو ما عكس حرص الغسيري و رفاقه على قضيتهم التي كانت بمثابة قضية كل العرب.

أسبوع الجزائر بدمشق

اتخذ موقف التأييد السوري شعبا وحكومة أشكالا متعددة و الذي امتاز بالاندفاع الطبيعي الثابت نحو تحقيق أهداف الشعب و القوى التحررية في الجزائر، ودحر الاستعمار الفرنسي هذا رغم الأوضاع التي كانت تمر بها المنطقة العربية ككل ، و لم يتوان الشاميون في مد هذه الثورة بالمال و السلاح و نضموا أسبوعا للجزائر بدمشق، و هذا بالتنسيق مع ممثلي جبهة التحرير الوطني بسوريا و على رأسهم عبد الحميد مهري و محمد الغسيري ، و امتد هذا الأسبوع حتى يوم الأربعاء 15 مارس 1957 حيث حضر وفد جزائري من القاهرة باعتبارها تضم المكتب الرئيسي للجبهة في المشرق العربي، و اشتمل الوفد على(الشيخ البشير الإبراهيمي، فرحات عباس، احمد فرنسيس، عمر دردور، عبد الرحمان كيوان و عمر عمران) فاستقبلوا من ممثلي مكتب دمشق ثم التقوا بلجنة أسبوع الجزائر* ووزير الخارجية السوري صلاح الدين الطرزي الذي طلبوا منه دفع المتحصل عليه من ذلك الأسبوع في حساب الجبهة الخاص بدمشق، و في يوم 15 مارس 1957 تم استقبال الوفد من طرف الرئيس السوري شكري القوتلي و أمضى بيانا مع وفد جبهة التحرير المؤلف من(الإبراهيمي ،مهري ، الغسيري،

(1)إسماعيل دبش : المرجع السابق ، ص 78.

*- المتكونة من (الدكتور المعروف الدوالبي، محمد المكي الكتاني، محمد المبارك، رياض العابد، عبد الرحمان الطباع، عبد الرؤوف أبو طوق، عثمان النوري، سعيد العربي)

توفيق المدني، احمد فرنسيس، اوعمران، عمر دردور، عبد الرحمان كيوان، العباس بن الشيخ الحسين) و تحصل الوفد على ثلاث شيكات بمبلغ 1800000ليرة سورية و 1323049 دولار أودعت في حساب الجبهة بدمشق [1]. كما استلم في نفس السنة مكتب الجبهة بدمشق صكا أخر قدره مليار وخمسة ملايين فرنك ، و للإشارة فان هذه الدعم المالي السوري لم يكن الأول والأخير من نوعه بل ظلت بلاد الشام تمد الثورة الجزائرية بأضعاف هذه المبالغ منذ اندلاعها حتى الاستقلال و هذا بفضل النشاط الكبير الذي أداه أعضاء مكتب دمشق مثل مهري و الغسيري و رفاقهم و علاقاتهم الوطيدة التي كانت تربطهم بالسلطات و الشعب السوري.

الغسيري في وفود جبهة التحرير الوطني :

أدى الغسيري دورا نشيطا يشهد له الكثير من رفاقه كالأستاذ عبد الحميد مهري و احمد توفيق المدني في مذكراته و ظل يخدم القضية الجزائرية بما أوتي من قوة و إيمان، سواء كان ذلك في الجزائر أو في المشرق العربي ، و لم يكن ذلك ليكون قائدا من قادتها و لا بطلا من أبطالها و إنما كان خادما لها مطيعا لأوامرها و هو الشيء الذي لاحظته عليه قيادة الثورة فأوكلت له مهمات ثقيلة في كل مرة وهذا ليس لشيء إلا لكونه محل ثقة و في مستوى هذه المهام .

فإلى جانب الدور الكبير الذي كان يلعبه في سوريا كانت جبهة التحرير تعينه في مهام رسمية في وفودها إلى منطقة المشرق العربي سواء كان ذلك لحل بعض المسائل العالقة أو لحشد التدعيم و التأييد، و تذكر المصادر أن الغسيري كان موفدا لأكثر من مرة إلى المملكة السعودية و لبنان و الدول العربية في المنطقة ،على غرار المهمة التي كان على رأسها الغسيري و العباس ابن الشيخ الحسيني إلى المملكة العربية سنة 1956[2] بغرض طلب دفع المال المتحصل عليه في السعودية إلى حساب جبهة التحرير مباشرة ،عكس ما كانت تقوم به اغلب الدول العربية بتنفيذ اتفاقها مع مصر التي تتولى مهمة تنفيذه لحساب الجبهة.، لكن الغسيري لم يجد لدى السعوديين نتيجة تذكر، و حصل على ألف دولار منهم بصفة شخصية سلمها بأمانة لخزانة الوفد ، كما تسجل الوثائق التي بين أيدينا وصول الوفد المكون من الغسيري، احمد بودا و الشيخ العباس

(1) احمد توفيق المدني: المرجع السابق ،ص ص 301-302.
(2) المرجع نفسه ، ص302 .

للتفاوض مع الإدارة السعودية مرة أخرى حول نفس المطلب، و الذي تصادف مع موعد اختتام أسبوع الجزائر بالمملكة و الذي تم في 17 جانفي 1957 و سلم مقدار مليون دولار للإدارة المصرية بحضورهم ، حول لانجاز صفقة سلاح كما تؤكد لنا المصادر و الوثائق أن الغسيري تنقل ضمن وفد الجزائر إلى الجامعة العربية للعديد من المرات[1].

و في أثناء هذه المدة التي قضاها الشيخ الغسيري و رفاقه في تمثيل ثورة الجزائر في المشرق العربي لم تثنهم الصعاب و لا ضغوط الاستعمار من أداء واجبهم، إلى أن بدأ عهد الفرز بانتهاء تجربة تاريخية شائكة وحاسمة وضعت الحكم الاستعماري في الجزائر وضعا أخيرا على محك الرحيل ووقفت بزعماء و رجال التحرر أمام مسؤوليتهم التاريخية التي لا تحتمل أي تردد.

و خلاصة القول أن مترجمنا تعددت مواهبه و جهوده في خدمة القضية الجزائرية في المشرق العربي ذهابا وإيابا على مراكز القرار في كل من بلاد الشام و الحجاز و مصر ارض الكنانة ،و هذا النجاح ما كان له أن يتم لولا صدق الغسيري في مساعيه الحميدة التي تهدف إلى تحرير بني جلدته في الجزائر من قبضة الاستعمار الفرنسي المتسلط ، كما يظهر لنا هذا النشاط و ضع الدبلوماسية الجزائرية الناشئة على طريق سليم و قويم فجهود الغسيري ورهط من رفاقه تحدوا قوة فرنسا و تمسكها بالادعاء القائل أن الجزائر جزء لا يتجزء من فرنسا، فهذا الرعيل أبطل هذه النظرية الاستعمارية و راح يحقق النتائج تلوى النتائج حتى أصبحت القضية الجزائرية محل اهتمام و رعاية من قادة و ملوك الأمة العربية، و لا نبالغ إذا قلنا أن الغسيري كان له الفضل كبير في وصول و إرسال النجدات إلى المناضلين في الجزائر و المجاهدين في الجبال، فبالمال الذي كان يقدم كممثلي الثورة في المشرق العربي ما فتئت تنفك العديد من الأزمات و قدمت الفرص أكثر فأكثر لاستمرار الثورة ، و عززت صفقات الأسلحة قدرات الثوار و رفعت من نشاطهم المسلح.

لقد أخذت بلاد المشرق على عاتقها مد الثورة بالأسلحة و المؤونة اللازمة للعمل الثوري هذا من جهة، ومن أخرى فان الر جل و بشهادة رفاقه في درب النضال يجمعون انه كان متفانيا تفانيا عظيما في سبيل الوصول إلى مصدر المال والسلاح عمودا العملية الثورية التحريرية في الجزائر.

(1) احمد توفي المدني : المرجع السابق، ص 418 .

و الجدير بالإشارة أن نشاط واهتمام الغسيري بالجانب الدبلوماسي سوف يستمر معنا حتى بعد الاستقلال أي فترة التعريف بالجزائر و احتياجاتها في المرحلة ما بعد الاستعمار، و الذي يعرف في أدبيات الثورة التحريرية بالجهاد الأكبر، جهاد البناء و التعمير و تحقيق الأهداف التي قامت من اجلها الثورة التحريرية سنة 1954 .

خاتمة الفصل :

بعرضنا لتفاصيل هذا الفصل توصلنا إلى النتائج التالية :

1-إن العمل الإصلاحي التربوي التعليمي و التنظيمي الذي كان يؤديه الغسيري في أوساط أبناء الجزائر لم يثنه عن العمل السياسي و الوطني ما دام ذلك كله يصب في قالب واحد و هو تحرير الجزائر، الشيء الذي يبرر انضمامه إلى حركة البيان و الحرية و طرحه لمطالب الشعب الجزائري أمام السلطات الفرنسية التي لم تعهد هذا النشاط السياسي على أبناء الجمعية.

2- النشاط السياسي للغسيري كان له اثر في دفعه للخروج مع الشعب الجزائري كواحد من أبناء هذه الأمة يوم 08 ماي 1945 للمطالبة بحقهم في الحياة الحرة الكريمة على غرار شعوب العالم مما أدى إلى سجنه.

3- إن النشاط الثوري للغسيري لا يقل أهمية عن نشاطه الإصلاحي الوطني، هذه الوطنية التي جعلت كمنه ممثلا بارزا للثورة الجزائرية في المشرق العربي في ما انعكس إخلاصه في الجهود الجبارة التي قام بها في سوريا و بلاد المشرق لجمع الدعم المعنوي و المادي للثورة الجزائرية و مدها بالسلاح و المال عمودا الحرب التحريرية الجزائرية.

4- تباينت و تعددت نشاطات الغسيري في سوريا فنجده في أيام الجزائر الثقافية بدول المشرق، و نجده في وفود جبهة التحرير تارة، كما نجده مفاوضا من اجل القضية الجزائرية في المؤتمرات و المنتديات الدولية تارة أخرى، وبذلك نعكس فضل هذا الرجل الذي حمل قضية شعبه إلى الدنيا كلها.

الفصل السابع

دورالغســـيري في مرحلة البناء والتشيـــــيد .

المبحث الأول :دوره الدبلوماسي .

المبحث الثاني : مكانته في القيادة السياسية .

خاتمة الفصل .

مقدمة الفصل

بعد استظهار جوانب من المسار النضالي للشيخ الغسيري كمصلح و معلم ثم كمناضل سياسي و مجاهد في صفوف الثورة جاء مرحلة البناء و التشييد في عهد الجزائر المستقلة و لا يزال الغسيري مستمرا في أداء واجبه لوطنه و هذه المرة و ضعنا فصلنا من مبحثين:

في المبحث الأول تطرقنا إلى الدور الدبلوماسي للغسيري و حقيقة تعينه سفيرا للجزائر في المملكة العربية السعودية منذ سنة 1963 إلى غاية 1970 و عمله المتميز و قدرته على النفوذ في أوساط المملكة لنسج العلائق بين الدولتين الشقيقتين بالإضافة إلى المهام المسندة إليه في تلك الفترة التي تعتبر حساسة و مصيرية بالنسبة للأمة العربية لتشعبها بالكثير من القضايا الإيديولوجية و القومية. ثم تعيينه كسفير للجزائر في دولة الكويت و ممثلا عنها في الكثير من بلدان الخليج العربي.

و المبحث الثاني حاولنا أن نظهر المكانة المرموقة للغسيري في القيادة السياسية سواء بالجزائر آو بالخليج و حقيقة رفض الرئيس بومدين لطلبه بإعفائه من هذه المهام و تعيينه وزير التربية الوطنية.

الدور الدبلوماسي للغسيري بعد الاستقلال 1962

واجهت الجزائر اثر حصولها على الاستقلال في 05 جويلية 1962 كما هو معروف مشاكل تنمية عويصة و ظروف متعبة نتيجة الإرث الثقيل للعهد الاستعماري الطويل ، و زاد من حدة هذه الصعوبات الخلافات و اختلاف الآراء و تباين المواقف التي لم تحسم أثناء الكفاح المسلح و أجلت بحجة لم الشمل و توحيد الصف لمواجهة العدو .[1]

و انطلقت الجزائر المستقلة في عملية عميقة و شاملة للإسراع في بناء و تأسيس مؤسسات و هياكل الدولة بمفهومها الحديث ،و بذلت الجهود سواء في تنظيم الإدارة أو الاهتمام بالقضايا الحضارية أو طرح خطط للتنمية بالتركيز على الجانب الاقتصادي و المعيشي للمواطن ، الذي ظل محروما من هذه الاهتمامات لفترة طويلة [2] ، حيث تحولت الثورة إلى أفكار و مشاريع و تطلعات و إلى مؤسسات و قوانين و أجهزة .

و من الملاحظ أن حالة التحفز و الوعي بالذات التي تصاحب المد الثوري ، و التي عرفتها الجزائر منذ الكفاح المسلح و الثورة التحريرية تدفع إلى مشروع حضاري هادف لخلق إنسان جزائري غير قابل للاستعمار ، قادر على المساهمة في بناء مجتمع متطور [3] .

و بقدر ما كانت الجزائر منشغلة بالسياسة الداخلية و ترتيب أوضاع البيت الجديد ، فإنها لم تهمل السياسة الخارجية بل دفعتها الحاجة إلى ذلك و تحولت إلى أكثر من ضرورة ، و كان أن تعمد بهذه المهمة الصعبة و تمثيلها الخارجي إلى خيرة أبنائها ، بناءا على الاستمرارية ، و هم الذين كانوا يحشدون الدعم الخارجي للثورة التحريرية أيام المحنة الكبرى ، هذا الدعم الذي شكل إحدى ركائزها الأساسية .

---

(1) سليمان الشيخ :الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دار القصبة للنشر الجزائر، 2007 ،ص 434.
(2) محمد العربي الزبيري: المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1989 ص 65.
(3) ناصر الدين سعيدوني وآخرون: معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة، مطبعة قرفي باتنة ، 1992، ص 169 .

فبعد أن قضى الغسيري ما يقارب ستة سنوات في دمشق و المشرق العربي يخدم الثورة و يمدها بالدعم اللازم، عاد بعد الاستقلال مباشرة ليشارك الشعب الجزائري فرحته بالنصر و يقف على ثمرة الجهود المضنية ، و حط على ارض الجزائر المستقلة بعدما غادرها تحت طائلة القمع الاستعماري، و إدراكا لدوره الملحوظ و سمعته الحسنة في بلاد المشرق فقد تم تعيينه من قبل الحكومة الجزائرية الفتية سنة 1963 سفيرا للدولة الجزائرية المستقلة لدى المملكة العربية السعودية[1]، هذه الأخيرة التي كانت لها مكانة دينية و قطرية عند مسلمي الجزائر فهي كانت قبلتهم منذ عهود طويلة ، و إذا كانت السعودية هي الوجهة الأولى التي حط بها الغسيري رحاله في هذه المهمة الجديدة ، فلا غرو أن نجد اختياره لهذه الدولة جاء لمعرفته السابقة لقياداتها و ملوكها. ألم ينزل عليها ضيفا سنتي 1956 و 1957 [2]، هذا من جانب، و من جانب أخر فان المملكة تعتبر الأهم في ممالیك الخليج العربي و التي وحدت أراضيها و استقلت مبكرا، و من هذه المقومات الأساسية رأت أيضا القيادة الجديدة في الجزائر أن تعينه بالسعودية في وقت كانت الجزائر في حاجة ماسة إليه.

استطاع الغسيري السفير ببعد نظره و حنكته السياسية و مرونته الدبلوماسية أن يربط علاقات وطيدة بين البلدين و أصبح محل تقدير بالغ و اهتمام كبير من قبل الملوك و الأمراء السعوديين خاصة و الخليجيين عامة، مهتما بجميع القضايا المعاصرة آنذاك كالوحدة العربية والقضية الفلسطينية.

كان الحديث عن الشخصية العربية للدولة الجزائرية الفتية بعد الاستقلال يقتضي في آن واحد تقييما جديدا للماضي و انطلاقا إلى المستقبل ، أي أنه يعني في أن واحد حركة استعادة للمنظور العربي إلى الجزائر على أساس أنها دولة عربية و شعب عربي يمد بجذوره الأصيلة إلى هذه الأمة و حركة تجاوز للمواجهة الكولونيالية ، التي عملت على نفي الذات و انتزاع الإنسان الجزائري من شخصيته و هويته [3].

إن العمل الذي انكب عليه الغسيري الدبلوماسي في المملكة العربية السعودية و الكويت لا يمكن أن يحيد عن تلك الجهود التي عاشتها الجزائر سواء في الفترة مابين 1920- 1930 بتأثير

(1)محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس ،المرجع السابق ، ص 279 .
(2) احمد توفيق المدني :المرجع السابق ، ص 383.
(3) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 157 .

الأمير شكيب ارسلان الذي كانت له مراسلات متصلة مع الشيخ عبد الحميد بن باديس و مصالي الحاج و كانت الحركة الوطنية الجزائرية عندئذ شديدة الانتباه للتيارات السياسية و الثقافية في المشرق العربي، أو العلاقة التي توطدت أثناء الثورة التحررية[1] فهذا الاختيار بالنسبة للجزائر كان أكثر من ضرورة لذلك كانت مهمة ممثلي الدولة الجزائرية في المشرق أمثال الغسيري يأخذون بكل فرصة من اجل شرح الوضع الجزائري الذي كان ينظر إليه في هذه الربوع انه استنفذ جزءا كبيرا من عروبته ، فانصبت جل اهتماماتهم على استعادة هذا الانتماء سواء من خلال المحاضرات التي كانوا يلقونها في المعاهد و دور الثقافة أو من خلال برمجة أيام ثقافية للجزائر و التعريف بمدى تمسك الجزائريين بالتقاليد العربية الموروثة عبر الأزمنة ، بالإضافة إلى الكتابة في الجرائد والمجلات ، و قد ألقى الغسيري في هذا السياق كلمة في 01 نوفمبر1967 بمناسبة أول نوفمبر ذكرى انطلاق الثورة التحريرية بمقر سفارة الجزائر بالسعودية أمام عدد من السلطات المدنية و العسكرية و رجال الفكر و الصحافة حيث قال :« لقد دقت ساعة التحرير و انفلاق الشوس المغاوير من أبناء يعرب و نزار يشعلون الفتيل، يندلع البركان و يعم اللهيب و تلتقي النيران و يسقط أفواج الشهداء بلا حساب........ اجل لقد صمد الإبطال أمام السلاح الرهيب و اصطلى الشعب بنار الحرب و الهوان قرابة ثماني سنوات فما لانت لهم قناة و ما ضعفوا و ما استكانوا...»

«... إن بلوى الاحتلال إذا أصاب دولة عربية أو إسلامية فكأنما أصاب الدول الباقية و أن استقلال دولة عربية آو دولة إسلامية فكأنما زاد ذلك لبنة طيبة و عودا احمد إلى لم شمل الأمة العربية الإسلامية...» [2].

و في الوقت الذي استعادت فيه الجزائر استقلالها كان بمثابة نهاية الجهاد الأصغر و بداية الثورة الشاملة التي تعددت جوانبها و كثرت ميادينها و جبهاتها ، و التي كانت حملا على كاهل أبنائها كل في اهتمامه، فهي تخوض حربا ضد أسماء المدن و القرى ، بتحويلها إلى أسماء عربية و جزائرية و ضد المعالم المشوهة لاسترجاع طابعها الحقيقي و حربا للمحافظة عن وحدة ترابهـــا الإقليمي ، هذا من جانب و من جانب أخر اهتمت ممثليات الجزائر في الوطن العربي

(1) سليمان الشيخ : الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دار القصبة للنشر الجزائر 2007، ص 519.
(2)محمود الواعي وآخرون :تاريخ الأوراس ، المرجع السابق ، ص 282.

على كسب التأييد في مرحلة البناء بعدما نجحت بكسبه في مرحلة الثورة ، فقد كانت حاجة الجزائر ماسة لتكوين إطارات في مختلف الاختصاصات العلمية الإدارية و الثقافية و هذا الهدف كان من أولويات الدبلوماسيين ، الشيء الذي أثمر عن تأطير الجامعات و المعاهد الشرقية للبعثات الطلابية الجزائرية و تكوين الرعيل الأول من إطارات الدولة الحديثة[1].

إن الإرث الاستعماري الثقيل الذي عاشته الجزائر في سنوات الاستقلال الأولى من الفقر و الجهل و الأمية و مختلف الأمراض و الأوبئة جراء سنوات الثورة الطويلة كان يلح عليها أن تجد له مخرجا فوريا ، و هو الأمر الذي لم يكن بمتناولها بسبب الوضعية الاقتصادية العاجزة التي أشبه ما يقال عنها أنها راكدة و بدائية فكان لزاما أن تتجه إلى الدول الصديقة و الشقيقة لكسب المعونة[2] على تجاوزها ، و سعت بذلك عن طريق ممثليها أمثال الغسيري الذي عرف عنه نشاطه الحثيث و المستمر و استطاع أن يجمع الكثير من الخيرات التي تفضلت بها دول الخليج العربي على شعب الجزائر من مواد غذائية و طبية و أغطية و أموال و غيرها ، و ان لم يتسنى لنا أن نقيم مقدار تلك المعونات.

إن المتتبع للمسيرة الرائدة للشيخ محمد الغسيري سيلمس لا شك إخلاصه لوطنه و شعبه على مر كل الفترات سواء في الفترة الاستعمارية أو مرحلة الثورة التحريرية أو في عهد الدولة الجزائرية المستقلة ، و ظل خير سفير للجزائر يحمل همومها و يقدم لها من الخير كل ما حملته القدرة عليه.

وباعتبار المملكة السعودية دولة المقدسات الإسلامية و قبلة المسلمين نحو مكة المكرمة و المدينة المنورة التي يفد إليها الحجاج من كل أنحاء العالم ،و قد جرت العادة أن يعمل سفراء دول الإسلام على ترتيب أمور الإيواء لحجاجهم ، لذلك اخذ الغسيري و هو ممثل الجزائر في هذه البقاع أن يوفر أجواء الراحة لآلاف الحجاج الجزائريين الذين كانوا يقصدون البيت الحرام كل سنة ،

(1) محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2007، ص 296

(2) جودي الأخضر بوطمين: مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها، دار البعث قسنطينة،ط1، 1993، ص 94

و يعمل على التنسيق مع شركات النقل الجوي لنقل هؤلاء الحجاج و يحرص على إيوائهم سواء في الإقامات المخصصة أو الخيام[1].

و الحق أن العلاقات الشخصية الجيدة التي كان الغسيري يربطها مع القيادة السعودية خاصة الملك فيصل حصدت لها نتائج ايجابية مع بعثات الحج الجزائرية ، خاصة و أن الجزائر في تلك الفترة لا تزال تفتقر إلى الكثير من الإمكانيات سواء المادية أو الصحية لتسيير مثل تلك البعثات.

و لم تقتصر جهود الغسيري الدبلوماسية على القضايا الاجتماعية و الاقتصادية فقط بل تعدى ذلك إلى الاهتمامات التي كانت تخص قضايا التحرر والتي تتخذ من القضية الفلسطينية مصيرا عربيا منذ الاستعمار. فقد تشكلت في نوفمبر 1947 بالجزائر لجنة الدفاع عن فلسطين برئاسة البشير الإبراهيمي و استمر هذا الموقف بعد الاستقلال الوطني و بقي الجزائريون يتألمون لمحنة الشعب الفلسطيني، و لعل الموقف الذي اتخذته الجزائر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة و بريطانيا سنة 1965 و منع تصدير البترول إليهما خير مثال على ذلك[2]، وكما جندت الجزائر كل ممثليها لتدعيم الموقف الجزائري اتجاه القضية الفلسطينية و اتخذت من البترول سياسة دفاعية للضغط على حلفاء الكيان الصهيوني ، و جعلت من ذلك قناعة راسخة لدى الدول العربية المصدرة للبترول خاصة منها الخليجية و هو الشيء الذي مهد للقرار المتخذ سنة 1973 بوقف تصدير البترول إلى هؤلاء الحلفاء.

و في هذا الصدد انكب الغسيري على شرح بطولات الثورة الجزائرية و جعلها قدوة لتحرير الأراضي الفلسطينية ، و لترك بالغ الأثر في نفوس قادة وقيادات شعوب الدول الخليجية التي كانت لها وجهة رأسمالية و تربطها علاقات معتبرة مع الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا[3].

و نخلص بالقول أن اهتمامات الغسيري الدبلوماسية كانت من اهتمامات الجزائر في تلك الفترة بين بداية الستينات و منتصف السبعينات ، و على امتداد احدى عشر(11) سنة ، كان الرجل الذي هام بالجزائر و تعلق بالعدالة الاجتماعية و البناء والتنمية بها يلعب دورا بارزا في بعث دور الجزائر القومي و العربي و تمكينها من استكمال استقلالها السياسي و الاقتصادي ، و

(1) إسماعيل دبش : المرجع السابق، ص 244.
(2) أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية(1962- 1972) ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1972، ص 38.
(3) احمد طالب الإبراهيمي: مذكرات جزائري ،ج2، دار القصبة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2008، ص 336.

استعادة مكانتها بين مصاف الأمم[1]، و لن نبالغ إذا قلنا أن الغسيري بنضاله الطويل ، و رغم أن نشاطه الدبلوماسي لا يندرج إلا ضمن مهام السفراء و الممثلين إلا أن علاقاته الشخصية التي نسجها إبان الثورة التحريرية في منطقة الخليج ساهمت كثيرا في إنجاح هذا الدور.

الوحدة العربية:

في سياق القضية الراهنة أنذاك وهي الوحدة العربية ، ينطلق الغسيري من القناعة بأن الوطن العربي يملك القدرات الضرورية التي ستتيح له أن يصبح من أكثر المناطق ازدهارا اقتصاديا مما يجعله قوة سياسية معتبرة ، و أن فرصة تاريخية تنفتح أمامه و من واجبه أن يشرع في إحداث التغيرات الكبرى في الميادين الاقتصادية و الثقافية و التقنية ، و تكوين الإطارات التي يحتاج إليها ، و خلق الظروف الموضوعية لتحقيق تحرره الشامل ، إذ أن المشكل لم يعد يطرح على مستوى الوسائل منذ أن صارت الأقطار العربية تتحكم في مواردها بل القضية في منظوره أصبحت في الاختيار و الإرادة السياسية[2].

و من هذا المنطلق ، كانت جهود الغسيري و غيره من رفاقه السفراء في المشرق العربي منصبة على شرح موقف الجزائر التي كانت تعمل بإصرار في سبيل الوحدة العربية و تؤمن بإمكانيات تحقيقها ، لأنها أصبحت أكثر من ضرورة في وقت التكتلات الكبرى و ما شهدته المنطقة من أحداث خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 ، و المواجهة العربية الإسرائيلية سنة 1967 ، لكن مفهوم الوحدة الذي كانت ترمي إليه الجزائر ليس مجرد اتفاقات حكومية أو وحدة تمليها أوضاع ظرفية مؤقتة بل التحولات الاقتصادية والاجتماعية و الاختيارات السياسية التي تستلزمها على مستوى الجماهير العربية هي التي تصبح العامل الحاسم لتحقيق هذه المهمة التاريخية [3].

و هذه الإرادة يجب أن تتجه نحو أهداف مجسدة تعكس مصالح الجماهير الشعبية و يكون كل واحد منها قطبا تتبلور حوله التطلعات الوحدوية على الرغم من الفروق السياسية ، و الاختلافات في الرأي حيث يجب تجاوز بعض الأحوال الظرفية لإرساء قواعد الوحدة ، بإنشاء مشاريع مشتركة في جميع الميادين و العمل على جعل تداخل المصالح يزداد و يتعمق باستمرار[4]، لقد

(1) المشروع التمهيدي للميثاق الوطني: الجزائر، 26 أفريل1976، ص 140.
(2)محمد عباس : الثورة الجزائرية ـ نصر بلا ثمن ـ ، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2007،ص658.
(3) إسماعيل دبش : المرجع السابق ،ص 243.
(4) إسماعيل دبش: المرجع نفسه، ص 244.

كان هذا الوعي القومي الذي أظهرته الجزائر تجاه البلاد العربية و السير في اتجاه الوحدة و هو الأمر الذي نشأ عليه الغسيري في مدرسة جمعية العلماء و إن كان حلما طالما كان من تطلعات الشعوب العربية في المشرق و المغرب، إذ أكسبه هذا التوجه ثقة اكبر و جهودا أوسع في سبيل تقريب وجهات النظر و زاده حماسا و نشاطا مما جعله يحضى باحترام و تقدير الدواوين الملكية ، سواء كان ذلك في المملكة العربية السعودية أو الكويت وبلاد الخليج فيما بعد.

وتعكس الجهود التي يبذلها الغسيري في الخارج من حيث مبدأ السياسة الاقتصادية و الاجتماعية القائمة في الداخل بغرض دفع التنمية التي كانت محل اهتمام على المستوى الوطني و القومي و من هنا فان السعي لبلوغ هذه الوضعية المناسبة و الدائمة كانت تستلزم :

- تحديث الزراعة و توسيعها و تصنيعها مما يمكن من تخفيض المستوردات في الوقت الذي انشغل فيه الوطن العربي بالأمن الغذائي و تغذية السكان بما تنتجه البلاد.
- التصنيع الذي يتطلب انطلاقه و انجازه موارد هائلة لكنه يرسي القواعد التي يؤديها على المدى البعيد إلى تحرير البلاد من التبعية للخارج.
- رفع قيمة المواد المصدرة و تنويعها والذي يوفر مزايا تصدير فائض القيمة و تلك إحدى علامات النجاح في التنمية.
- إنشاء وسائل وطنية في قطاعات النقل و باقي الخدمات مما يتيح الأرباح الهامة في مجال العملات الصعبة[(1)].

و على هذه الأسس كان التنسيق الذي انكب عليه الغسيري مع البلدان العربية في المشرق لمسايرة مقتضيات التنمية و الاستقلال الاقتصادي ، و بما أن منطقة الخليج العربي تعد احد الأقطاب الأساسية في مصادر الطاقة العالمية فقد سعت الجزائر من خلال هذا الدبلوماسي على رسم معالم سياسية بترولية عربية ، فقد ظهرت في منتصف الستينات فكرة إقامة منظمة عربية للنفط ، يكون هدفها تنسيق السياسات النفطية العربية و ربط النفط بالتنمية الاقتصادية و تنمية قدرات الأقطار الأعضاء في مختلف المجالات و الصناعات المرتبطة بها أو المنبثقة عنها ، و قد صدر قرارا بإنشاء المنظمة عن مؤتمر البترول العربي الخامس عام 1965، و في جانفي

(1) المشروع التمهيدي للميثاق الوطني:المصدر السابق، ص 159.

1968 [1] أعلنت ثلاث دول عربية هي السعودية الكويت وليبيا عن إنشاء منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ،هذه الأخيرة التي ستتحول فيما بعد إلى منظمة الدول المصدرة للبترول و من بينها الجزائر و هذا السعي للوقوف في وجه الاحتكار، الذي تمارسه الشركات البترولية العالمية و التي يصطلح عليها بالشقيقات السبع و مما يعكسه هذا الانشغال هو جانب مهم من التنسيق الدبلوماسي الذي ينسجه السفير الجزائري بالخليج العربي .

إن المملكة العربية السعودية بدأت تلعب دورا مهما على الساحة العربية، خصوصا أثناء و بعد حرب أكتوبر1973 بين البلدان العربية و إسرائيل ، فقد استعملت الدول العربية النفطية لأول مرة سلاح النفط ضد أصدقاء إسرائيل و اظهر هذا السلاح فعالية كبيرة فجمد وضع العديد من الدول الغربية التي تقف تقليديا مع إسرائيل و جعل البعض الأخر يعمل ما بوسعه لرفع حظر النفط الذي فرض عليه [2].

و لكن يؤكد البعض أن عدم متابعة استعمال هذا السلاح القاطع حتى إيجاد حل جذري و نهائي لمشكلة الشرق الأوسط ، بل خدم بالدرجة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك أن أرباح شركات النفط الأمريكي قد ازدادت زيادة كبيرة و استعاد الدولار عافيته بعدما أصابه انهيار كبير أواخر الستينات.

و استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية إعادة تنظيم المنطقة العربية و ذلك بغية ضمان سيطرتها الدولية والعالمية بمنأى عن المنطقة العربية ، هذه الأخيرة التي أدركت أهمية إبقاء نوع من العلاقة مع الولايات المتحدة و الدول الرأسمالية الغربية التي ترتبط بها اقتصادياتها و مسيرة التنمية ككل[3] الشيء الذي انكبت عليه الدبلوماسية العربية بمختلف مشاربها في تحضير الخطاب السياسي و الاقتصادي في تلك الفترة.

(1) محمود عبد الفضيل: النفط و المشكلات المعاصرة للتنمية العربية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت ،1990، ص 67.
(2) محمود عبد الفضيل : المرجع السابق ،ص 68.
(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 663.

مكانته في القيادة السياسية :

عمل النظام السياسي في الجزائر بعد الاستقلال على إرساء قواعد الدولة الجزائرية الحديثة انطلاقا من مواثيق بناء الدولة الجزائرية و المتمثلة أساسا في مواثيق الثورة التحريرية باعتبارها المرجعيات الأساسية لها و هي: بيان أول نوفمبر 1954 الذي حدد معالم الدولة الجزائرية المستقلة كجمهورية شعبية ديمقراطية قائمة على ثوابت الأمة و هي العروبة و الإسلام ، و مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 ، و ميثاق طرابلس جوان 1962 ، والتي كانت تتضمن في مجملها العديد من المبادئ و الطروحات السياسية، الاقتصادية، و الاجتماعية ، لتضبط إيديولوجية الدولة وانشغالاتها ، و بالإضافة إلى ذلك أسندت هذه المهمة إلى نخبة من أبناء الجزائر لإحداث تغيرات جذرية في المجتمع و تفعيل القدرات التنظيمية لاستهداف التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و تغيير مظاهر العهد الاستعماري الطويل، حيث شرعت في مرحلة البناء و التشييد[1].

و دون الدخول في الاختلافات التي صاحبت هذه الفترة بسبب غياب مفهوم الحكم رغم أن مفهوم الدولة كان موحدا ، إلا أن الكثيرين ممن كانوا يشكلون الوفود السياسية و العسكرية لجبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية بقوا بعيدين عن هذا الاختلاف[2]، ومن بينهم الشيخ محمد الغسيري الذي عينه الرئيس أحمد بن بلة سفيرا للجزائر بالمملكة العربية السعودية سنة 1963 اعترافا لقدراته من جهة و لمجهوداته الجبارة التي بذلها في سبيل استقلال الجزائر من جهة أخرى .

و قد حضي الغسيري بهذا الشرف و الذي وجد فيه طريقا آخر للاستمرار في خدمة شعبه ووطنه ، و هو الذي كرس جهوده كاملة كمناضل و رجل سياسي و دبلوماسي في تأدية مهامه ، الشيء الذي اكسبه احترام القيادة السياسية في الجزائر حتى بعد مجيء الرئيس هواري بومدين ، و ما صحبه من تغيرات طرأت على الساحة السياسية و الإدارية الجزائرية، حيث استمر الغسيري في هذا السلك و عينه سنة 1970 بعد ما قضى سبع سنوات بالسعودية سفيرا في الكويت وممثلا

---

(1) زبيحة زيدان: جبهة التحرير الوطني – جذور الأزمة – دار الهدى، الجزائر ،2005 ،ص 152.
(2) احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 436.

للجزائر في اليمن الجنوبية و الإمارات العربية المتحدة مع الإقامة في الكويت أين استمر في نسج العلائق المتينة بينها و بين الجزائر إلى أن وافته المنية سنة 1974.

لقد ذكرت الشهادات الحية لمقربيه أن الغسيري تقدم في بداية السبعينيات إلى الرئيس بومدين بطلب الإعفاء لمدة سنة من المهام السياسية بغرض التفرغ لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية كما لمسها في المشرق العربي ، إلا أن طلبه هذا لم ينل موافقة الرئيس لاعتبارات كثيرة سواء لحاجته الكبيرة اليه في هذا الوقت أو لكون غيابه يترك شرخا كبيرا في الدبلوماسية الجزائرية، و هذا الشيء من المعرفة والثقافة قد لاحظه عليه أيضا وزير التعليم العالي و البحث العلمي محمد الصديق بن يحي آنذاك الذي تذكر الشهادات انه طلب من زميله وزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقة أن ينتدب له الشيخ الغسيري في معهد العلوم السياسية بجامعة الجزائر لكن بوتفليقة رفض ذلك ورد عليه ممازحا « لن أرضى مقابل الغسيري و لو بعشرة أساتذة جامعيين » كما أوردت الشهادات انه في أوائل سنة 1974 وعد الرئيس بومدين الغسيري بتعينه وزيرا للتربية الوطنية خلال الصائفة من ذلك العام ، إلا أن القدر كتب للغسيري أن يرحل إلى جوار ربه قبل تحقيق ذلك[1].

إن كان هذاالقدر الذي ناله الرجل يدل على شيء فهو يعكس المكانة السامية و الثقة الملحوظة والوفاء العالي الذي أولاه هذا الشخص للجزائر، و لم يتغير بمرور الأيام بل ثبت على عهده غير مبال بالمنصب أو المال امتثالا لقول تعالى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا " و هكذا بقي الغسيري صادقا للجزائر مهتما بقضايا أمته ملتزما بتعاليم شيخه بن باديس يبحث في أصول الصعاب و يستأصلها مجتهدا على عهده في سبيل وطنه فوق كل اعتبار.

و الحق انه في اطلاعنا على الكثير من الوثائق و المصادر والشهادات خلصنا الى أن الغسيري كان يترفع عن الفتن و الاختلافات و الصراعات التي كانت تظهر من حين إلى آخر بين قيادات الثورة أو القيادات السيـــاسية بعد الاستـــــقلال ، و لم ينجر في أي تيار ضـــد آخر أو يجعل من نفســه خصما لأحد.

بل ظل بعيدا عن التكتلات التي كانت تقع داخل الوفد الخارجي آو بعض رجال الحكـــــــــومة

(1) محمود الواعي وآخرون ،تاريخ الأوراس ، الرجع السابق ،ص 278.

الاستقلالية. الأولى للجزائر، هذا على الصعيد الداخلي أما على الصعيد الخارجي فان الشيخ الغسيري ، سواء في إقامته الطويلة في السعودية أو في الكويت ، حضي بمكانة متميزة خاصة عند ملوك المملكة العربية الشيء الذي أهله أن ينال جائزة التقدير و الاحترام له و المتمثلة في حصوله على السيف الذهبي الذي كان يملكه جد آل سعود ، مما يعكس النفوذ الكبير له بين أفراد العائلة الملكية و تعلقهم به ، والواقع أن هذا الشرف و التقدير ما فتئ أن يحمله الغسيري أينما حل، الأمر الذي لازمه أيضا بإقامته في الكويت و تنقلاته بين دول اليمن و الإمارات العربية و مما تذكره الشهادات انه خلال زيارة الملك السعودي فهد بن عبد العزيز إلى الكويت سنة 1971 وجد في استقباله أعضاء السلك الدبلوماسي ومن بينهم الغسيري فأشار إلى هذا الأخير و قال لأمير الكويت « إن هذا كان في السعودية يأمر و نحن ننفذ»[1] فهي دليل عن المشورة و الرأي السديد الذي طالما وجده السعوديون لدى الغسيري.

و صفوة القول أن مترجمنا شرب من معين العلماء حتى بلغ صدى وطنيته كل الوطن العربي لا يفتأ يذكر الدروس الجليلة التي لقنته إياه محنة الجزائر فاستطاع أن يقدم الكثير و يوحي بالعديد من الأفعال الممكنة بل اقتاد الكثير من المهام البطولية و بذل فيها النفيس حتى جعل الحس العربي في الخليج يشعر بالحنين إلى الثورة الجزائرية ، و يتغنى بأمجادها و بطولتها و هذا إلى يومنا هذا مضرب المثل عن قيمة التفاني و التضحية في سبيل الحرية لقول الشاعر:

و للحرية الحمراء باب بكل يد مذرجة تدق

و بذلك استحق الغسيري أن ينفذ إلى قلوب القادة في الداخل و الخارج و ينال مراتب الشرف و المكانة الرفيعة ، ويبقى في نفوس وقلوب كل الجزائريين الذين عرفوه والغيورين على وطنهم ، ليبقى وبهذا شعلة متقدة في عالم العلم والاصلاح أيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ورمزا من رموز الحنكة الثورية والسياسية الجزائرية ، وعلما من معالم الدبلوماسية الجزائرية ،وأحد رجالات الجزائر الذين ستحفظ لهم الشرف والاعتراف بالجميل للخدمة النبيلة ، في الوقت الذي كانت فيه الجزائر ولا تزال بحاجة الى كل أبنائها الذين هم على شاكلة الغسيري.

(1) المرجع السابق ص 279

خاتمة الفصل

و بهذا الفصل الذي عرضنا فيه جملة النشاطات الدبلوماسية للغسيري بعد 1962 يمكن أن نخلص إلى هذه النتائج:

1-إن إخلاص الغسيري لقضيته الأولى و هي الجزائر لم ينته بمجرد استقلالها، ذلك انه عمل خلال السنوات الأولى من الاستقلال إلى حشد الدعم المادي و المعنوي من اجل إعادة بناء مؤسسات الدولة الجزائرية و هو بهذا كرس استمرارية على النهج الباديسي في مرحلة تشييد دولة عصرية ترقى إلى مصاف الأمم المتطورة، التي طالما تناولها في مقالاته (نهضة الأمم) .

2- تعدت اهتمامات و هموم الغسيري قضية الجزائر إلى اهتمامه بقضية الأمة العربية و تماسكها و وحدتها، التي وجد فيها عنصر قوتها لتحدي الصعاب و المحن التي يحاول الواقع الدولي آنذاك ان يفرضها على المجتمعات العربية، للحفاظ على استقلالها و مكانتها خاصة في ظل الصراع القائم بين المعسكرين الشرقي و الغربي.

3- الاهتمام بالقضية الفلسطينية باعتبارها ركيزة كل عمل تحرري بالمنطقة العربية و خاصة بالمشرق العربي، و محاولة توجيه الأنظار إليها خاصة بعد قيام الكيان الصهيوني و انهزام العرب في حروبهم معه.

4- وطنية الغسيري و وفائه للمبادئ و النهج الباديسي جعله ينفذ إلى قلوب كل الساسة و الشعوب في المنطقة العربية و صدقه و إيمانه بالحرية هما اللذان شحنا لديه الهمة ليحتل و يتبوأ مكانة اجتماعية و سياسية و ثقافية تميز بها كل أبناء و تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد الاستقلال و جعل كل هذا منه احد الوطنيين اللذين يمكن القول عنهم أنهم كانوا للجزائر مثلما كانت الجزائر لهم.

خاتمة البحث

تعتبر الفترة المدروسة من أهم الفترات في تاريخ الأوراس حيث شهدت صراعا مريرا بين الحركات الوطنية و الدينية من جهة و الاستعمار الذي كان يعمل على طمس الشخصية الجزائرية و الهوية الوطنية من جهة أخرى كما تقدم صورة واضحة عن الدور المتميز الذي لعبه العنصر الأوراسي في هذه الحركة التاريخية تجاه القضية الوطنية الجزائرية و من خلال ما تم عرضه و مناقشته في هذه الدراسة التي تطرح جانبا جوهريا من تاريخ الأوراس توصلنا إلى استخلاص النتائج التالية:

أولا- إن الإنسان الأوراسي ظل مقاوما عنيدا باعتراف الباحثين و المؤرخين و رغم الأوضاع المزرية و الصعبة التي وضع فيها المستعمر الفرنسي الأهالي الأوراسيين إلا أن ذلك لم يثني من عزيمتهم في تغيير أوضاعهم و إصلاح أحوالهم الشخصية بل الأكثر من ذلك كانوا يستغلون كل فرصة تنفتح أمامهم للتخلص من القيود المفروضة عليهم بأي شكل من الأشكال و تعتبر الحركة الإصلاحية الشكل الذي و جد فيه الأوراسي فرصة الانعتاق إثبات و جوده فاختارها سبيلا للمقاومة و التحرر.

ثانيا: أدت الزوايا و المؤسسات الدينية بمختلف أنواعها دورا بارزا في ترسيخ تعليم الدين الإسلامي و الثقافة العربية خاصة منذ القرن الثاني عشرة الهجري (18 م) أي بعد انتشار تعاليم الطريقة الصوفية الرحمانية في الأوراس. لكن بعد أن أصبحت هذه الزوايا مرتبطة بأسماء العائلات و سلكت منهج مسايرة الإدارة الاستعمارية حفاظا على مصالحها، اندثرت و أضحى البحث عن قوة بديلة أمرا مطلوبا أكثر من ذي قبل مما مهد للفكر الإصلاحي.

ثالثا : رغم كل الوسائل و الجهود التي بذلتها السياسة الاستعمارية و المبشرين المسيحيين بالأوراس إلا أنها لم تأت أكلها بالمستوى المطلوب أن لكم نقل بادت بالفشل الذريع سواء من حيث النفوذ إلى الوسط الأهلي أو الحد من انتشار العمل الإصلاحي و هذا باعتراف الفرنسيين

أنفسهم لهذه الحصانة الدينية و المقاومة المعنوية التي يتمتع بها سكان الأوراس و ظل المتجنس أو المنخرط في أعمال الإدارة الاستعمارية في نظر السكان يعتبر مارقا في الدين و ينفرون منه نفورا كبيرا.

رابعا : ساعد على نشأة هذه الحركة بالأوراس الجهود التعليمية لأبناء المنطقة أمثال الشيخ محمد الغسيري و عمر دردور .. وغيرهم، فبعودتهم من قسنطينة بتكوين محكم و متين مما خلفته دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس و جمعية العلماء من تأثير في شخصياتهم و أفكارهم تكونت نواة الإصلاح بالأوراس و انتشر بين أبنائها.

و مما دفع أيضا لنشأة حركة الإصلاح في المنطقة الصراع الذي ظهر بين المصلحين و زوايا الطرق الصوفية المنحرفة و التي حالفت الوضيع الاستعماري القائم آنذاك. و لعل سبب هذا الصراع هو مبدأ التغيير أو التجديد الذي حملته الدعوة الجديدة للإصلاح و الذي كان في نظر هذه الزوايا الطرقية ثورة و انقلابا عليها مما دفع إلى رفع التحدي من جمعية العلماء سواء ضد هذه الزوايا أو ضد السياسة الكولونيالية و الذي أفضى بدوره إلى تأسيس المدارس الإصلاحية و المساجد الحرة والنوادي الثقافية الكثيرة في الأوراس التي أتينا على ذكرها.

خامسا : يعتبر الغسيري شخصية بارزة لعبت دورا هاما في ميدان الإصلاح الديني و الاجتماعي نظرا لمكانته العلمية و التنظيمية و جهوده الإصلاحية و الوطنية و التي امتدت طوال حياته فقد نال شطرا مهما من هذا البحث و ظهر أن نشاطه الإصلاحي ما هو إلا امتداد للعمل و الفكر الباديسي الذي يقوم على عملية تجديد الفكر الإسلامي من ناحية و بعث النهضة الجزائرية الحديثة من ناحية وهذه الجهود للشيخ الغسيري أبطلت النظرية الاستعمارية التي كانت تعمل في الوسط الأوراسي الأمازيغي لفصله عن امتداداته الإسلامية و العربية، و يعتبر الشيخ بحق شخصية قوية دافعت عن الإسلام و العروبة في المنطقة و ساهمت في تطوير الهياكل التنظيمية لجمعية العلماء المسلمين بكشافتها و مدارسها التعليمية و مساجدها الحرة ونواديها الثقافية.

سادسا: لا يمكن أن ننكر لجمعية العلماء المسلمين و شعبتها بالأوراس الدور المهم و المساهمة الفعالة في إشعال لهيب الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 فقد كان من بين الذين فجروها بالاوراس من تتلمذ في مدارس العلماء أو كان من شيوخ و معلمي هذه المدرسة و هذا دليل قاطع للرد على الذين يتهمون الجمعية و رجالها بالتقصير اتجاه الثورة، كما نثبت مرة أخرى أن الأوراسيين لم تفرقهم الانتماءات السياسية و الحزبية و لا الاختلافات الفكرية في توحيد جهودهم حول القضية الوطنية الهامة و البارزة و هي الثورة التحريرية الكبرى .

سابعا : إن أبناء جمعية العلماء المسلمين قاوموا المشروع الاستعماري قبل الثورة التحريرية و أدوا دورهم كاملا أثناء الثورة كما وقفوا سدا منيعا في وجه الأطماع الاستعمارية و محاولات عودته بطرق مختلفة بعد الاستقلال بل لا أكون مبالغا إن قلت أن مشروع إصلاح العقل و الفكر الذي أسس له بن باديس و حمله تلامذته من بعه هو الذي يعمل اليوم على حفظ أصالة و انتماء الجزائر إلى الأمة العربية الإسلامية و يرد على الأفكار الغربية الدخيلة على المجتمع الجزائري و التي بدأت نغزو عقول شبابه في الآونة الأخيرة.

إن الشيخ محمد الغسيري و نفر من رفاقه بحملهم لأفكار ابن باديس الصادقة استطاعوا أن يؤسسوا للفكر الإصلاحي بمنطقة أمازيغية اللسان مثل الأوراس و أن ينفذوا إلى قلوب أهلها و بحياة هؤلاء الشيوخ المليئة بالعلم و التضحية و النصيحة والجهاد ارتقت مكانتهم أكثر و بميزتهم في الصدق و الذكاء و الأخلاق الحميدة أصبحوا نافذين سواء في الأوساط الجزائرية أو الأوساط العربية و الإسلامية، ولعل المكانة التي حظي بها الغسيري في المشرق العربي خير برهان على ذلك.

إن الشيخ الغسيري بإيمانه القوي ووطنيته الصادقة اتجاه شعبه ووطنه لم تثنه الصعاب و لا العراقيل من أداء واجبه للجزائر فبدا معلما و مربيا ومصلحا و لما اندلعت الثورة تحول مجاهدا ومناضلا في سبيل تحرير بلاده و بعد الاستقلال أصبح دبلوماسيا مشيدا لمؤسسات و هياكل دولته مترفعا عن كل الاختلافات و الصراعات مهتما بالجزائر لا غير و هذا يكفينا بالقول أن الغسيري من العلماء الأوفياء لدينهم ووطنهم مخلصين لقضيتهم لا يخشون في ذلك لومة لائم.

و في ختام هذه الدراسة لا بد من الإقرار بان الشيخ الغسيري لم يكن رجل وطني فقط بل كان رجل للوطن و هب حياته ، له و أن رسالة من هذا الحجم لا تحيط بكل أعمال الغسيري و الحركة الإصلاحية في الأوراس، وهذا ليس قصورا مني و لكن لقلة حيلتي و نقص خبرتي في ميدان البحث و التنقيب و هي عقبة ليست سهلة باعتراف كبار الباحثين و المؤرخين.

فهرس الاعلام :

فهرس الأماكن :

بيبليوغرافية البحث

أ- الأرشيف :

1)- بيانات منددة بالسياسة الفرنسية اتجاه بعض القضايا باسم اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر، منسوخة بقلم الغسيري ، الأرشيف الولائي قسنطينة.

2)- تعليقات للغسيري على نص الحكم الصادر في حق ابن لعلى البشير، الأرشيف الولائي قسنطينة. رسالة من أحمد بن أبي زيد الأغواطي إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة .

3)- تقارير رؤساء البلديات الأوراسية المختلطة 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة.

4)- تقرير المفتش الغسيري لأحد المعلمين ،الأرشيف الولائي قسنطينة.

5)- تقرير حاكم الأوراس تحت عنوان :مرحلة جديدة من التاريخ المضطرب للأوراس 1938 ،أرشيف اكس أون بروفنس Archives xenprovence 69G /7617 .

6)- تقرير رئيس بلدية الأوراس المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة.

7)- تقرير رئيس بلدية بلزمة المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة .

8)- تقرير رئيس بلدية عين التوتة المختلطة 1936، الأرشيف الولائي قسنطينة .

9)- تقرير للغسيري حول سير الإصلاح بالأوراس 1939، الأرشيف الولائي قسنطينة.

10)- تقرير محافظ باتنة 18 أكتوبر 1934، الأرشيف الولائي قسنطينة.

11)- خطبة الغسيري بمناسبة المولد النبوي الشريف 1943، الأرشيف الولائي قسنطينة.

12)- رسالة الغسيري إلى صديقه الأمير صالحي، الأرشيف الولائي قسنطينة.

13)- رسالة الغسيري إلى قائد فوج وادي الزناتي الأرشيف الولائي قسنطينة .

14)- رسالة تهنئة من جمعية العلماء للشيخ دردور بعد خروجه من السجن، الأرشيف الولائي قسنطينة.

15)- رسالة مرشد وادي الزناتي إلى الغسيري ، الأرشيف الولائي قسنطينة.

16)- رسالة من أحد المرشدين بالعاصمة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

17)- رسالة من احد المعلمين ببسكرة إلى الغسيري سنة 1943، الأرشيف الولائي قسنطينة.

18)- رسالة من الشيخ بن باديس الي سي الصالح مولى القرقور في 12 ذي الحجة 1350هـ. أرشيف زاوية القرقور.

19)- رسالة من الغسيري إلى صديقه بن لعلى مسعود ،الأرشيف الولائي قسنطينة .

20)- رسالة من رئيس الفوج الكشفي لوادي الزناتي إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

21)- رسالة من علي مرحوم مرشد فوج الرجاء ببسكرة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

22)- قصيدة للشيخ الطيب الدراجي مهداة إلى الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة.

23)- محضر اجتماع الغسيري بشعبة العلماء بعين البيضاء، الأرشيف الولائي قسنطينة .

24)- محضر تأسيس الشعبة الأوراسية الإصلاحية باسم جمعية العلماء بحيدوس ، الأرشيف الولائي قسنطينة.

25)- مسودة أعمال الاجتماع الثاني لأحباب البيان والحرية ،بقلم الغسيري، الأرشيف الولائي قسنطينة .

ب - المواثيق الرسمية :

1)- سجل مؤتمر جمعية العلماء: المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، دون تاريخ.

2)- المشروع التمهيدي للميثاق الوطني: الجزائر، 26 أفريل،1978.

3)- سجل مؤتمر جمعية العلماء، المطبعة الإسلامية الجزائرية و مؤسساتها ، من 1947 إلى 1962، قسنطينة .

ج - الكتب:

1)- أبو عمران الشيخ و محمد جيجلي: الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955 ،دار الأمة، ط1 ،1999.

2)- أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة ج1،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1984.)

3)- احمد حماني، الصراع بين السنة و البدعة،ج2، دار البعث قسنطينة،1984.

4)- احمد طالب الإبراهيمي: مذكرات جزائري ،ج2، دار القصبة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2008.

5)- أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية(1962- 1972) ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1972.

6)- البشير الإبراهيمي، أثار البشير الإبراهيمي ج3 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981.

7)- جاك فرجيس :محاكمة الاستعمار، ترجمة الدكتور ميشال سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار الجزائر، 2007.

8)- سليمان الشيخ :الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دار القصبة للنشر الجزائر، 2007.

9)- علي هارون :الولاية السابعة حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

10)- فرانتز فانون: من اجل إفريقيا ، ترجمة محمد الميلي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2 ،الجزائر ، 1980.

11)- فرحات عباس ليل الاستعمار ، ترجمة أبو بكر رحال الرباط، بدون تاريخ.

12)- محمد الحسن فضلاء :المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر، ج1 (القطاع القسنطيني) دار الأمة الجزائر ،1999 .

13)- محمد الطاهر عزوي وآخرون : حياة الشيخ المجاهد محمود الواعي 1919-1998 ، إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة، دار الهدى عين مليلة .،الجزائر ،2002 .

14)- محمد الغسيري : صورة من حياة ونضال الزعيم الاسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مطبعة قرفي، الجزائر، 2008.

15)- مصطفى الأشرف :الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1983.

16)- مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالة أم انفصالية ،ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.

د - اليوميات والجرائد :

1)- جريدة المنار العدد 45 السنة 3 بتاريخ 10- 07 – 1953

2)- الشهاب ،المجلد السابع ،الجزء الخامس، قسنطينة ماي 1931،

3)- البصائر: - الأعداد 54: ، 286، 250، 305، 308، 349، 151، ومن العدد 250 إلى العدد267. على التوالي .

4)- جريدة المجاهد : العدد 78، الصادرفي3 أكتوبر 1960.

5)- المجاهد: العدد 94 ، الصادرفي 25 أفريل 1961، ص 6 و العدد 65، الصادرفي، 4 أفريل 1960 .

6)- جريدة البصائر (الحديثة) لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السلسلة الرابعة، 30 أوت 2006.

ه - المجلات:

1)- مجلة الثقافة ، العدد 85 وزارة الثقافة و السياحة الجزائر ،1985

و- المراجع :

1)- أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية،ج3، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط2، 1994.

2)- احمد مريوش :الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،مطبعة دار هومة الجزائر،2007.

3)- إسماعيل دبش: السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية(1954- 1962)، دار هومة الجزائر ،2007.

4)- تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،(دت).

5)- التليلي العجيلي: صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي (1876-1918)، دار الجنوب للنشر،تونس، 2005.

6)- جودي الأخضر بوطمين: مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها، دار البعث قسنطينة،ط1، 1993.

7)- زبيحة زيدان: جبهة التحرير الوطني – جذور الأزمة – دار الهدى، الجزائر ،2005.

8)- عبد الحميد زوزو : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي- التطورات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية (1937-1939) ، ترجمة الحاج مسعود ،ج2 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ،2005.

9)- عبد الحميد زوزو: الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 – 1939) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

10)- عبد الرحمان ين إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 .

11)- عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ، ، دار الأمة للطباعة و النشر الجزائر ط1 ،2007.

12)- عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي الحديث والمعاصر - محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا - دار الهدى عين مليلة ، 2005.

13)- عبد الله الركيبي وآخرون :معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954:انتاج جمعية أول نوفمبرباتنة،مطبعة قرفي ،باتنة، 1989 ، ص 92.

14) - عبد المالك خلف التميمي: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت، ط2، 1990.

15)- عثماني مسعود : أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد ، دار الهدى الجزائر،ط1 ،2008.

16)- علال الهاشمي الخياري: الإسلام و إيديولوجية الفكر المعاصر، الدار التونسية للنشر ،تونس ،1881.

17)- علي عزوي و اخرون: حياة الشيخ المجاهد الواعي 1919-1989، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر ،2002 .

18)- عمار هلال : أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995.

19)- عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995.

20)- عمربن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجـــامعية الجزائر،1993 .

21)- غايتان بيكون :أفاق الفكر المعاصر، ترجمة مجموعة من الأساتذة ،منشورات عويدات بيروت ،لبنان. 1974.

22)- محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2007.

23)- محمد الطاهر عزوي وآخرون : صفحات من جهاد الأمير عبد القادر و أعلام من الأوراس، مؤسسة الأمير عبد القادر باتنة ، شركة باتنيت للمعلوماتية و الخدمات المكتبية و النشر، ا عثماني مسعود: أوراس الكرامة أمجاد و أنجاد، دار الهدى، الجزائر ،2008.

24)- محمد الطاهر فضلاء:دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة و النشر الجزائر، ط1 1984 .

25)- محمد العربي الزبيري: المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1989 .

26)- محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1999.

27)- محمد طهاري: مفهوم الاصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ط 3 ،1999.

28)- محمد عباس : الثورة الجزائرية ـ نصر بلا ثمن ـ ، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2007.

29)- محمد قاسم: عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف مصر،1968.

30)- محمود الواعي و آخرون : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ، إنتاج جمعية أول نوفمبر، باتنة دار الهدى عين مليلة، الجزائر،1999

31)- محمود الواعي وآخرون : تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي(1854- 1954) ، انتاج جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب 1989.

32)- محمود عبد الفضيل: النفط و المشكلات المعاصرة للتنمية العربية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت ،1990.

33)- مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، ط1 ،1984.

34)- ناصر الدين سعيدوني وآخرون: معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة، مطبعة قرفي باتنة ، 1992.

35)- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.

36)- نور الدين ساطوم: يقظة القومية العربية، محاضرات ألقاها على طلبة المعهد، دار النشر جامعة الدول العربية ،1968.

37)- يحي بوعزيز: موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ،ج2 ،دار الهدى عين مليلة ، 2004.

38)- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ،ج 2 ، دار الهدى ، عين مليلة ط2 ،2004.

39)- يسلي مقران: الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل(1920-1945)، دار الأمل الجزائر، 2006 .

ز- الموسوعات والمناجد :

1)- محمد بن بريكة : موسوعة الطرق الصوفية، ج3 ،دار الحكمة الجزائر،2007.

2)- لويس معلوف : المنجد في اللغة و الآداب ،المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط1 ،1927.

ح - الرسائل الجامعية :

1)- عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة قسنطينة سنة 1983.

2)- عائشة بوتريد:التعليم العربي الحر في الجزائر و مؤسساته من 1947الى 1962 قسنطينة. نموذجا ،رسالة ماجستير نوقشت سنة 2004، بجامعة قسنطينة.

ط ـ الشهادات الحية :

1)- شهادة المجاهد عمار ملاح، الملتقى الوطني الأول حول الأمير عبد القادر و أعيان من منطقة الأوراس بباتنة نوفمبر 2002.

2)- شهادات مجموعة من شيوخ المنطقة المعاصرين للفترة ،أخذت بتاريخ 2007/7/16 ، بباتنة.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

1)- Ali Merred : le réformisme musulman en Algérie , les éditions el Hikma , Alger, 1999 .

2)- Charl Robert Ageron : Histoire de L'Algérie Contemporaine., Presses universitaires de France, 1980 .

3)- Charles Robert Agéron : les Algériens Musulmans et la France 1871-1919 Tome 1ere PU.F, paris ,1968 .

4)- E-Masquoray : Documents historiques Requeillis dans l'aures-Revue africainne, N21,1877.

5)- Fanny colonna : instituteurs algériens 1883 -1939 office des publications universitaires ,Alger , 1975.

6)- Fanny Colonna: lettrés intellectuels et militante en Algérie 1880-1950, OFFICE des publications universitaires, Alger.

7)- Tirese Riviere :L'habitation chez les ouled abderhmmene chaouai de l'aures in africa journal de INT des langue et CIV.VolX , paris ,1938 .

فهرس الموضوعات **الصفحة**